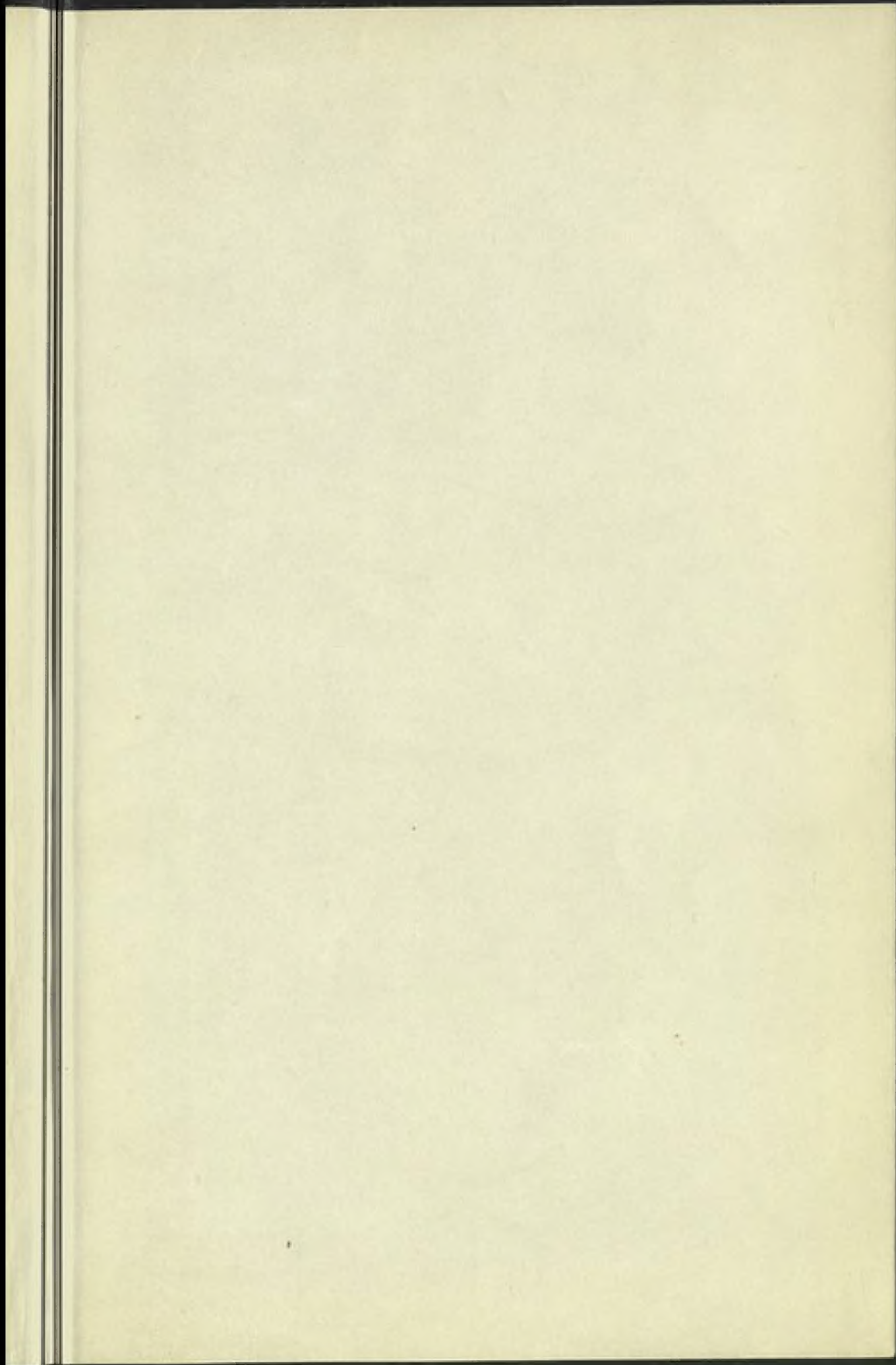




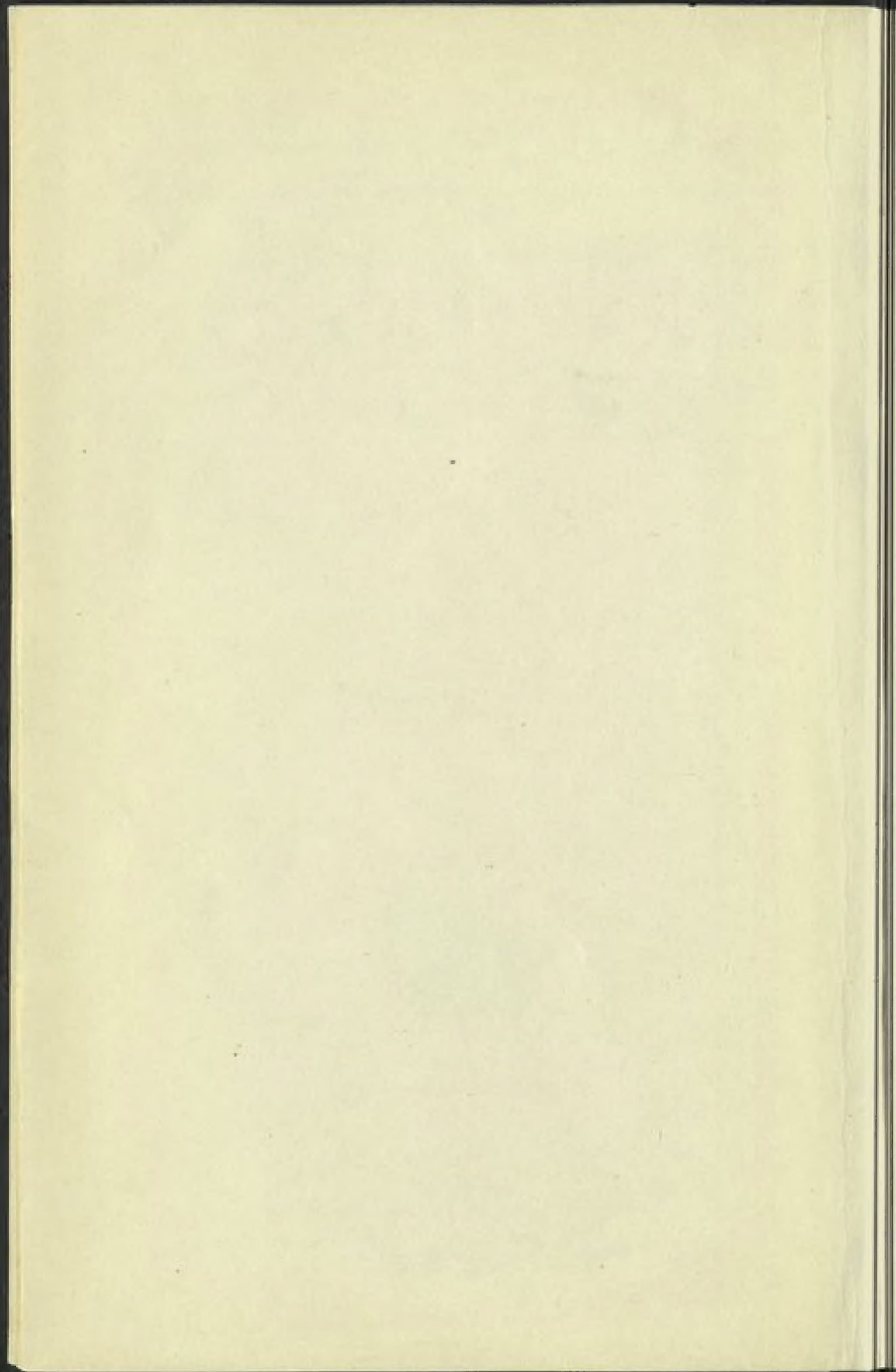
AMERICAN UNIVERSITY  
LIBRARY  
OF THEATRE

N. MAKHOUL  
BINBERY  
-1 8 MAY 1972  
Tel. 268458

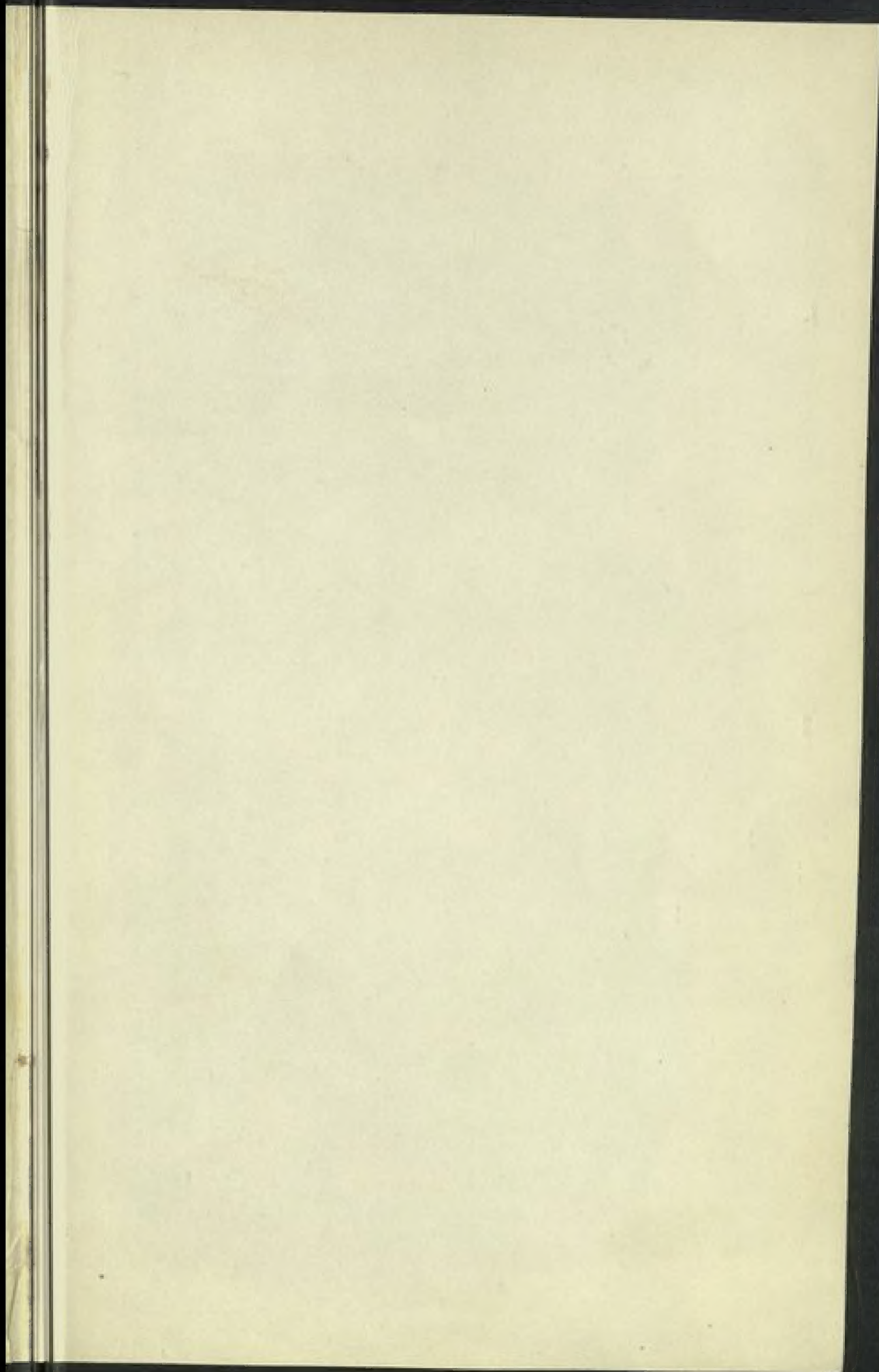














١٩١٤  
٥٥  
لجنة التأليف والترجمة والنشر  
١٩١٤

# تاريخ اليهود في بلاد العرب

CA  
296  
D456tA  
C1



في الجاهلية وصدر الإسلام

تأليف الدكتور

سفيان بن عمار

اسرائيل ولفنسون

(ابو ذؤيب)

استاذ اللغات السامية بدار العلوم



« حقوق الطبع محفوظة »

49370

مطبعة الأعمى دار نشر حسن الأكبر

١٩٢٧ - ١٣٤٥

East. Feb. 1934







٢٨٤  
١٤٩  
٢٢٢

## مقدمة

لمحاضرة الاستاذ الكبير والنفادة السرمبر الدكتور طه حسين

الدكتور اسرا ئيل ولفنسون عالم شاب يسرني أن أكون أنا مقدمه الى جمهور المستنيرين من الذين يكلفون بالبحث عن الأدب والتاريخ . أقبل الى مصر وأن له اثقافة متينة متنوعة ، قد اتقن من اللغات الأوروبية الحية أرقاها وأمسها بالبحث العلمى التاريخى ولا سيما فيما يتصل بالمسائل الشرقية العربية ، وأتقن من اللغات السامية أغناها بالآثار القيمة فى الدين والأدب والعلم ، ولم تقف ثقافته عند اتقان هذه اللغات بل درس من آدابها حظاً موفوراً فكان له مزاج معتدل من هذا القديم السامى والجديد الأوروبى يعمده أحسن اعداد لتناول المسائل التاريخية والأدبية الرقيقة اذا تهيأت له مناهج البحث كما ألفها علماء أوروبا فى هذا العصر الحديث . وماهى الا أن انتسب الى الجامعة المصرية القديمة واختلف الى أسانذتها يسمع دروسهم ويعمل معهم حتى تهيأ له من ذلك ما كان يحب . ولقد كان يختلف الى دروسى فى التاريخ القديم فكان يعجبني منه ميل ظاهر الى البحث وحرص شديد على الاجادة والاتقان ونشاط غريب الى القراءة والاطلاع . وكنت أرى فيه عناية خاصة بكل ما يتصل باليهود فى عصور السيطرة اليونانية والرومانية على العالم القديم . فرأيت أن أوجه بحشه هذه الوجهة وأشجعه على المضى فيها .



ولست أنسى محاضرات تمرينية القاها في مثل هذه الموضوعات تركت  
في نفسي أحسن ما ترك أعمال التلميذ المجد في نفس استاذة من الأثر .  
ثم ظفر بشهادة اليسانس في الآداب من الجامعة القديمة وأخذ  
يستعد لشهادة الدكتوراه فلم يرقه من المباحث التي كانت تثار في الجامعة  
على كثرتها الا هذا المبحث الذي يتصل دائما باليهود وهو تاريخ اليهود  
في بلاد العرب قبل الاسلام وأبان ظهوره

والموضوع في نفسه قيم جليل الخطر بعيد الأثر جدا في التاريخ  
الأدبي والسياسي والديني للأمة العربية . فليس من شك في أن هذه  
المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيرا قويا في الحياة العقلية والأدبية  
للجاهليين من أهل الحجاز . وليس من شك في أن الخصومة كانت عنيفة  
أشد العنف بين الاسلام ويهودية هؤلاء اليهود وفي أنها قد استحال  
من المحاجة والمجادلة الى حرب بالسيف انتهت باجلاء اليهود عن البلاد  
العربية . ولم يكن تاريخ هؤلاء اليهود في بلاد العرب قبل الاسلام معروفا  
على وجهه ، انما هي طاقة من الأخبار والأحاديث يرويها القصاص في  
غير تحفظ ولا عناية بالدقة والتحقيق وتكثر فيها المبالغات من الناحية  
اليهودية والاسلامية لاغراض مختلفة معروفة . وكان المستشرقون قد  
عرضوا لهذا الموضوع من نواحي مختلفة فوفقوا بعض التوفيق ولكن  
أخطائهم الأصابة في كثير من الأحيان لأن حظهم من الثقافة العربية  
السامية لم يكن يعدل حظهم من القدرة على استثمار مناهج البحث الحديث ،  
فاضطروا الى طائفة من الأغلاط لم يكن منها بد . على أن مباحثهم هذه  
القيمة كانت وما زالت مجهولة في الشرق العربي لا يلم بها الا الذين



يتخذون هذا النحو من العلم غرضاً يسمعون اليه ويتقنون عليه جهودهم  
فاذا كان عالمنا الشاب قد وفق الى الخير في هذا الكتاب الذي قدمه  
الى الجامعة المصرية ونال به شهادة الدكتوراه والذي أقدمه أنا الآن الى  
القرءاء سعيداً مغتبطاً فتوفيقه مضاعف ، ذلك لأنه وفق الى تحقيق  
أشياء كثيرة لم تكن قد حققت من قبل ، ووفق الى عرض مباحث  
المستشرقين حول هذا الموضوع في اللغة العربية ولم تكن قد عرضت  
من قبل . ووفق بعبارة موجزة الى أن يبسط تاريخ اليهود في البلاد  
العربية قبل الاسلام وأبان ظهوره بسطاً عاماً أدبياً لذيذاً ممتعاً في  
كتاب كانت اللغة العربية في حاجة اليه فأظفرها بهذه الحاجة

واذا كان لي أن أتمنى للدكتور اسرائيل ولقدسون شيئاً فانه أتمنى  
له غلباً أن يمضي في عنايته بهذه الناحية من حياة اليهود والصلة بينهم  
وبين الأمة العربية بعد الاسلام كما عني بها قبل الاسلام مهتدياً بهدى  
العلم الصحيح الذي لا يعرف ممالة ولا مشايعة ولا يرى للعالم الا  
غرضاً واحداً مقدساً هو السعي الى الحق والجهد في الوصول اليه

طه حسين

٢٠ يونيو سنة ١٩٢٧

## تصدير

ان الذي يدرس تاريخ العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ليلمس  
حاجة اللغة العربية الى مؤلف خاص في تاريخ اليهود الذين لا ينكر أحد  
ما كان لهم من الأثر في الجزيرة العربية لذلك العهد، ويعجب كيف حرمت  
اللغة العربية من مثل هذا المؤلف الى الآن . . . . .

وأقرب ما يخطر بالبال في تعليل هذا التقصير هو أن المتأخرين  
من مؤرخي العرب لم يعلموا المأما كافياً بتاريخ الجاهلية ، ولولا ذلك  
لما أغفلوا تاريخ قسم كبير من سكان الجزيرة كان له من الحوادث  
السياسية والوقائع الحربية والآثار الاجتماعية ما يستوجب أفراد  
بطائفة من المؤلفات ، إذ كان الباحث في تاريخ الجاهلية يتوقف نجاحه  
على معرفة تاريخ اليهود في بلاد العرب عامة وفي الاقاليم الحجازية بوجه  
خاص

وقد يرجع السبب في هذا التقصير الى جهل المؤرخين بالنتائج  
العظيمة التي ترتب على معرفة تاريخ اليهود ، ولو أنهم اهتموا به لوجدوا  
في المراجع العربية القديمة مادة غزيرة تمكن الباحث المحقق من سد هذا  
النقص وتعيينه على التثبت من تاريخ العرب في ذلك الحين



ان للبحث في تاريخ يهود الجزيرة العربية أهمية عظيمة في حل  
المشكلات التي يتخبط فيها كثير من الناس وإمالة اللسان عن لهجات  
العرب ودياناتهم وعاداتهم لما بين اليهود والعرب من رابطة الدم ولما  
بين اللغة العبرية واللغة العربية من التشابه والاقتراب

ومع أنه قد وجدت أمم سامية قبل بني اسرائيل بآلاف من السنين  
فان الباحثين يرون في اللغة العبرية وآدابها مقياساً صالحاً للبحث في جميع  
اللغات السامية . إذ كان بنو اسرائيل أقدم أمة سامية تركت ميراثاً  
روحانياً عظيماً في الادب والدين يعتبر اكبر مجموعة قديمة من أثر القرينة  
السامية ، لان الذي وصل اليها من آثار البابليين والاشوريين والآراميين  
ضئيل جداً بالقياس الى ما وصل اليها من تراث بني اسرائيل .

على أن اللغة العبرية من أمهات اللغات السامية . فقد كانت شائعة  
قبل نشوء بني اسرائيل وظهورهم في العالم إذ كانت لغة أهل فلسطين  
الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وشرق الاردن ، وكان  
من أم تلك الامم بنو أدوم وعمون وموآب وقبائل عماليقية ومديانيسية  
وامماعيبية ثم ظهرت بطون بني اسرائيل بين هذه الاقوام في طور سيناء  
وأطراف الحجاز وانتشرت منها الى الاقاليم الاخرى<sup>(١)</sup> وبقيت هذه اللغة  
ساحبة السلطان والنفوذ مدة طويلة الى أن ظهر تأثير إحدى اللهجات  
الكنعانية وهي الآرامية ، فأخذت اللهجات العبرية والكنعانية الاصلية

The relation between Arabs and Israelites prior to the rise (١)

تضمحل مع التغييرات السياسية الى أن أصبحت أغلب بطون فلسطين وسوريا والعراق وطور سيناء تتكلم باللهجات الآرامية ثم أخذت هذه اللهجات في القرون الاولى ب. م تتدهور تدريجياً في أطراف الجزيرة العربية، وأخذت تنكمش وتتضاءل أمام اللغة العربية التي كانت في ذلك الحين تمتد وتنتشر بسرعة حتى اضطرت بعض القبائل الآرامية والعربية الى أن تختلط بالعنصر العربي الأصلي وتندمج فيه شيئاً فشيئاً<sup>(١)</sup>

وقد كنت فكرت في أن أخص أقوام طور سيناء ببحث منفرد أكتشف فيه بعض ما غمض من أحوالهم معتمداً على بعض الاخبار التي وصلت اليها من مراجع عبرية ويونانية قديمة، وعلى بعض الاكتشافات القليلة التي ظهرت حديثاً عن هذه الاقوام البائدة ولكني رأيت أن في هذا خروجاً عن الموضوع الذي نحن بصدده، فأجلت هذا البحث الى فرصة أخرى ...

على أن سكان طور سيناء وأطراف الجزيرة العربية من جهة الشمال الذين تعتبر بلادهم كقنطرة طبيعية بين بلاد العرب وبين فلسطين موطن بني اسرائيل، قد أثروا تأثيراً شديداً في العرب وبني اسرائيل معاً، فليس في استطاعتنا والحالة هذه أن نوفي موضوعاتنا حقها من البيان والتفصيل إلا بعد النظر الطويل والبحث العميق في تاريخ تلك الامم وحاجتنا الى هذا الموضوع في بحثنا هذا كحاجة الباحث في تاريخ

(١) راجع مقالنا عن اللغة الآرامية ولهجاتها المنشور في السياسة الاسبوعية بتاريخ ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٦



روما القديم الى الامام بيارنج بطون وقبائل لاتينية ويونانية قديمة  
عاشت في بلاد ايطاليا قبل نشوء مدينة روما

\*\*\*

لقد صرح لي غير واحد من الاصديقاء بانهم يوجسون خيفة من  
ثوران عواطف بعض الاندية من المسلمين واليهود من جراء التعرض  
لموضوع الخلاف الذي نشأ بين الرسول ويهود يثرب ، وأن ميلنا الى  
احدى الفئتين قد يكون سبباً في اثارة سخط الطائفة الاخرى  
لكننا نعتقد أن رسالتنا موجهة الى طائفة المفكرين الذين  
لا ينشرون دعوة خاصة في كتاباتهم . بل يقصدون دائماً الى البحث الجرد  
عن العواطف القومية والدينية

وما من أحد ينظر بامعان وانصاف الى حوادث اليهود والانصار  
في يثرب دون أن تميل نفسه بشعور الاجلال للفئتين . لأن النضال  
العنيف الذي وقع بينهما قد برهن على أن هذا النزاع كان من الأمور  
المقدرة في حسابان كل من تتبع الحوادث التي وقعت في المدينة بعد أن  
هاجر اليها الرسول . فقد كانت الضرورة الطبيعية لنجاح مشروعات  
المسلمين تفضي حتماً بوقوع العراك الشديد بين الطرفين .

ومن أجل ذلك فقد تغيرت الحالة تغييراً جوهرياً بعد أن انتهت  
الخصومة السياسية بين الرسول ويطون يثرب ، حتى شرع اليهود ينظرون  
بعيون الاكبار والاحترام الى جيوش المسلمين التي كانت تغمر كالسيل  
أقطار العالم ونواحيه . وكانت هذه الجيوش قد قضت على سلطنة الدولة  
الرومية في أقاليمها القاصية والدانية ، تلك الدولة التي ملأت تاريخها

بجوادث الظلم والعسف واهراق الدماء مدة طويلة من الزمان  
وقد كان اليهود في أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش  
المسلمين بالحفاوة والاكرام لانهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم إذ يرون  
فيهم قوماً يؤمنون بالله موسى وابراهيم  
واقدر ازدادت هذه الروابط متانة مع امتداد الزمن حتى دخل  
اليهود في جيوش المسلمين ليناضلوا معهم في أقاليم الاندلس  
وينبغي ألا يغيب عن البال أن الخسارة القليلة التي لحقت يهود  
بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس الى الفائدة التي اكتسبها المنصر اليهودي من  
ظهور الاسلام ، فقد انتقد الفاتحون المسلمون آلافاً من اليهود كانوا  
منتشرين في أقاليم الدولة الرومية ، وكانوا يقاسون ألواناً شتى من العذاب  
زد على هذا أن اتصال اليهود بالمسلمين في الأقاليم الاسلامية كان  
سبباً في نهضة فكرية عظيمة عند اليهود بقيت آثارها في تاريخ الآداب  
العربية والعبرية زمناً طويلاً . . .

\*\*\*

ويجمل بنا أن نلفت الانتظار الى أننا نسبنا كل ما لم يكن من رأينا  
سواء كان كبيراً أو صغيراً الى صاحبه وذلك قد يتطلب في أغلب الظروف  
جهداً غير قليل

أما الآراء التي لم نسبها لغيرنا فهي بطبيعة الحال جديدة وبعضها  
عرضة للنقد والشك ونعتقد أنه لو رجعت صحتها لكان ذلك لنا مكافأة  
عظيمة يرتاح لها الضعير ويطمئن اليها الخاطر

\*\*\*



ولا يسعني بعد هذا الا أن أرفع خالص الشكر للقائمين بأمر الجامعة  
المصرية وأساتذتها الأجلاء

وبهذه المناسبة أقدم تهنيتي الطيبة وعاطر ثنائي لحضرة الاستاذ  
العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار الذي أسدى الى الكثير من  
النصح والارشاد

أما رجل اليوم أستاذي الدكتور طه حسين الذي تفضل وقبل  
الإشراف على رسالتي وبذل الكثير من وقته الثمين في قراءتها فالى نبوغه  
النادر المثال في النقد يرجع الفضل في هدايتي الى بعض دقائق هذا البحث  
الذي أرجو أن يظفر برضاء القراء الكرام والسلام

٢٤ يونيو سنة ١٩٢٧

اسرائيل وفنفسويه

( ابو ذؤيب )

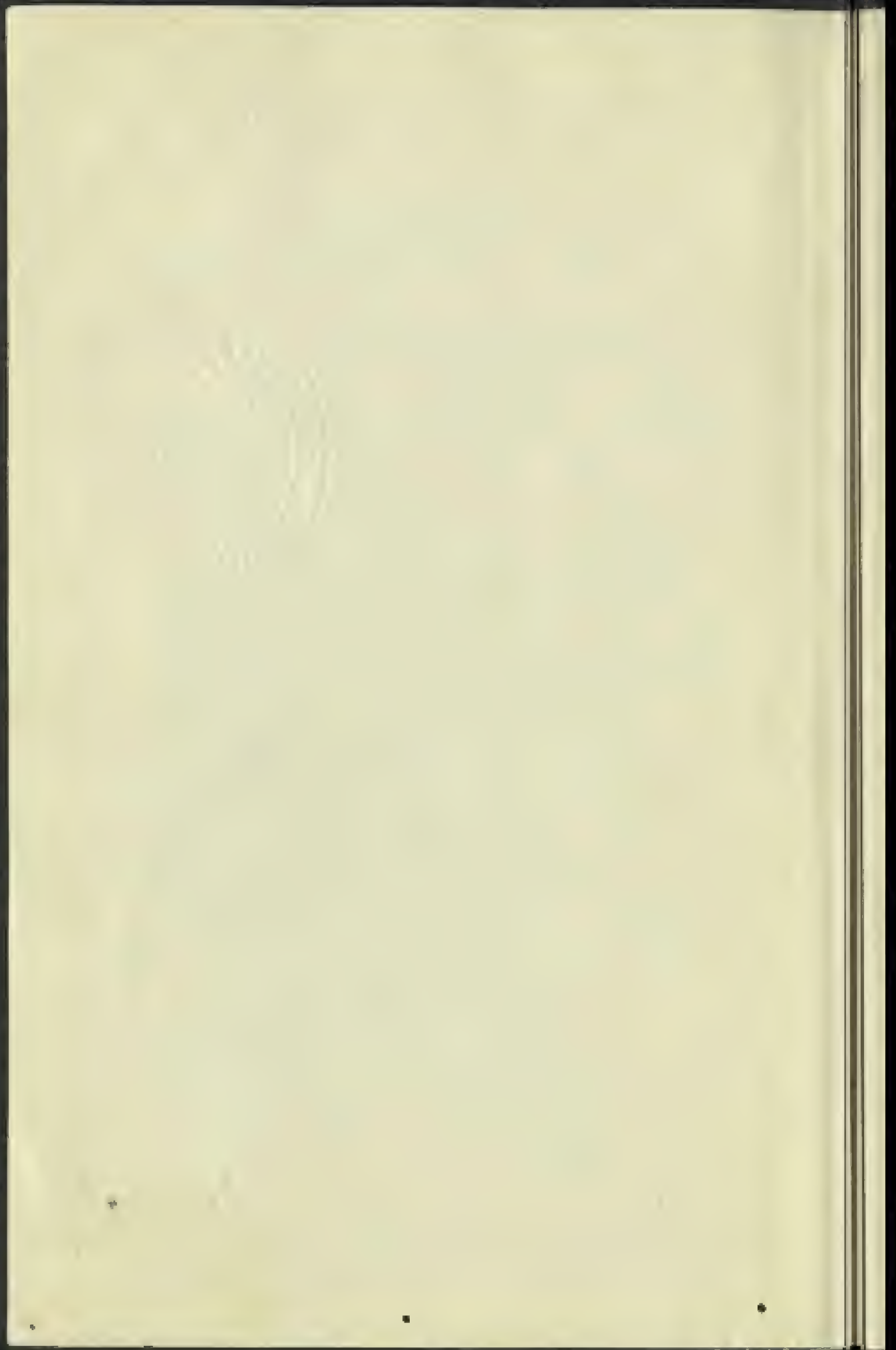
نقدم جزيل الشكر الى لجنة التأليف والترجمة والنشر التي كلفت  
نفسها مؤنة الاتقان على طبع كتابنا هذا ، وليس ذلك بغريب من هيئة  
الجنة التي جعلت ديدنها العناية والاهتمام بنشر العلوم والمصنفات

٢٥ يونيو سنة ١٩٢٧

المؤلف



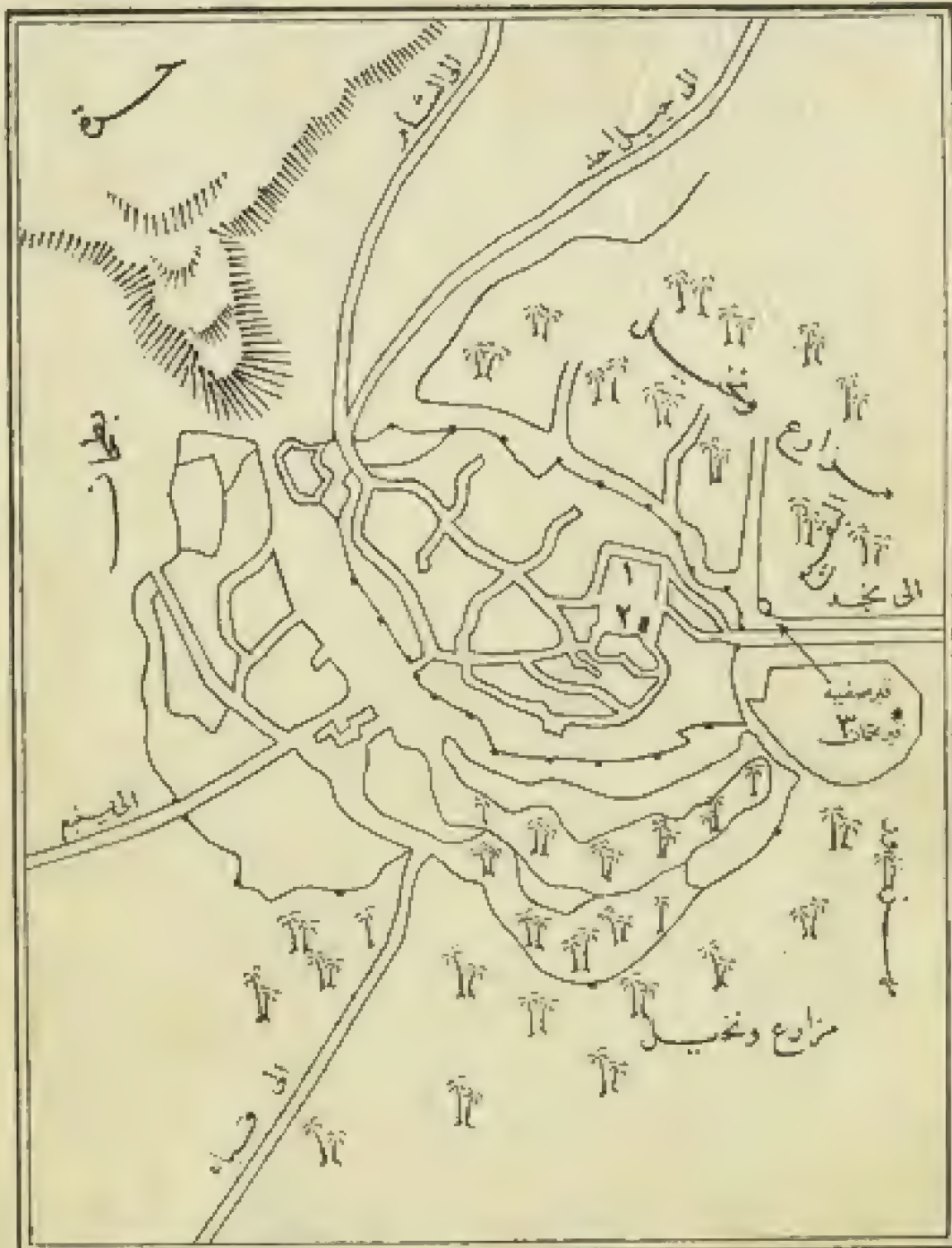




# المدينة المنورة (يثربا)

مقاس الرسم ١ : ١٢,٥٠٠

ملحوظات : (١) الجامع الكبير (٢) قبة النبي (٣) جبانة



وضعت كتاب تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام - لداكوتا اسرائيل ولغسون .



# الباب الأول

## اليهود في بلاد الحجاز

نقسم تاريخ بني اسرائيل في بلاد العرب الى طورين — مراجع البحث في الطور الاول — المؤرخون الاله وعبدية الاسلام من بني اسرائيل في العهد القديم — اول هجرة اسرائيلية الى بلاد العرب — النسخ التاريخي — رأى بعض المستشرقين فيه — رأى المؤلف في هذه الهجرة — رأى فضاء مؤرخي العرب عن وجود قبائل اسرائيلية باقية في الجزيرة العربية — صف العهد القديم وحوادث بني اسرائيل في الجزيرة العربية قديماً — مهاجرة بطون يهودية من اوطانها الى الجزيرة في الطور الثاني — أساليبها — أشهر البطون اليهودية في بلاد العرب — نزولها في مواطن اليهود القدماء — انتشار الحركة الزراعية والتجارية والصناعية في الحجاز وشاملاً لليهود — الفرق بين الطورين في الاستعداد — سكوت المراجع اليهودية عن تاريخ بني اسرائيل في الجزيرة العربية — شكوك مؤرخي الانبياء في كثير مما ذكر مؤرخو العرب عن يهود الجزيرة — هل كان يهود الجزيرة من الوجهة الدينية مثل أبناء جلدتهم — اعتناق بطون عربية للديانة اليهودية — بحث في أسماء القبائل اليهودية — رأى اليعقوبي — رأى المؤلف — حصون وآطاء اليهود في بلاد العرب — أساليب العربية والعربية — المواد التي كان اليهود يشعرون فيها — شيوخ الزبا عند اليهود والعرب — صناعة الصياغة عند يهود يثرب — سوفي بن قنقاع — الدوائر الزراعية لليهودية في الحجاز — لغة اليهود في بلاد العرب — الرخانة اليهودية — الاحبار — القضاء عند يهود الحجاز — قبة اليهود — الصلاة — الصيام — تحلق اليهود باخلاق العرب — منزلة الشمر العربي عند اليهود — رأى الأستاذ الدكتور طه حسين في أثر اليهود الادبي في الجزيرة — رأى المؤلف في شعر اليهود الغزاة الشعرية عند اليهود والعرب — كيف احتفظ بشعر اليهود — السموات بن عادي — آراء مؤرخي العرب فيه — الاب شيخو وديوان السموات — تحليل شعر السموات — أهم قصائد السموات — كمب بن الاثرف — حياته وأشعاره — اشراك النساء في النهضة الشعرية

وأيت أن أقسم تاريخ بني اسرائيل في بلاد العرب الى طورين أساسيين الطور الأول يشمل حوادث بطون اسرائيلية باقية في بلاد العرب والطور الثاني يتناول أخباراً لجموع من اليهود كان لها شأن عظيم في تاريخ الجزيرة العربية

ويقف آخر الطور الأول عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد أما الطور الثاني فينتهي باجلاء عمر بن الخطاب آخر الطوائف اليهودية من الجزيرة العربية وهذا التقسيم هو الشائع عند العلماء الذين كتبوا في تاريخ بني اسرائيل بوجه عام . ولستكم أولاً عن الطور الأول بقدر ما مكنتنا المصادر التاريخية التي استقينا منها معلوماتنا عن هذا الطور فانها مراجع قليلة تضطر الباحث الى بذل مجهود كبير حتى يستطيع أن يلقى شعاعاً من النور يخفف به من وطأة ظلامه الدامس

كان بنو اسرائيل في هذا الطور الأول يعبدون الله مع تقديسهم لبعض الأصنام على حين كانت طائفة منهم تعبد الله وحده مخلصين له الدين وهي طائفة الكهنة والأنبياء، وبعض الطبقات من الأشراف والملوك والنقباء الذين آمنوا برسالة موسى واتبعوا شريعته (١)

وكان الموحدون والآله في بدء الأمر قليلين ولكنهم أخذوا يكثرُونَ شيئاً فشيئاً على مرور الزمن وتوالي العصور حتى تأثرت العقلية اليهودية بالشرعية الموسوية ونخضت لها أفكار اليهود وامتزجت بها قلوبهم وكان ذلك في بدء الطور الثاني بعد رجوع اليهود من السبي البابلي سنة ٥٣٨ ق . م .

ومن حيث أن المرجع الوحيد الذي يمكننا أن نستقي منه أخبار بني اسرائيل الى القرن الخامس ق . م إنما هو كتاب العهد القديم فإنه يجدر بنا أن نتحدث فيه لنقف منه على حوادث الطوائف الاسرائيلية التي سكنت بلاد العرب

تحدثنا صحف « أخبار الأيام » عن أول هجرة مشهورة في تاريخ بني اسرائيل الى بلاد العرب أن بطون بني شمعون سارت الى أرض طور سيناء مع ماشيتها لتبحث لها عن مرعى الى أن وصلت أرض قيسائي معان فاشتكت معها في قتال عنيف

(١) راجع كتاب المؤرخ Klausner התורה והמצוה ج ١ ص ٨ وكتاب العالم سمعوني דברי ימי ישראל ج ١ ص ٢٠



انتهى بنفوز بطون شمعون وتمزيقهم لأقوام من البطون الممانية شذر مذر<sup>(١)</sup>  
ومع ما لهذه الرواية من عظم القيمة في بحثنا فأننا نرى فيها غموضاً وإبهاماً  
إذ لا نستطيع أن نعلم منها متى نزحت بطون بني شمعون إلى جزيرة العرب  
غير أن العالم دوزي يحاول في مصنعه عن بني إسرائيل في مكة<sup>(٢)</sup> أن يثبت  
أن الهجرة الشمعونية حدثت قبيل عصر الملك داود حوالي عام ١٠٠٠ ق. م. في  
حين يعارضه المستشرق مرجوليوث في كتابه عن علاقة العرب بالبطون  
الإسرائيلية قبل ظهور الإسلام<sup>(٣)</sup> ويقرر أنها لم تحصل إلا في عصر الملك حزقياه  
الذي حكم بلاد يهوذا من سنة ٧١٧-٦٩٠ ق. م. لا قبله

وأما بعض المحدثين من العلماء والذين لا يريدون أن يخوضوا غمار المناقشة  
مع هذين العلمين فلم يتعرضوا لما قلناه بنى أو إثبات ولكنهم يرون أنه لا يمكن  
التعويل على هذه الرواية المنقولة من الكتاب المقدس لقلة النصوص التاريخية  
القاطعة عن وجود بني شمعون حتى أن الذي ينلو صحف العهد القديم لا يجد شيئاً  
عن قبيلة شمعون في تاريخ بني إسرائيل سوى رواية تدل على اشتراكها مع  
بطون بني يهوذا في فتح فلسطين<sup>(٤)</sup> وسوى ما جاء عن نزوحها من الديار  
الإسرائيلية

مثل هذه النقول القليلة دفعت هؤلاء المحدثين من المستشرقين إلى أن  
يشكوا في أن تكون قبيلة شمعون هذه كان لها وجود في عالم الحقيقة<sup>(٥)</sup>  
ولكننا نرى أن انكار وجود قبيلة شمعون أمر غير ميسور وقد كان لها ١٢

(١) أخبار الأيام فصل ٤ آية ٣٨ - ٤٣

(٢) Dozy : Die Israeliten zu Mekka ٩٨ - ٤٠ م

(٣) Margolioth : The relation between Arabs and Israelites

prior to the rise of Islam م ٥١

(٤) قضاء فصل ١ آية ٣

(٥) Burney : Israel's settlement in Canaan م ٣٧ - ٥٨

مدينة في جنوب فلسطين دخلت في حوزتها بعد استيلاء يوشع بن نون على  
البلدان الكنعانية وأقامت فيها مدة طويلة (١)

على أن لدينا ملاحظة على الرواية المنقولة من كتاب أخبار الأيام عن هجرة  
بنى شمعون طلباً للمرعى فقط وهي أننا نستبعد كل الاستبعاد أن تفرح جميع بطون  
شمعون من فلسطين تاركة مدنها ونزونها مرة واحدة وفي وقت واحد إلى بلاد  
أخرى ليست أخصب من بلادهم بدرجة كبيرة بل ليست هناك فوارق طبيعية  
بين البلاد وقد تكون البلاد التي تقول الرواية إنهم ساروا إليها طلباً للمرعى أشد  
اجداً من بلادهم التي رحلوا عنها ثم لا يعودون إلى موطنهم الذي منه نشأوا وفيه  
عاشوا على كر الزمن ومروء الأيام

معقول أن تزعج سنو المحل والقحط الناس عن مواطنهم واضطربهم إلى أن يرحلوا  
عنها ليجدوا ما يقتاتون به ولكنهم لا يرحلون عن بلادهم جملة واحدة ولا يقصدون  
جهة معينة وهم مجتهدون بل يفرقون هنا وهناك وتفسد كل فئة ناحية من النواحي  
الحيطة والقريبة منها ليأخذوا ما يستطيعون الحصول عليه من أسباب العيش ثم  
لا يلبثون أن يعودوا إلى بلادهم وموطنهم ليستأنفوا فيه الحياة الهائلة الوادعة  
أما أن يخرجوا من بلادهم جملة واحدة ويقصدوا جهة معينة وهم جماعة ولا  
يعودوا إلى بلادهم مطلقاً فهذا ما لا يكاد يوجد في تاريخ بني إسرائيل

ولو أغضينا النظر عن كل هذه الاعتبارات وفرضنا صحة هذه الرواية  
وحققنا أن هذه الهجرة قد وقعت كما يصورها لنا النص المنقول من سفر أخبار  
الأيام فأنفسنا نعتقد أن تكون قد حدثت في زمن قديم جداً في القرن الثاني عشر  
ق . م . على أقل تقدير إذ لم يكن بنو إسرائيل قد عرفوا بعد تدوين الحوادث  
التي تقع لهم في صحف أي أنها حدثت في زمن غير بعيد من عهد الاحتلال  
الإسرائيلي للبلاد

(١) كتاب يوشع بن نون فصل ١٩ آية ١ — ٩ وصحف الأخبار ج ١ فصل ٤ آية ٢٨



وكما أن حوادث الفتح لم تصل إلينا واضحة وأقية كذلك وصلتنا أخبار شمعون  
في روايات غامضة وذلك لأن بني إسرائيل بعد نوحهم في فلسطين بقوا زمنا غير  
قليل محتفظين بمفصلت ومميزات سكنى الصحارى في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم  
ونفوذهم من كل أنواع التغيير والتجديد

وقد مضت عليهم قرون عدة وهم في همجيتهم الأولى حتى دار الزمن دورته  
وأخذت الأحوال الاجتماعية والأدبية تتبدل وتتحول إلى أن ظهر عند الشعراء  
والفكرين ميل شديد إلى تدوين أخبار العصور الماضية وذكر أيام القبائل  
الإسرائيلية وبيان أوطانها التي نزلت عنها والظروف التي دعت إلى تركها وكان  
غرضهم من ذلك أن يحافظوا على أنسابهم وأن يشيدوا بما كان لهم من مجد وسؤدد  
أما فيما يتعلق ببلاد وقبائل معان فإن المستشرقين قد اتفقوا على أنها قد  
سكنت بين جهات يثرب ومكة ويعتمدون في ذلك على أقوال الجغرافى سترابو  
الذى جاء باسماء دول الجزيرة العربية مرتبة على هذا المنوال :

قبائل معان وعاصمتها قرنة

قبائل سبا وعاصمتها مارب

دولة ثمنا وكانت في جهات باب المندب

مملكة حضرموت وعاصمتها سبوة

وينضح من وصف بلينوس ( Pinus ) لاهها معان أنهم كانوا على جانب

عظيم من القوة والبطش وكثرة العدد ووفرة المال <sup>(١)</sup> ويسرد لنا العالم جلازير

( Glaser ) في كتابه الذى صنفه عن بلدان الجزيرة العربية حوادث كثيرة لبطون

معان وعلاقتها مع أمم فلسطين وأساس بحثه قائم على منقوشات قديمة غير عليها في

جهات مختلفة من تلك الاصقاع <sup>(٢)</sup>

(١) دوزى ص ٦٦ - ٦٨ مرجعيات ص ٥١

(٢) Glaser : Skizzen und Geschichte Arabiens bis

Moh. Glaser : Sammlung

وتذكر لنا صحف العهد القديم من أخبار بني إسرائيل عدا هذه الهيرة أن  
بلاد طور سيناء وشمال الجزيرة بوجه عام كانت ملجأ يقصد اليه كثير من بني  
إسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك والحكام الظالمين<sup>(١)</sup> ثم في عهد الملك  
بختنصر فإنه حين غزا أورشليم قصدت جموع من اليهود أرض الجزيرة<sup>(٢)</sup>

ولم تغفل المصادر العربية الإشارة إلى أن قبائل اسرائيلية كانت تسكن  
بلاد العرب منذ زمن قديم جداً فقد قل صاحب الاغانى « كان ما كنو المدينة  
في أول الدهر قبل بني اسرائيل قوماً من الامم الماضية يقال لهم العماليق وكانوا  
قد تفرقوا في البلاد وكانوا أهل غزو وبني شديده وكان ملك الحجاز منهم  
يقال له الارقم ينزل ما بين تيماء الى فداك وكانوا قد ملأوا المدينة ولهم بها نخل  
كثير وزرع وكان موسى بن عمران قد بعث الجنود الى الجبابة من أهل  
القرى يغزونها فبعث موسى الى العماليق جيشاً من بني اسرائيل وأمرهم أن  
يقتلهم جميعاً اذا ظهروا عليهم ولا يستبقوا منهم أحداً فقدم الجيش الحجاز  
فأظهرهم الله على العماليق فقتلهم أجمعين إلا ابناً للارقم كان وضيقاً جميلاً فقتلوا به  
على القتل وقتلوا نذهب به الى موسى فيرى فيه رأيه فرجعوا الى الشام فوجدوا  
موسى قد توفي فقالت لهم بنو اسرائيل ما صنعتكم فقالوا أظفروا الله عليهم فقتلناهم  
ولم يبق منهم أحد غير غلام كان شاباً جميلاً فنفسنا به عن القتل وقتلنا نأى به  
موسى فيرى فيه رأيه فقالوا لهم هذه معصية قد أمرتم ألا تستبقوا منهم وأن  
لا تدخلوا علينا الشام أبداً فلما صنعوا ذلك قتلوا ما كان خيراً لنا من منارل القوم  
الذين قتلناهم بالحجاز نرجع اليها فنقيم بها فرجعوا على حاميتهم حتى قدموا المدينة  
فتزلوها وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود بالمدينة<sup>(٣)</sup>

(١) ملوك ١٠ فصل ١٩

(٢) أرميا فصل ٤٠ آية ١١

(٣) الاغانى جزء ١١ ص ٩٤ ( ان مؤرخى العرب لم تكن لديهم كتب لشقدهم في ذلك



ويضيف ابن خلدون الى هذه الرواية أنه يشك في صحتها لأنها لم توجد عند اليهود ولأن اليهود لا يعرفون هذه القصة (١)

ثم يحدثنا ابن خلدون أن داود لما خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه فر مع سبط يهوذا الى خيبر وملك ابنه الشام وأقام بخيبر الى أن قتل ابنه وعاد الى وطنه فيظهر من هذا أن عمراته كان متصلاً بيشرب ويجاوزها الى خيبر (٢)

غير أننا نرى أنه لا يمكن التعميل على أقاصيص من هذا النوع مردتها المراجع العربية على أنها أساطير شائعة وروايات غير جديرة بالاعتماد عليها وإذا لم يكن مؤرخو العرب قد استطاعوا أن يصلوا الى أخبار ثابتة موثوق بها عن بني النضير وقرينة ومثي كان ظهورهم في بلاد العرب فكيف يستطيعون أن يصلوا الى أخبار حقيقية عن طوائف إسرائيلية قديمة بلاد واندرت من قبل أن توجد بنو النضير وقرينة ؟ ...

كذلك لا يمكننا أن نطمئن الى الاخبار القليلة التي نصت عليها بطريقة غير مباشرة صحف العهد القديم عن وصول جموع إسرائيلية الى الجزيرة العربية ولا نستطيع أن تثبت هذه الاخبار اثباتاً حقيقياً

وانما الذي يمكننا أن نقوله على سبيل الظن اعتماداً على هذه الاخبار هو أن القدماء قد اعتقدوا أنه قد وجدت في جبال يثرب وخيبر بطون إسرائيلية قبل وصول جموع اليهود الى الأضلاع العربية في الدور الثاني

ويؤيد هذه النظرية ما نجده في كتاب العهد القديم من النص على وجود علاقة

وهم انما هموثون على ما رأوا في سفر العدد من حروب بني إسرائيل والمدينين والاموريين وغيرهم ويتوسعون في ذلك الى أرض الحجاز ويزيدون على ما عند الاسرائيليين بقية سلطان أناعيم ( رأى الاستاذ الشيخ النجار )

(١) تاريخ ابن خلدون جزء ٢ ص ٨٨

(٢) تاريخ ابن خلدون جزء ٢ ص ١٨٦ أما رواية ابن خلدون أن داود ذهب الى

خيبر ولا يوجد ما يصححها وداود لم يجاوز بحنام

مدينة بين بلاد فلسطين وبلاد الجزيرة العربية

كانت فلسطين بمثابة القنطرة التي تربط بلاد العرب وسورية من جهة ومصر والعراق من جهة أخرى وكانت القوافل العربية تأتي من بلادها إلى أسواق مدن بني إسرائيل وكنعان<sup>(١)</sup> وكان تجار اليهود يدخلون إلى سبأ في عهد سليمان وبعده<sup>(٢)</sup> كذلك نعلم أن بعض ملوك بني إسرائيل انتصروا وانتصارات باهرة على قبائل عربية وعماثلة غزوها واتهموا وأصلوا غزواتهم حتى وصلوا إلى أرض الجزيرة<sup>(٣)</sup> ونعلم أيضاً أن مدينة العقبة (أيلة) كانت في عصر من العصور مستعمرة يهودية<sup>(٤)</sup> والخلاصة أن عناصر اسرائيلية يظن أنها قد هاجرت من ديارها إلى الأقاليم العربية في عصور مختلفة ولأسباب شتى غير أنها بدأت كما بدأت قبائل عربية كثيرة ولم يبق من آثارها سوى اسمها

وقد حاول بعض المستشرقين أن يجدوا علاقة بين حوادث وقعت لقبائل عربية قديمة من جرحم وغيرها وبين أخبار دويت عن بطون اسرائيلية قديمة كانت في الجزيرة العربية<sup>(٥)</sup> ولولا قبح الاعتماد على الخدس والنجمة لما تمت من كتب في هذا الباب من المستشرقين ولكنني أؤثر الاحتياط وأفضل ألا كنت هذا المقدار لأنقل إلى السكلام عن تطور اليهود الثاني في بلاد العرب

أخذت جموع كثيرة من اليهود في القرن الأول والثاني بعد الميلاد يهاجرون إلى الأرجاء العربية عمومها وإلى الربع الحجازية بنوع خاص ولا شك أنه كانت هناك أسباب دعت هذه الجموع إلى ترك أوطانها والنزوح منها إلى البلاد العربية ويمكننا أن نلخص هذه الأسباب فيما يأتي :

(١) حزقياء فصل ٢٧ آية ٢١

(٢) ملوك جزء ١٠ فصل ٩ آية ٢٦

(٣) صموئيل ٤ جزء ١٠ فصل ١٥ وأخبار الأيام جزء ٢ فصل ٢٦ آية ٧

(٤) ملوك جزء ١٠ فصل ٩ آية ٢٦ ملوك جزء ٢ فصل ٢٦ آية ٢

(٥) دوزي ص ٩٤ — ٩٥



( أ ) زيادة عدد اليهود في فلسطين وزيادة مطردة جعلت البلاد تضيق عن أن تسعهم وتنفس لهم في سبيل الحياة وقد بلغ عددهم في ذلك الحين أكثر من أربعة ملايين نسمة وهو عدد كبير لا تتسع له بلاد ضيقة كفلسطين فاضطروا بحكم هذه الزيادة المستمرة والنمو المطرد أن يهاجروا إلى ما حولهم من البلاد المجاورة لهم كمصر والعراق والجزيرة العربية (١)

( ب ) حدث حوالي القرن الأول ق . م أن هاجمت الدولة الرومانية بلاد فلسطين وقوضت أركان الدولة اليهودية المستقلة فيها وأخضعها لسلطان النسر الروماني الذي قبض على زمام الحكم بيد من حديد ولم يكن النفور والاستياء في نفوس اليهود كان شديدا إلى حد أن الفتن والثورات العنيفة كانت تشتعل نيرانها من حين إلى آخر وكان الرومان يقمعون تلك الثورات بشدة وقسوة تزيد النفور وتضاعف الاستياء فاضطر من لم يكن يستطيع البقاء في البلاد مع هذه الأحوال القاسية أن يلجأ إلى أرض الجزيرة العربية التي كانت أحب إليهم من غيرها نظرا لانظمتها البدوية الحرة ونظرا لوجودها في أقاليم رملية بعيدة تعوق سبر القوافل الرومانية المنتظمة ومنع توغلها

( ج ) بعد حرب اليهود والرومان ( ٧٠ ب . م ) التي انتهت بحرب بلاد فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشنت اليهود في اصقاع العالم قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب للزوايا التي ذكرناها كما يحدثنا بذلك المؤرخ اليهودي يوسف الذي شهد تلك الحروب وكان قائدا لبعض وحداتها

و تؤيد المصادر العربية كل هذا فقد ذكر صاحب الاغانى انه لما ظهرت الروم على بني اسرائيل جميعا بالشام فوطنوهم وقتلوهم وتكفوا نساءهم خرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو يهدل هاربين منهم إلى من بالحجاز من بني اسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام فلما فصلوا عنها بأهلبيهم بعث ملك الروم في طلبهم

ليردهم فأعجزوه وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز وصحارى لا نبات فيها ولا ماء فلما طلب الروم الفخر انقطعت أعناقهم عطشا فماتوا وصحى الموضع نحر الروم فهو اسمه الى اليوم<sup>(١)</sup>

وتتلخص آراء بقية مؤرخى العرب في أن جموع اليهود في الجزيرة العربية قد زادت وكثرت بعد اضطهادات الرومان لليهود وقد يجوز أن تكون هذه الروايات اتصلت بالعرب من يهود يثرب وخيبر

وإذا صح ما روينا سابقاً عن تاريخ اليهود في الجزيرة العربية في الدور الاول كان مؤيداً للرأى الذى يقول إن المهاجرين في الدور الثانى قد توجهوا في بادىء أمرهم الى الجبال التى كانت مسكونة بطوائف إسرائيلية من زمن قديم

ولقد كان لليهود الى عصور الدور الثانى بضع مستعمرات صغيرة فصارت بعد ذلك الحين كبيرة وكثيرة وظهرت مدن وقرى جديدة وأطام وحصون على رؤوس الجبال وانتشرت الحركة الزراعية فى الاراضى التى كانت منذ ألوف من السنين قاحلة ماحلة لان اليهود كانوا يشتغلون فى موطنهم الاصلى بالزراعة قبل كل شىء وكانت فلسطين غنية بمحاصيل القمح والشعير والزيتون والتمر والعنب وكانت تصدر كثيراً من تلك المحاصيل الى جبال مختلفة منذ عصور قديمة

كذلك انتشرت الحركة الصناعية والتجارية وانشئت أسواق عديدة يهودية ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن الاستعمار الجديد لم يقم على حد الظن ولم يؤد الى طرد قبائل عربية أصلية من مواطنها كما حدث في الدور الاول الذى استأصل فيه الفاتحون من بني إسرائيل شافة بطون معينة وغيرها وانما الذى حدث في الطور الثانى أن ضيقاً مضطرباً نزلوا على أبناء جلدتهم فاستقبلهم هؤلاء بالحفاوة والترحيب اذ كانوا يعلمون أنهم فروا من محالب النسر الرومانى وسهل الاتراج بين هؤلاء وهؤلاء بحكم الغريزة الجنسية والعاطفة الدينية وتعاون الجميع



على العمل في سبيل الحياة فتجمعوا وأثروا وكان لهم في بلاد العرب شأن عظيم  
ويجب ألا يغيب عن البال أن جهات يثرب ووادي القرى كانت غير أهلة  
بكثير من العرب بل كانت جموع منهم تأتي إلى وديانها في أوقات معينة من  
السنة كقوافل راحلة مع إبلها لنأكل من أعشابها ثم تنزع عنها إلى جهات أخرى  
وبطبيعة الحال كان لليهود في دورهم التماسي بالجزيرة حوادث تاريخية ذات شأن  
بحكم عوامل التغيير والاتقلاب وبحكم اختلاف المزجة وتعارض الأهواء  
وتضارب المصالح فقد كان عددهم كبيراً بحيث يمكن اعتباره أمة قائمة بذاتها  
يصيبها من ضرورات الاجتماع ما يصيب غيرها ويحدث بينها وبين غيرها للعرب  
ما يحدث بين أية أمة أخرى وبين من يجاورها من الأمم ومع هذا فإننا نجد  
المصادر الإسرائيلية خالية من ذكر شيء عن تاريخ اليهود في ذلك الدور وساكنة  
عن التحدث عنهم سكوتاً تاماً كأن لم يكن هناك يهود وكان لم يحدث لهم حوادث  
وكان هذا السكوت موضع العجب عند الباحثين إذ هم يعلمون أن الأمة الإسرائيلية  
كانت كثيرة التدوين في كل عصورها مفرمة بجمع حوادثها وأخبارها في كل  
البلاد التي نزلت بها جموع منها

وهذه مراجع عبرية غير قليلة عن حياة اليهود في بلاد العراق والفرس  
ومصر واليونان والرومان نجد فيها كل ما ننطلق إليه من أخبار اليهود في تلك البلاد  
في حين لا نكاد نجد مؤلفات عبرية عن يهود العرب إلا شيئاً ضئيلاً جداً  
لا يتجاوز بضعة نصوص اندمجت في بعض الكتب اندماجاً غريباً غير مقصود  
ولا شك أن هذا مما يضاعف غناء الباحث ويسد في وجهه سبيل الكشف  
عن تواحي الحياة عند يهود الجزيرة العربية

ولكننا نستطيع أن نستنتج من هذه الناحية نفسها نتيجة ذات شأن وهي أن  
سكوت المراجع الإسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في الجزيرة العربية يدل  
دلالة قاطعة على أن اليهود في بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية

أبناء جنسهم في جهات العالم ولم تكن لهم بهم أية صلة وكأن الجزيرة التي انفردت بقبايلها وانقطعت عن العالم المتمدين انقطاعاً كلياً قضت على كل من يسكنها من اليهود أن يكون مثل أبنائها وأن يقطع كل علاقة بينه وبين يهود البلدان الأخرى ومما لا شك فيه أن الصفات المدنية التي كانت لليهود قد زالت منهم بعد استيطانهم بلاد العرب الصحراوية البعيدة عن كل حركة عمرانية وضعفت فيهم تلك الوراثة الروحانية التي حملوها معهم إلى كل بلد نزحوا إليه وأخذوا ينزلون من أوج المدنية والحضارة شيئاً فشيئاً حتى وقعوا في هوة الحمجية وصاروا مثل غيرهم من سكان تلك الجزيرة المنعزلة عن جميع العالم والمكتفين بأبسط أنواع الحياة وإن أمة تغفل تدوين تاريخها ونهمل المحافظة على نتائج قرائنها لتورثها خلفها لا يلة حتماً إلى أحط أنواع الحمجية مهما كانت درجتها في الحضارة والعمران (١)

لم يظهر شيء من النبوغ والعبقرية في يهود بلاد العرب مطلقاً ولم تشتهر من بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بلرقى الفكرى وإن كان اليهود بوجه عام أرقى وأقرب إلى المدنية من بقية العرب هذا مما لا يشك فيه أحد من مؤرخى العرب وعلماء الأفرنج ولكن يظهر أن البيئة الجديدة شلت قوى اليهود الروحانية فتغلبت عليهم العقلية البدوية حتى صارت صاحبة السطوة على أفكارهم وتقسيماتهم

وكما نرجع إلى المصادر العربية في أثناء بحثنا عن حياة العرب في الجاهلية كذلك نستمد منها أخبار اليهود في تلك العصور

وإذا كانت تاريخ القبائل العربية فيها قد وجد مشوهاً تشويهاً غير قليل

(١) على أن هذا لم ينفى احتمال وجود كتب في التاريخ والدين دونها لليهود في بلاد الحجاز ولكنها ضاعت في عصر الحروب التي حدثت بين اليهود والمسلمين في البداية



فكذلك أخبار اليهود فيها تشتمل على مبالغات كثيرة لا يمكن أن يعتمد عليها المؤرخ المحقق

ولا ريب أن كل أمة تكذب تاريخها كما تحب ونهى لا كما تريد الحقيقة المجردة عن كل غرض فهي نجتهد في أن تصور الوقائع والحوادث التي تقع بينها وبين أمة أخرى بالصورة التي تظهرها كأنها أمة قد اجتمعت فيها كل المزايا والصفات المحمودة في حين تصور خصومها بشكل يدل على أنهم قد جمعوا كل الصفات المذمومة

ومن أجل هذا نجد مؤرخي المسلمين قد شتموا الغارات القلمية بعد الخصومات السياسية والدينية على قريش الوثنية والطوائف اليهودية لأن الرائد الأسمر في تدوين المسلمين لأخبار الخصومات كانت قبل كل شيء ذكر مجد القاهرة وذل المهجورين ولو وصلت إلينا أخبار الحوادث التي وقعت بين العرب واليهود في الجزيرة العربية من مصادر اسرائيلية لكان من الممكن بواسطة المقارنة بينها وبين المراجع التاريخية العربية أن نستخلص حقائق تاريخية ثابتة

« وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث ب. م. أنهم كانوا يشكرون وجود يهود في الجزيرة العربية ويقولون ان الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات خبير ليسوا يهودا حقا اذ لم يحافظوا على الديانة الالهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود خضوعا تاما (١) »

وكان العالم شير يعتقد أن اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة . كانت يهودية في أساسها ولكنها غير خاضعة لكل ما يعرف بالقانون التلمودي (٢)

ويجد تناصبا الاغاني عن الأماكن التي نزل بها اليهود في الدور الثاني فيقول : لما قدم بنو النضير وقرىظة وبهدل المدينة نزلوا الغاية فوجدوها وبينة فكرهوها

(١) Graetz ج ٢ ص ٧٥

(٢) د ج ٣ ص ٥١

وبعضوا رائدا أمره أن يلتزم لهم نزلا سواها فخرج حتى أتى العالية وهي بطحان  
وميزور واديان من حرة على تلاع أرض غنية بها مياه غنية تنبت حر الشجر فجمع  
اليهم فقال قد وجدت لكم بلدا طيبا نزها الى حرة يصب فيها واديان على تلاع  
غنية ومدرّة طيبة في مناخر الحرة فتحول القوم اليها من منزلهم فقل بنو النضير ومن  
معيهم على ميزور وكانت لهم تلاحه وما تبقى من بعث ومحموات فكان ممن يسكن  
المدينة حتى نزها الاوس والخزرج من قبائل بني اسرائيل بنو عكرمة وبنو نعلبة  
وبنو محر وبنو زعورا وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو يهدل وبنو  
عوف وبنو القصب فكان يسكن ينرب جماعة من أبناء اليهود فيهم الشرف  
والثروة والعز على سائر اليهود . . . . . وكانت هناك معهم من غير بني اسرائيل  
بطون من العرب منهم بنو الحرمان حي من اليمن وبنو مرثد حي من بلي وبنو  
نيف حي من بلي أيضا وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهشة  
وبنو الشظية حي من غسان . . . . . (١)

وبقيت هذه البطون العربية على أديان آبائهم القديمة ولم تعتق اليهودية فعدت  
من موالي اليهود

وكانت هناك قرى كثيرة في أرض خيبر الواقعة شمال ينرب أهلة بكثيرة  
مطلقة من اليهود ثم هناك وادي القرى المشهور بأرضه الخصبة وحدائقه الزاهرة كان  
أيضا من المستعمرات اليهودية ووجد اليهود أيضا بكثيرة في أرض نباء . . .

ومن هذا يتضح ان جموع اليهود كانت منتشرة في شمال الحجاز  
ويظهر جليا من أقوال بعض مؤرخي العرب (٢) ان بطونا عربية كثيرة  
قد اختلطت بالعنصر اليهودي في بلاد الحجاز وأثرت في أخلاقه وعاداته تأثيرا  
ظاهرا ولكنهما لم نستطع أن نتغلب على عقليته الأصلية بل بقي هذا العنصر ممنازا

(١) جزء ١٩٠ ص ٩٥ الاغان

(٢) راجع ما نقلناه من كتاب الاغان عن يوم بعث في الباب الثالث



بمقلبتهم امتيازاً ظاهراً

وينكر المؤرخ اليعقوبى وجود طوائف يهودية أصلية كثيرة في الحجاز بل يعتقد أن أغلبها من العنصر العربى وأقلها من العنصر اليهودى ويقول ان بنى النضير نحد من جذام الا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير قسموا به ونزل بنو قريظة بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه <sup>(١)</sup>

ولكن من جهة أخرى يجهد طائفة من المؤرخين الافرنجى في أن نجد لبعض أسماء القبائل اليهودية اشتقاقاً عبرياً <sup>(٢)</sup>

على أن الاستدلال يبحث لغوى كهذا على جنسية اليهود في بلاد العرب لا يمكن أن يعتمد به أو يعول عليه فمن الحق ان أسماء أكثر القبائل اليهودية عربية محضة كما يقول اليعقوبى ولكنها لا تبدل على أنها عربية الجنس إذ يمكن أن تكون جموع اليهود التي هاجرت الى بلاد العرب قد اتخذت أسماء الأمكنة التي نزلت بها أسماء لها بل الواقع ان اليهود في دورهم النشأ لم يكونوا يعرفون بانسابهم بل عرفوا كلهم بأسماء المدن والقرى والأقاليم التي جاءوا منها فكان يقال مثلاً فلان الاورشليمى والآخر الخبرونى وهكذا . . . نعم كان بنو اسرائيل في دورهم الأول ينتمون الى قبائلهم فكان يقال مثلاً فلان من سبط يهوذا والآخر من قبيلة افرايم وكان اليهود في وطنهم الاصلى قبل ان تحمل بهم تلك الرزايا التي شتمت شملهم وفرنهم أيادى سبا قد وصلوا الى درجة عظيمة من المدنية والحضارة وبلغوا مكاناً علياً في الرقى الروحانى والاجتماعى حتى انهم من بينهم نظام القبائل وصاروا أمة واحدة مندمجة اندماجا كلياً حتى نسي الأفراد فكرة التمايز بالنسب الى قبائلهم ونسبت القبائل عادة الانقباض والاحتراس من أن تختلط دماؤها بدماء القبائل الأخرى بل أصبح المجموع للأفراد والأفراد المجموع كما هو شأن جميع الأمم التي تنتقل من طور البداوة الى طور الحضارة

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩ — ٥١ طبع لندن

(٢) ج ٣ ص ٧٦

وقد أشار التطود الى مسألة الانساب الاسرائيلية مبيناً انها ضاعت  
وذكر ان سبب ضياعها هو أن الملك هرودس اليهودي أحرق كتب الانساب  
الاسرائيلية<sup>(١)</sup>

ومن هنا نعرف السبب في أن اليهود الذين نزحوا الى بلاد العرب لم يكونوا  
بأكثر من أنهم يهود فحسب وفي أنهم لم يكونوا يتمايزون فيما بينهم إلا باسماء الأماكن  
التي جاءوا منها

والطريقة المثلى لمعرفة جنسية اليهود في بلاد العرب إنما هي النظر في الاخلاق  
والثقافة واتجاه الافكار والاعمال

ومن هذا السبيل نستطيع أن نحكم بأن يهود يثرب خصوصاً وشمال الحجاز  
عموماً أقرب الى العنصر اليهودي منهم الى العنصر العربي نظراً لما وصفهم القرآن  
الكريم

أقام اليهود الحصون والآطام على قمم الجبال ليتحصنوا بها في أوقات  
الحروب حين يغزوهم الأعراب الطامعون في أموالهم وحاصلاتهم الزراعية أوجبن  
تغزوهم بطون يهودية أخرى لسبب من الأسباب  
ويرجح أن فكرة إقامة الحصون والآطام على قمم الجبال في شمال الجزيرة  
العربية إنما أتى بها اليهود من وطنهم الاصل الذي كثرت في جباله الحصون المشيعة  
ومن هذه الحصون التي أقامها اليهود في بلاد العرب حصن الأبلق للسموأل  
وحصن القمومي لبني أبي الحقيق وحصون السلام والوطيج وناعم وسعد بن  
المعاذ الخ . . .

وقال السهمودي ان قبائل اليهود تنيف على العشر بن وعدة آطامهم وآطام  
من نزل معهم من العرب فزيد على السبعين جاء النهي عن هدمها<sup>(٢)</sup>

(١) פסוקים סב

(٢) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ص ٨٠



ومع ان أغلب أسماء البلدان والأماكن التي سكنها اليهود في الحجاز كانت عربية فقد وجد لبعضها اتصال باللغة العبرية مثل وادي بطحان فإن معناه بالعربية الأعنادر ووادي مبرز ور أو محزور ومعناه مجرى الماء وقل السمودي سمران جبل بخير صلى النبي على رأسه والعامية تسميه سمران وضبطه بعضهم بالشين المعجمة<sup>(١)</sup> فذا علمنا ان في فلسطين جبلا يسمى سمران أمكننا ان نستنتج ان سمران هذا إنما هو لفظ عبري أطلقه اليهود على ذلك الجبل بعد ان نزلوا إجماعه

ويؤكد صحة هذا الاستنتاج ما قلناه السمودي من ان بعضهم ضبطه بالشين المعجمة. ثم يترأى نسبتها نسبة الى رجل يهودي اسمه أريس بلغة أهل الشام<sup>(٢)</sup> ولكننا نعتقد ان هذا الاسم في الأصل غير علم بل هو نكرة يطلق في اللغة العبرية والآرامية على الفلاح الخارث. ويرر وما اشراها عمان من يهودي<sup>(٣)</sup> ومعناها بالعبرية البئر العالية ( ٦٨٥ ٦٨٦ )

وانما ذكرنا هذه الطائفة من الأسماء وبتنا علاقتها باللغة العبرية لنستدل منها على أن اليهود في بلاد العرب لم يقطعوا صلتهم بلغتهم الأصلية والعلماء المؤرخون يهتمون بمثل هذه المسائل ليستدلوا بها على مبلغ تأثير اللغة العبرية في اليهود ولينوصلوا الى معرفة موضوعات مختلفة من تاريخ العرب في الجاهلية وفي عصر ظهور الاسلام

١١

أدخل اليهود الى بلاد العرب أنواعاً جديدة من الأشجار وطرقاً جديدة للحرث والزراعة بالآلات حتى عدوا من أجل هذا أساتذة لعرب الحجاز<sup>(٤)</sup>

(١) ص ٢٨٦ خلاصة الوفاء

(٢) خلاصة الوفاء ص ٢٢٦

(٣) ص ٢٣٢ خلاصة الوفاء

(٤) Wellhausen : Skizzen & Vorarbeiten Heft 4 ص ١٤

ومنهم من حفر الآبار في الأراضي العالية <sup>(١)</sup> ومن أجل هذا كانت أراضيهم  
أخصب بلاد العرب .

وكان اليهود يشتغلون بتر بيسة الماشية <sup>(٢)</sup> والدجاج <sup>(٣)</sup> وكانوا في جهات ممنا  
يشتغلون بصيد الأسماك وكانت نساؤهم تشتغل بنسج الأقمشة <sup>(٤)</sup>

وكانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار  
لبعضهم فيها شهرة عظيمة وصيت بعيد كافي رافع الخبيري الذي أرسل بضاعه  
بواسطة القوافل إلى الشام واستورد منها الأقمشة المختلفة <sup>(٥)</sup>

ويمكن أن يقال إن تجارة البلح والشعير والقمح كانت خاصة بهم في شمال  
الحجاز . ونظراً لما كان عندهم من مال ووفرة فقد كان كثير من الأعراب يرهنون  
عندهم بعض الأمتعة ليستدينوا منهم ما يحتاجون إليه <sup>(٦)</sup> كما يقال عن النبي محمد  
أنه رهن درعاً بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شميراً لاهله <sup>(٧)</sup>

وكان أخذ الربا شائعاً عندهم حتى أن القرآن وجه إليهم بسببه أشد توبيخ  
وأعنف تأنيب لا قبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وصددهم  
عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل  
وأخذنا منكم عذاباً باله <sup>(٨)</sup>

ولكن التعامل بالربا في تلك العصور لم يكن خاصاً بهم بل كان العرب جميعاً  
يتعاملون به ولا يرون فيه شيئاً معيباً مطلقاً بل كانوا يعتبرونه نوعاً من البيع وكان

(١) Wustefeld : Geschishte der Stadt Medinah من ٢١

(٢) ابن هشام جزء ٣ من ١٨٥

(٣) ابن هشام جزء ٣ من ٢٨٢

(٤) فتوح البلدان للبلاذري من ٦٠

(٥) تاريخ الخميس للديار بكرى جزء ٢ من ١٢

(٦) البخاري جزء ٢ من ١١٦

(٧) البخاري جزء ٢ من ١١٦ و ٤٠

(٨) سورة النساء ٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢



للتعامل بالربا في مدينة الطائف شهرة فائقة عند جميع مدن الحجاز<sup>(١)</sup> وكذلك كان نصارى نجران يتعاملون بالربا<sup>(٢)</sup>

ومن الصناعات التي كان اليهود في بلاد العرب يزاولونها صناعة الصياغة التي اشتهر بها بنو قينقاع اذ لم يكن لهم صناعة سواها وكان لهم في يثرب حي خاص يعرف بحي بنى قينقاع

وقد جاء في الاغانى أن النابغة الذبياني أقبل الى المدينة يريد سوق بنى قينقاع فلما أشرف على السوق سمع الضجة وكانت سوقا عظيمة فخاص به ناقته فأنشأ يقول : كادت تهال من الأصوات راحلتى . . . ما رأيت كاليوم قط لولا أنهم ههنا بالسوط لا جئدت ، قد ملئت الحيس في الآطام واشتغفت<sup>(٣)</sup> وكانوا يزاولون صناعة السيوف والدروع وسائر الآلات الحديدية التي كانت معروفة في بلاد الجزيرة في ذلك الزمن<sup>(٤)</sup>

ولا غرو أن يكونوا كذلك فإن صناعة الدروع المسرودة اشتهر بها داود ( وأما له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد ) سورة سبأ أما الزراعة فسكانت مهنة بقية البطون التي كانت تعيش في القرى وكانت مجموعة الدوائر الزراعية لتلك البطون هي التي تكونت منها مدينة يثرب كما ينضج ذلك من وصف السهمودي للمدينة<sup>(٥)</sup>

وكذلك كانت الحلال في خيبر وفي وادي القرى وتبعا التي اشتملت على أرواف كثيرة

(١) فتوح البلدان ص ٦٦

(٢) فتوح البلدان ص ٦٤—٦٦

(٣) هذه الشطرات مأخوذة من الاغانى جزء ٢١ ص ٦٢ وهي هناك حوار بين النابغة والربيع ابن أبي الحقيق وقد اكتفينا بهذه الاشارة مراعاة للسباق

(٤) كتاب المغازي للواقدي ص ٢٧٢

(٥) خلاصة الوفاء للسهمودي ص ٨٠

وفوق ذلك فقد كان لليهود شعف يغنون القتال والنضال وقد اشتركوا مع العرب في بعض حروبهم المشهورة

وينضح لنا من جواب بني قينقاع الذي بعثوا به إلى الرسول بعد يوم بدر أنهم كانوا ذوي قوة وبطش إذ يقولون فيه : يا محمد لا يغرك انك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبحت منهم الفرصة أنا والله اني حاربناك لتعلمن اننا نحن الناس (١) كذلك نجد عبدالله بن أبي يفتخر بشجاعة مواليه بني قينقاع ... (٢)



أما لغة اليهود في بلاد العرب فكانت بطبيعة الحال اللغة العربية ولكنها لم تكن عربية خالصة بل كانت مشوبة بـ لغة العبرية لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركاً تاماً بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراساتهم فكان من الضروري أن يدخل في عربيتهم بعض الكلمات العبرية وقد ذكر صاحب فتوح البلدان أن يهود يثرب كانوا أمانيّة العرب في تعلم الكتابة العربية (٣)

ويقسم القرآن يهود الحجاز إلى قسمين : أحبار وجاهلة أميين » ومنهم أميون لا يعلمون الكتابة إلا أماني وإن هم إلا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً « (٤) وكلمة حبر هذه عبرية الأصل إذ معناها الرفيق ( ܚܒܪ ) وقد كانت تطلق في العصور الأولى ق. م على كل عضو من أعضاء الشيعة اليهودية الدينية القروشم ( ܩܪܘܫܡ ) ثم لما

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٤

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٥

(٣) البلاذري ص ٤٧٣

(٤) سورة البقرة ص ٧٨، ٧٩



تغلبت تعاليم هذه الفئة أصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب حبر<sup>(١)</sup> ولذلك  
كان الاحبار موضع الاحترام العظيم كما يتضح لنا من قصة لابن هشام **ع** قال  
عبد الله بن سلام فأدخلني رسول الله في بعض بيوته ودخل عليه بعض اليهود  
وكلوه ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم قلوا سيدنا وابن سيدنا  
وحبرنا وعلمنا<sup>(٢)</sup>

وكان من أعمال الاحبار أن يتولوا القضاء ويفصلوا للناس فيما شجر بينهم  
كما كانوا أصحاب الأمر والذهب في كل الشؤون الدنيوية كما يقول القرآن الكريم  
«لولا إيمانهم الرأينون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا  
يصنعون»<sup>(٣)</sup> وكان اليهود يستأنفون الصلاة ثلاث مرات في كل يوم وكانت قبلة  
اليهود أثناء الصلاة متجهة الى بيت المقدس كما كانت قبلة رسول الاسلام الى  
يوم هجرته للمدينة اذ يحدثنا ابن هشام أن الرسول كان يفتي بمكة وقبلته الى  
الشام فكان اذا صلى صلى بين الركنين البراني والاسود وجعل الكعبة بينه  
وبين الشام<sup>(٤)</sup>

وقد يؤكد حديث البخاري هذا القول اذ يقول ابن رسول الله كان أول  
ما قدم المدينة يصلي قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكانت  
اليهود قد أعجبهم اذا كان يصلي قبل بيت المقدس<sup>(٥)</sup>

ويحدثنا ابن هشام أن يهود يثرب كانوا يدعون الناس للصلاة بالفتح في

اليوق<sup>(٦)</sup>

(١) التفسيرية الإسرائيلية جزء ٢ ص ٩٩

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠٩

(٣) سورة المائدة ٦٨

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢٧١ و ص ٣١٤

(٥) البخاري جزء ١ ص ١٨

(٦) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠١ البخاري جزء ١ ص ١٠٦

وكان اليهود يسمون في العاشوراء فلما قدم النبي محمد المدينة وراهم  
يسومونه قال ما هذا ؟ قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من  
عدوهم فصامه موسى قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه فأمر بصيامه وكانت  
اليهود تعده عيداً (١)



واذا وقفنا الى أن نميز بين يهود الحجاز والعرب من وجهة الدين والعقيدة فإنه  
من المتعذر أن نوفق الى التمييز بين العنصرين من وجهة الاخلاق والعادات  
والنظم والتقاليد الاجتماعية لان اليهود الذين سكنوا في بلاد العرب لم يلبثوا أن  
تخلقوا بأخلاق العرب ونمسكوا بعاداتهم واتبعوا سبيلهم في النظم والتقاليد الاجتماعية  
حتى أصبحوا كأن لم يكونوا من جنس آخر غير الجنس العربي  
ولا أعلم في تاريخ اليهود القديم اقلية تأثر فيه اليهود بأخلاق وعادات وتقاليد  
أبنائه الى هذا الحد سوى اقليم الجزيرة العربية

كان اليهود في تفاخرهم وتشاجرهم على حد ما كان العرب تماماً في جميع ذلك  
وكذلك كانوا مثلهم في المدح بالشجاعة وعلو الهمة واكرام الضيف والنفور من  
البلين والبخل وكانوا يوقدون النيران في الليل ليرشدوا السائرين وليدعواهم الى  
الضيافة والاكرام (٢) كما كان يفعل العرب إعلاء الشرفيم وصيانة مجدهم .

ذكر ابن هشام أن حي بن أخطب أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد  
بنى قريظة وكان قد أودع رسول الله على قومه وعائده على ذلك فلما سمع كعب يحيى  
ابن أخطب اتفق دونه باب حصته فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فدأه حي  
افتح لي اكلك قل . أنا بفاعل قل والله ان أغلقت الحصن دوني الا تخوفت

(١) البخاري جزء ١٠ ص ١٩٨

(٢) الواقدي ص ١٧٠



حشيشتك أن آكل منها فأحفظ الرجل ففتح له (١)

وكما أن قرض الشعر كان طبيعة من طبائع العرب وسجية من سجاياهم وطريقة من أجل طرق التعبير والتفكير لديهم حتى كان المفكر العربي يستعمل في القول الموزون استرسالا يستحضر العقول ويأخذ بالألباب كذلك اندفع اليهود في قرض الشعر باللغة العربية اندفاعا قويا فجعلوا ينظمون الأبيات البديعة والقصائد المثينة في الكرم والوفاء والشجاعة وفي وصف البلدان والحيوان وفي وصف جمال المرأة والتشبيب بها . . . . . وبالأجمال كل ما كان يحرك نفس العربي ويدعوه إلى قرض الشعر من نهيد ووعيد ومدح وثناء ودم وهجاء ووصف ونقر كان يحرك نفوس الشعراء من اليهود في الجاهلية ويدعوهم إلى أن يخوضوا فيه بالقول الفصل والشعر المتن

يبدان ما وصل إلينا من شعر يهود الجاهلية قليل جدا لا يعدو بضع قصائد وأبيات مبعثرة في أمهات كتب الأدب العربي

وهكذا أفقدتنا الحوادث الكثيرة أكثر تلك الثروة الأدبية من أولئك اليهود الجاهليين ولم تترك لنا منه حتى ما يمكن الباحث الناقد أن يكون له رأي واضح عن عقليتهم وتبين شخصياتهم بعضها من بعض

يقول استاذي الدكتور طه حسين : أما أثر اليهود الأدبي فبسير الفهم لأننا نعلم كيف تؤثر هذه الحركات في العقول ولا سيما عند العرب ونزيد على أثرهم العقلي أنهم كانوا بعدائهم الأتصار ومحد بنهم إياهم شؤما على الأدب العربي وسببا في ضياع الكثير منه واختراع الكثير . . . . . ويصل الدكتور بعد بحث طويل إلى ثلاث نتائج خطيرة من أثر اليهود

— (١) أن لليهود في الأدب العربي أثرا كبيرا جنى على ظهوره ما كان بين العرب وبين اليهود

(٢) ان اليهود قلوا كثيرا من الشعر في الدين وهجاء العرب وقد أضافه مؤلفو العرب

ان اليهود انتحلوا شعرا لانبيايت سابقتهم في الجاهلية على لسان شعرائهم وشعراء العرب . . . (١)

والذي حملني على أن أثبت بعض نظريات اسنادي المذكور طه حسين بصدد شعراء يهود الجاهلية هو :

(١) اني قد جمعت كل ما ينسب الى شعراء اليهود في الجاهلية ولم أجد فيه فرقا ظاهرا يميزه عن بقية الشعر الجاهلي في حين ان هناك فرقا شاسعا لا يخفى بين اليهود والعرب من وجهة الدين والعقلية واتجاه الأفكار (٢)

(٢) لا شك في أن اللغة العبرية تركت في أشعارهم آثارا ظاهرة خصوصا فيما يتعلق بالشعر الديني ( Liturgie ) فقد كانت النزعة الدينية قوية في نفوس يهود الحجاز فليس ممكنا أن لا يوجد هناك شعر ديني يعبد التوحيد وآل موسى وأنبياء بني اسرائيل ويحط من قيمة الأصنام وعبادتها لان مثل هذا النوع قد ظهر في الادب اليهودي في كل عصوره القديمة

(٣) ان الذي يعم نظره في قصائد السموال يتضح له جليسا انها قد طرأ عليها كثير من النقليات والتغييرات حتى لم يعد على الباحث أن يميز القديم منها والحديث أو يفرق بين الصحيح والمنتهل

هذا الى أن الابيات القليلة التي وصلت اليينا من شعر اليهود لا تكفي لتخليد أسماء شعرائها مما يجعلنا نحزم بأنه قد كان هناك شعراء مجيدون ولكن ضاع شعرهم ولم يبق لهم منه الا أمثالهم كأنها صدى ما كانت لهم من شهرة وبعد صوت الى هنا

(١) مجلة الجامعة المصرية سنة ثالثة من ٧٨ من العدد الاول



(٤) إذا كان العرب أنفسهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على شعر آبائهم وأجدادهم مع انهم ظنوا كما كانوا عليه لم يصحهم شيء سوى تغيير العقيدة فبقيت لهم لغتهم وتقاليدهم فكيف كان من الممكن أن تحتفظ بشعرها أمة غلبت على أمرها حتى قبي منها من فني وهاجر منها من قُتِلَ له أن يعش ولكن في غير البلاد التي نشأ فيها وأطأ أن اليها وضاعت ورائتهم الروحية ولم يبق لهم ذكر في البلاد العربية

ليس من السهل انكار وجود شعراء من اليهود في الجاهلية فقد اشترك اليهود مع العرب في جميع المرافق الحيوية في الجزيرة العربية من اقتصادية وسياسية فبعيد كل البعد ألا يشتركوا معهم في النهضة الفكرية والشعرية

ووجود علاقة دموية متينة بين اليهود والعرب ينبت اشتراك المنصرين في النزعة الشعرية وانها كانت مطبوعة في النفس اليهودية وكامنة فيها قبل أن يسكن اليهود في الجزيرة العربية فلما انتقلوا اليها واختلطوا بالعرب وتخالقوا بأخلاقهم تمت هذه النزعة الفطرية وأزهرت ثم أثمرت ثمرها الشهي فحرض اليهود الشعر العربي انجالاً وتكافأ

وعندى أن السبب في قلة ما وصل إلينا من شعر اليهود في الجاهلية ومن أمثال شعر انهم إنما يرجع الى ضعف اقبال اليهود على اغتناق الاسلام والذي حافظ على القلب الذي وصل إلينا هم اليهود الذين اعتنقوا الاسلام ومن تناسل منهم تخليداً لما كان لأجدادهم من مجد أنبل وشرف عظيم

وقد يجوز أنه لو لم يسلم بعض الأفراد من ذرية السموأل لما وصل إلينا من شعره كثير ولا قليل ولا سمعنا حتى ولا باسمه

ويظهر أن الشعراء اليهود الذين وصل ذكرهم إلينا كانوا يعيشون في القرن السادس ب.م. فأدرك بعضهم العصر الاسلامي

ولم نعرف منهم من هو أعظم شهرة وأبعد صيناً من السمومل بن عاديا الذي  
يشعر السعد بأن أصله عبري رغم ما وجد عند بعض الأدباء الأقدمين من الميل  
الى إثبات أن هناك صلة بينه وبين بعض الأسماء العربية وقد وجدوا لهذا الاسم  
في العربية معاني مختلفة فهو اسم لطائر يكنى أبا براء وهو أيضاً الظل وذباب النخل  
السريع (١)

ولا نعرف من ترجمة حياته سوى النثر اليسير

وقال صاحب الأغاني أنه من ينرب (٢) وكان صاحب تيماء التي عرفت بتيماء  
اليهودية وعليها حصنه الابلق الفرد يشرف على تيماء بين الخجاز والشام على رابية  
من تراب فيه آثار أبقية من لبن لا تدل على ما يحكى عنها من عظمة وحصانة  
وهي خراب (٣)

وأما الأب الذي طبع ديوان السمومل حسب رواية أبي عبد الله فظويه فله  
زعم غريب في السمومل ذلك أنه يزعم أن السمومل كان نصرانياً ويستند في زعمه  
على ما يأتي :

(١) أن السمومل كان ينسب الى غسان وغسان كانت نصرانية  
(٢) أنه في بعض أبيات تنسب للسمومل ذكر للسيد المسيح والخوارزمين  
أما هذه الأبيات التي استعمل بها الأب شيخوخة فهي ما جاء في ديوان الحامسة  
لا في تمام في آخر اللامية المشهورة للسمومل

فإن بني المديان قلب لغوهم تدور رحاهم حوهم ونحوهم  
وكان بنو المديان كما وضع الأب شيخوخة من نصارى نجران (٤)

(١) قوله في التاج ص ٧ م ٣٨٢ راجع ديوان السمومل طبع الأب شيخوخة ص ٤

(٢) جزء ٦ ص ٨٢

(٣) مقيم البلدان لياقوت ص ٦٥٣

(٤) راجع مقدمة الأب شيخوخة لديوان السمومل



لكن التبريزي يقول في شرحه لهذا البيت انه لعبد الله الخارقي لا للسمول<sup>(١)</sup> ... وقبل ان أعرض لمزاعم الأب شيوخو أريد أن أمدح فيه غير انه الدينية اذ هي التي كانت الدافع الأكبر له على طبعه ديوان السمول وجمعه كل ما قاله العرب في عصورهم المختلفة عن السمول وهي التي دفعته الى أن يبذل مجهودا عظيما في سبيل اظهار ديوان السمول مبرروفاً بالشرح المفصل والملاحظات السديدة

ولم تقف نزعة الدينية عند هذا الحد بل حملته على أن يبذل مجهوداً شديداً آخر في سبيل جمع أشعار أغلب شعراء الجاهلية في مؤلف واحد وتنظيمها تنظيمًا بدعيًا وشرح ما فيها من كلمات غريبة كما جاء بأرشادات الأفرنج في هذا الموضوع وقد أطلق على هذا السفر النفيس اسم شعراء النصرانية بالرغم من ان الحقيقة التاريخية لا تسمح له بهذه التسمية

ولكنه وقد أبى على السمول أن يكون يهوديًا بالرغم من أنه لم يشك أحد في يهودية السمول فليس عجيباً منه أن يدعى أن جميع الشعراء الذين جمع شعرهم في سفره ليسوا الا مسيحيين

أما من جهة نسبة فلسنا نشكره ولا تنفيه لأن علماء العرب قد اختلفوا في نسب هذا الشاعر اختلافًا كبيراً فبينما الأغاني يقول في موضع انه السمول بن عدياء<sup>(٢)</sup> إذا به في موضع آخر يقول : ان غريباً اليهودي هو السمول بن عدياء<sup>(٣)</sup> وبينما الميداني في أمثاله يقول انه السمول بن حيان عدياء<sup>(٤)</sup> اذا بناج العروس يقول انه السمول بن أوفى بن عدياء<sup>(٥)</sup> واذا بصاحب المعاهد التنصيص

(١) ديوان الخاتمة لابي تمام طبع الرافعي ص ٣١

(٢) الأغاني جزء ١٩ ص ١٢

(٣) الأغاني جزء ٣ ص ١٢

(٤) امثال الميداني جزء ٢ ص ٣٧٦ طبع مصر

(٥) تاج العروس طبع مصر جزء ٧ ص ٣٨٢

يقول انه ولد السكاهن هارون بن عمران <sup>(١)</sup> وإنما يقولون ان قبيلته غسان اذا  
 بغيرهم يقول ان أمه فقط التي كانت من غسان  
 ونحن اذا هذا الاختلاف والاضطراب في نسب السموول لا نستطيع أن  
 نطمئن الى رأى

لكن سواء صح أن السموول كان من غسان أو لم يصح فليس يدل ذلك على  
 أنه كان نصرانياً بل ليس يدعوا للشك في صحة ما أجمع عليه المؤرخون من أنه كان  
 يهودياً ومن ذا الذي يستطيع أن يأتى ببرهان قطع على أن كل بطون غسان  
 كانت قد تنصرت بل المرجح أن البطون الغسانية التي لم تذهب الى حدود الشام  
 بقيت على وثنياتها وان هناك بطناً من بطون غسان كانت حياً من أحياء مدينة  
 يثرب <sup>(٢)</sup>

ومهما يكن من شئ، فليس يصح للعالم المحقق أن يستدل بدين بعض بطون  
 قبيلة واحدة على دين كل بطونها فليس من شك في أنه كانت هناك قبائل تدعى  
 بطونها بديانات مختلفة

ومن العجيب أن الأب المحترم لا ينكر أن شعبة بن غريص أخا السموول  
 صاحب حصن تيماء اليهودية كان يهودياً فكيف ينكر يهودية الأخ الآخر  
 والذي قلناه عن بطون غسان يقال أيضاً عن آل بني ديان لكنني أضيف  
 اليه أن الاسم « ديان » على العموم كان من الأسماء المشهورة عند اليهود فكانت  
 كل الأسرة التي تحسب لنفسها مراكة القصاص التمرعى عند اليهود تعرف باسم آل  
 ديان <sup>(٣)</sup> فمن المحتمل أن السموول الذي كان ينسب على قول بعض المؤرخين  
 الى السكاهن كان والده أو بعض أجداده حاكماً شرعياً فأطلق على الأسرة  
 اسم ديان

(١) مفاهيم التنصير طبع مصر جزء ١ ص ١٣١

(٢) الاغانى جزء ١٩ ص ٩٥



بلاحظ الأب الفاضل على ترجمة نبطوريه للسموول ويقول : وفي ديواننا  
هذا يدعو الراوى يهودياً وليس قوله مقنعاً (١) وقد تبين أن مقنع !!  
أما الأبيات التي جاء بها ذكر السيد المسيح والحواريين فواضح أن من  
السبيل على أي شاعر نصراني أن ينحليها سموول في القصيدة الثائية المنسوبة  
إليه وهذه بعض أبيات القصيدة نقل منها ما يتعلق بموضوعنا

ينفع الطيب القليل من الرز  
ق ولا ينفع الكثير الخبيث (٢)  
فاجعل الرزق في الخلال من الك  
ب وبوا سريري ما حيت

من الرزق  
الذي  
الخلال

وأنتني الانبياء عن ملك داو  
د فقرت عيني به ورضيت  
وسليمان والحواري يحيى  
ومتى يوسف كافي وليت  
وبقايا الاسباط أسباط يعقو  
ب دراس التوراة والتابوت  
وانغلاق الامواج طورين عن مو  
سى وبعده المملك الطالوت  
ومصاب الاقرس حين عصا الا  
ه واذا صاب حينه الجالوت

من  
الذي  
الخلال

(١) ديوان سموول ص ٥

(٢) في نوادر أبي زيد الانصاري طبع بيروت ( ص ١٠٤ ) ان الخليل سأل الاصمعي  
عن الخبيث في هذا البيت فقال يريد الخبيث وهي لغة خبير ويروى لغة قريظة فقال له الخليل :

البر  
الى  
موضوع  
الرد

ليس يعطى القوى فضلا من الرزق  
في ولا يحرم الضعيف الشحيت  
بل لكل من رزقه ما قضى الا  
ه وان حراً أفقه المُنشِيت<sup>(١)</sup>

ويظهر ان الأب الفاضل لم يقنع برعده فأضاف اليه قوله « ولعل فصل  
الخطاب في هذا ما يقال من أن السموءل كان من إحدى تلك الشيع الجائعة بين  
عادات اليهود وعقائد النصرانية التي اعتبرت الأردن وقت حصار الروم لاوروشليم  
فسكنت في بلاد العرب<sup>(٢)</sup> »

ويظهر من كلامه هذا انه غير عالم بتاريخ اليهود في صدر النصرانية فان مما لا  
جدال فيه انه وجدت طائفة يهودية نصرانية في بلادى أمرها في الحين الذي كانت  
فيه النصرانية دعوة يهودية بحنة وكان النصراني شعبة من شيع اليهود وقد ثبتت  
هذه الغنة بعد ان أخذت النصرانية تنتشر بين اليونان والمصريان ولم يبق للطائفة  
اليهودية النصرانية (secte judéo-chrétienne) ذكر في القرن الثالث م.م.  
وليس لنا مراجع تاريخية تثبت وجود طائفة يهودية نصرانية منفردة في الجزيرة  
العربية . . . وعلى العموم فان ديوان السموءل انطوي به مجموعة من الشعر المملح  
والقصيح والسمين والغث أنتجته قرائح مختلفة فمن شاعر منين الى آخر سخيف  
ومن شاعر مطبوع الى آخر متكلف وأغلبها مزور مدسوس على السموءل  
أما القصيدة اللامية التي أولها :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

لو كان ذلك لغتهم لقال الكثير وانما كان ينبغي ان نقول انهم يلبسون الله تاء في بعض الحروف .

(١) ديوان السموءل انطوي به طبع الاب شيخو من ١٣

(٢) ديوان السموءل انطوي به طبع الاب شيخو من ٥



والتي يقول عنها صاحب كتاب الطراز أنها تشتمل على مكارم الاخلاق من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكاتف واحتمال للمكارم... (١) هذه الالامية التي خللت اسم السموول ذهبت فيها آراء الادباء مذاهب شتى حتى ان الاغانى يقف اراءها موقف الحائر المضطرب فيقرر طورا انها لشرح بن السموول (٢) ويقول مرة أخرى انها للسموول نفسه وينسبها في موضع ثالث لشاعر غير معروف اسمه دكين العذري (١) (٣)

ولا شك ان اختلاف أقوال الاغانى ناشىء من تعدد الروايات التي كانت أمامه وكذلك اختلف الرواة في نقل القصيدة اختلافًا كبيرًا فمنهم من يقدم بعض أبياتها على بعض ومنهم من يعكس عمل الآخر ومنهم من يزيد فيها ومن ينقص (٤) فهذه الاختلافات في نسب مؤلف القصيدة وهذه التصرفات المتباينة في ترتيب أبياتها تنتج حثا الريبة في نفس الباحث في صحة نسبتها للسموول والذي يقرأ القصيدة الفريدة المنسوبة للسموول في كتاب طبقات الشعراء لابن سلام المحمى (٥) الذي يعتبر ثقة في جمعه شعر الجاهلية نظراً لقدمه وسلامه ذوقه ودقة تقديمه يأخذ المعجب حين لا يجد للسموول إلا أبياتاً قليلة مع عدم تنبيه ابن سلام على وجود أبيات أخرى للسموول

وقد جاء ابن سلام بقصيدة لشعبة بن غريص (٦) ينسب ابن نباته في شرحه لرسالة ابن زيدون (٧) نفس هذه القصيدة للسموول وهي القصيدة التي مطلعها

(١) راجع ديوان السموول ص ٢٥

(٢) الاغانى جزء ٦٠ ص ٦٧

(٣) الاغانى جزء ٨٠ ص ١٥٥

(٤) ديوان السموول ص ٢٥ — ٢٧

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام المحمى طبع مصر شعراء اليهود ص ١٠٩ — ١١٤

(٦) طبقات الشعراء ص ١١١

(٧) شرح ابن نباته رسالة ابن زيدون طبع مصر ص ٥٤

يا أيت شعري حين أئدب هالكاً ماذا تريني به أنوحي . . . . .

والسموأل أبيات لا يشك في صحتها القدماء

وقيت بأدوع السكندى إني إذا ما ذم أقولم وقيت

وأوحي عاديا يوماً بأن لا نهضم بالسموأل ما بنيت

بني لي عاديا حصناً حصيناً وقرأت كذا شئت استقيت<sup>(١)</sup>

والذي قيل في شعر السموأل يمكن أن يعتبر مقياساً صالحاً للبحث في شعر

بقية يهود الجاهلية إذ لا يمكننا بوجه من الوجود أن نقول قولاً فصلاً بأنها وصلت

البناء عن يهود الجاهلية

والشخصية البارزة بعد السموأل هي شخصية كعب بن الأشرف وكان من

أصحاب النفوذ والبطش بالسيف واللسان لا على اليهود فحسب بل على قریش

أيضاً وقد كان عربياً أكثر منه يهودياً إذ كان أبوه من عرب حنظلة وأمه من بني

النضير وقد توفي أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى أخواله فنشأ فيهم وساد وكبر أمره

وكان شاعراً فارساً وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت

بين الأوس والخزرج وكان شاعراً خللاً وخطيباً فصيحاً وكان يهجو النبي ويهجو

أصحابه فبعث النبي نفرًا من أصحابه فقتلوه في داره<sup>(٢)</sup>

وأما الأبيات التي ينسبها ابن سلام الجمحي لكعب بن الأشرف والتي

تشتمل على وصف دقيق لدار وصفها وصفاً صادقاً موجزاً فلها شهيد لشاعرها بأنه

كان مبدعاً في أسلوبه معجياً بالمنظر الطبيعية وهذه هي الأبيات

رُبَّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَهْطَ الْمَشْيَةِ أَبَاءَ أَرْفَ

ابن الجانب في أقربه وعلى الأعداء سم كالزحف

ولنا أثر رواء جمعة من يردّها بأفء يعترف

(١) الأغانى جزء ١٩ ص ٩٩

(٢) الأغانى ١٩ ص ١٠٦



وتخيل في قلاع بجة تخرج التمر كأشكال الاكف

وحرير في مجال خامة آخر الليل أهازيج يهدف<sup>(١)</sup>

وقد نسب اليه ابن هشام قصيدة في رثاء قتلى يوم بدر من سراة وعظما

مكة

طحنتم دحي بدر لمهلك أهله وتشتل بدر تستهل الأدمع

فمنات سراة الناس حول حياضهم لا تبعثوا إن الملوك تصرع<sup>(٢)</sup>

ومع أنها تلائم الحالة السياسية التي كان عليها كعب بن الأشرف وبقية قريش بعد يوم بدر وبجمل أن قائلها كان كعب بن الأشرف فلنا الحق أيضاً أن نشك في صحتها إذ لا يمكن على الإطلاق الاعتماد على كل ما سرد في كتاب السيرة فكثيراً ما نعتز فيه على قصائد طويلة ينسبها ابن هشام لبطون حمير في حين ندل لغتها على أن قائلها من قريش فكيف يمكننا أن نثق بنسبته هذه القصيدة إلى كعب بن الأشرف ... على أن الأستاذ الشيخ عبد الوهاب التاجار يقول إن وجود شعر منسوب إلى حميريين أو قحطانيين بلغة مضر لا يقتضي أن يكون مودد في السيرة قد نحل غير قائل وحمله عليه كذباً وإن كان المنسوب اليه جاهلياً

ذلك أن اللغة المضرية قد افتحمت على لغات أهل اليمن مواطنها وتغلغلت في أحشائها وآية ذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد وفدت عليه وفود قبائل اليمن القاصية والدانية ولم يكونوا يحتاجون في مخاطبتهم لرسول الله وحوارهم له ولا صحابه إلى ترجمان يعبر عما يقول بخواطر الفريقين من المعاني التي يريد كل فريق أن يلقيها إلى الآخر . وهذا على عليه السلام ومما رضي الله عنه أرسلها رسول الله إلى اليمن ولم يحتاجوا إلى مترجم يترجم لسكل منها كلام من أرسلوا

(١) طبقات الشعراء ص ١١٠

(٢) ابن هشام جزء ٢٠ ص ٢٢٨

اليهم . وهذا كما قلت دليل على أن المضربة قد سادت لغات العرب قبل الاسلام وصارت من القوم بحيث لا يستكثر مستكثر أن يقول بها الجري أو القحطاني شعر الذي يريد أن يذيعه بين العرب . . . اهـ

نم إن هناك اسما آخر يلفت عنايتنا وهو سارة القرظية التي ينسب اليها شعر في رثاء قومها بعد أن قتل أبو جيبلة أشراف اليهود حيث تقول

بنفسى أمة لم تغن شيئا      بنى حرض ثعبنها الرياح  
كبول من قرظية أنكفئها      سيوف الخزرجية والزجاج  
رزئنا والرزية ذات ثقل      يمر لأهلها الماء القراح  
ولو أربوا بأمرهم لجالت      هناك دونهم جأوى ردأح<sup>(١)</sup>

ولو صححت هذه الرواية لكان من الممكن أن نستدل بها على أن المرأة اليهودية كانت تشترك اشتراكا فعليا في جذب الرزق لأسرتها من ناحية وفي نمو القوى العقلية من ناحية أخرى

وليس ذلك بغريب على الفتاة الاسرائيلية بوجه عام في جميع أحوال تاريخ أمتها إذ قد ظهر من الجنس اللطيف اليهودى النابغات والشاعرات والبطلات والملكات



## الباب الثاني

### ظهور اليهودية في بلاد اليمن

أسباب انتشار اليهودية في بلاد اليمن — اضطراب أقوال المؤرخين في هذا السبب —  
 العوامل الدينية والسياسية لظهور اليهودية في بلاد اليمن — مطامع الدول الرومانية الشرقية  
 في بلاد اليمن — لماذا انتشرت اليهودية في بلاد اليمن؟ — وقت ظهور اليهودية في اليمن —  
 آراء المستشرقين — رأى المؤلف — أقوال مؤرخي العرب في ملوك حمير اليهود — أسباب  
 اعتناقهم اليهودية — رأى ابن هشام والقبلي — أول ملوك حمير اليهود — يوسف ذو  
 نواس — حياته كما ذكرها ابن هشام — اعتناقه أهل نجران — أسباب ذلك الاعتقاد —  
 ذكر القرآن الكريم لقبلى نجران — استنجد أهل نجران بالروم — اغارة الحبشة على  
 اليمن — تحريك الحبشة مطامع الدولة الرومانية الشرقية في بلاد العرب — عام القبلى — تأخير  
 هزيمة الدولة الحبشية في نفوس اليهود

بعد أن بينا الأسباب التي أدت إلى انتشار الديانة اليهودية في شمال بلاد  
 الحجاز نريد أن نوضح العوامل الأخرى التي دعت إلى ظهور الدين اليهودي في  
 بلاد اليمن

لم تعتمد الديانة اليهودية في بلاد اليمن على العصبية اليهودية كما كان شأنها في  
 البلاد الحجازية لأن الأغلبية المطلقة التي كونت أنصار هذا الدين الجديد في  
 اليمن كانت من سكان البلاد الأصليين

وقد اضطرت أقوال المؤرخين في أسباب ظهور الديانة اليهودية في دروع  
 بني حمير قطائفة منهم ترى أن ظهورها كان نتيجة لنضال عنيف وقع بين اليهودية  
 والنصرانية تمكنت فيه الأولى من أن تتغلب على الأخرى في بادئ الأمر ومن

هذه الطائفة العلماء ( Graetz Wellhausen Halevy )

وطائفة أخرى تعترف بأن للعامل الديني أثراً ظاهراً ولكنها ترجع أن  
الباعث الأصلي إنما هو سياسي قبل كل شيء. ومن هذه الطائفة العالمان  
( Glaser Winkler ) وهذا الباعث الأصلي الذي تراه الطائفة الأخيرة هو أن  
ملوك الدولة الرومانية الشرقية بعد أن فرغوا من أمر الأقاليم المجاورة للجزيرة  
العربية ناهبوا لضم أطرافها إلى أملاكهم فسلخوا لتنفيذ هذا الغرض طريقة  
سياسية محكمة حيث أرسلوا وفوداً من الرهبان إلى تلك البلاد وأمرهم أن يشوا  
النعاليم المسيحية بين أهل الحضر والبادية من جهة ويهدوا الأفكار والنفوس لقبول  
السلط السياسي الروماني من جهة أخرى فلما تنبه ملوك حمير لهذه الخيل وأدركوا  
ما يتعرض له كيانهم السياسي من الخطر الشديد بسببها نشطوا لاحتياضها وفكروا  
في أمضى الأسلحة التي تمكنهم من القضاء عليها فهداهم فكرهم إلى أن يعتنقوا  
الديانة اليهودية ليقاوموا ديناً توحيدياً بدين توحيدى آخر

وقد أصاب ملوك حمير في هذه الفكرة كل الإصابة لأن اعتناقهم لليهودية  
قضى على كل الحجج التي كان ملوك الدولة الرومانية الشرقية يعتمدون عليها في  
الترويج لدعوتهم السياسية وانقطعت الوسائل التي كانوا يتوسلون بها للتأثير في  
عقول أفراد الشعب وجماعاته

على أن هناك عاملين آخرين لظهور الديانة اليهودية في بلاد اليمن لم يصرح  
بها المؤرخون :

الاول : أن ملوك حمير لم يخشوا على أنفسهم من اعتناق اليهودية أن تسلط  
عليهم دولة ذات سلطان كبير ونفوذ واسع ولم يكن لليهودية في ذلك العصر دولة  
سياسية في حين أن النصرانية كانت تعتمد على الدولة الرومانية الشرقية الطامعة  
في فتح بلادهم

ومن هنا نفهم السر في مقاومة الرهبان واضطهاد أهل نجران والنفور من



الحاشيين لانهم جميعاً كانوا آله في أيدي السادة من ملوك قسطنطينية  
الثاني : — وله أثر كبير في انتشار اليهودية في بلاد اليمن — وهو أن تعاليم  
الديانة اليهودية ومبادئها أقرب الى عقاية العرب من الديانة المسيحية التي كانت  
تستمد يومئذ بعض تعاليمها من الفلسفة اليونانية

ومع أنه كان هناك في شمال الجزيرة قبائل عربية اعتنقت الديانة المسيحية  
فإنى اعتقد ان النصرانية كما كان اليونان وغيرهم يفهمونها لم تغلب في وقت ما  
على النفوس العربية بدليل ان البطون العربية المسيحية دخلت في الدين الاسلامي  
بعد انصالحها بجيوش الخلفاء الراشدين بلا كبير مقاومة في حين كان اليهود في شمال  
الجزيرة وجنوبها يدافعون عن الديانة اليهودية دفاعاً شريفاً . فيقالون جيوش  
الحبشة في اليمن قتالا شديداً رغم ما كانت عليه هذه الجيوش من قوة البأس  
وكثرة العدد الذين بواسطتهما فقط استطاعت أن تظهر على اليهود وأن تفرقهم  
وتمزقهم

كذلك لم يلب اليهود دعوة رسول الاسلام ولا يتقص من قيمة هذه الحقيقة  
ان أفراداً من اليهود دخلوا في ملة النبي محمد وولايته  
ويؤيد هذه الحقيقة ما جاء في البخاري حيث قل : لو آمن بي عشرة من  
اليهود لآمن بي اليهود (١)

وتاريخ ظهور اليهودية في بلاد حمير موضع جدل عنيف بين علماء الأفرنج  
حتى الآن

فيقير المستشرق ( Prococke ) وهو من علماء القرن الثامن عشر ان دولة  
حمير اليهودية ظهرت في القرن الاول ق . م  
ولكن العلماء يعارضون في هذا الرأي ويقولون انه لو صح هذا الخدس لكان

يوسف المؤرخ اليهودي قد تكلم عن هذه الدولة اليهودية كما ذكر ظهور دولة  
أرامية مشهودة على أطراف نهر الفرات النائية عن فلسطين وهي دولة حديب (١)  
ويقرر العالم ( Silvester de Sacy ) في كتابه (٢) أن ظهور اليهودية في  
البحر لم يسبق القرن الثاني ب . م . ولكن المؤرخ اليهودي شيفر يذكر صحة هذا  
الرأي ويقول لو وجدت هناك دولة يهودية في القرن الثاني بعد الميلاد لكان اليهود  
يملاً صحائف غير قليلة يذكر أخبارها وسرد الأساطير عنها فسكوت اليهود عن  
هذه الظاهرة التاريخية أعظم دليل على عدم وجودها في قرون تأليفه (٣) ( ختام  
اليهود في القرن الرابع بعد الميلاد )

ثم ظهرت في المجلة الآسيوية الفرنسية (٤) مقالة قيصة ناقض فيها العالم بيرون  
( Perron ) جميع نظريات من ذكرنا ويقول أن دولة حمير اليهودية لم تظهر إلا  
في القرن الخامس بعد الميلاد ويستدل بما ذكره الطبري في هذا الشأن ويقول  
أن أحيحة الذي قاتل تبارك أسعد أبي كرب ملك حمير وصاحب الدعوة اليهودية  
طلق زوجته سلمة فذهبت إلى مكة حيث تزوجت من هاشم أبي عبد المطلب جد  
النبي محمد وهذا يدل على أن مقاتلة تبارك أسعد لاهالي ينرب إنما كانت حوالي  
نهاية القرن الخامس ب . م .

ثم ما ذكره الطبري من أنه كان لتبارك أسعد بنون ثلاثة حسن وعمر و  
وذريعة وذريعة هذا على حسب رواية ابن هشام هو ذو نواس آخر ملوك حمير

(١) שמחוני ج ٢ ص ١٩٢

(٢) Memoires sur divers evenement de l'histoire des Arabes  
avant Mahomet.

(٣) Graetz ج ٣ ص ٤٠٥

(٤) Journal asiatique 1838 Novembre p 358 (Sur l'introduction  
de judaisme au Yemen. )



وإذن لا يمكن بوجه من الوجوه أن تكون هذه الدولة قد عاشت قبل القرن الخامس ب . م .

لا شك أن حجة بيرون ( Perron ) أمينة وأصح من نظريات غيره ممن ذكرناهم بيد أن هذه الحجة لا تنتج الجزم القاطع لأنها مبنية على أقوال ليست محل ثقة تامة لأن هناك شكاً في بعض الحوادث التاريخية التي ذكرناها أما أننا فأرجح أن ظهور اليهودية في بلاد اليمن قد حدث قبل أن يأسس أحد من الصعوب أن تقنع بأن قبلاً واحداً يستطيع أن يرغم أقبال حمير على اعتناق دين جديد دون أن يحدث ذلك فتناً داخلية وإن عدم وجود معارضة الدين اليهودي ليبدل على أنه كان هناك أناس من ذوى النفوذ السياسى ممنحوا للديانة اليهودية النوحيدية أن تتسرب إلى اليمن وتركوها تنتشر شيئاً فشيئاً أو ساعدوا على انتشارها بين الشعب من قبل أن يعلم أن يأسس أحد أنها صارت دين البلاد على أن المعتقد أن يكون اليهود قد وجدوا في تلك الأجزاء منذ أزمان بعيدة إذ لا يمكن أن يكون اليهود انتشروا في بلاد الحجاز في حين لا يكون منهم أحد في بلاد اليمن لا سيما وعدد كبير من اليهود نجار دائم التنقل والارتحال لتبادل البضائع في مختلف البلدان فلا بد أن تكون هناك جموع يهودية قد وصلت إلى نفود اليمن وحضرموت ثم توغلت إلى الداخل شيئاً فشيئاً

ويقول الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار إن علاقة اليهود باليمن قديمة جداً يرجع تاريخها إلى أيام ملك سليمان بن داود فقد جاء في سفر الملوك الأول في الإصحاح العاشر آية (١) ما نصه ( وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لحمد الرب فأتت لتمنحه بمسائل . فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم وكلته بكامل ما في قلبها إلى آخر ذلك الإصحاح — والإصحاح التاسع من أخبار الأيام الثانى من آية (١) إلى آية (١٢) مثل عبارة أخبار الملوك الأول تكاد تكون أحداها منقولة من الأخرى وكلاهما في وصف سليمان وحكمته وانهماش ملكة سبأ منه وتقدمها إليه الهدايا

والمنحرف التي أنت بها من بلادها ونسألهما على سليمان وإله سليمان ثم عودتهما  
إلى بلادها — وقد وردت قصة سليمان مع ملكة سبأ في سورة النمل وهي  
السورة السابعة والعشرون من القرآن من أول الآية العشرين إلى آخر الآية  
الرابعة والاربعين ومما جاء فيها حكاية قول الملكة لقومها عن كتاب سليمان  
« قالت يا أيها الملأ إني أتتني آية من رب سليمان وإله سليمان باسم الله  
الرحمن الرحيم ألا تعملوا على وأنوفى مسلمين . قالت يا أيها الملأ أنوفى فى أوفى  
ما كنت فاطمة أمراً حتى تشهدون . قلوا نحن أولو قوة ولولو بأس شديد والأمر  
الليك فانظري ماذا تأمرين . قالت إن الملك إذا دخلوا قرية ففسدوها وجعلوا أمرة  
أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإنى مرسل اليهم بهدية فتناظرة به يرجع المرسلون »  
ومنها ( فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو . وأوتينا العلم من قبل وكنا  
مسلمين ) ومنها ( قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبنه لجة وكشفت عن ساقها  
قل إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب أنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله  
رب العالمين )

وأخبرنى السيد محمد بن عقيل من سادات المذكرة أنه قرأ فى تاريخ الجندى  
من نحو خمسين سنة أن اليهود حين غلب الحبشان على اليمن رحلوا إلى  
حضرموت وكان مقامهم بملك النواحي إلى خروج الحبشان من اليمن — اهـ . . .  
وقد أثبت العالم جلادز ( Glaser ) وجود اليهود فى اليمن وحضرموت منذ  
عصور كثيرة قبل ظهور الاسلام وأذن فيؤلا اليهود هم الذين أنبتوا النبات فى  
النفوس وتعمدوه حتى ترعرع ثم تأصلت جذوره وظهور الميل عند قيل أوعدة  
أقبال لا اعتناق اليهودية كما اعتنقت بطون عربية الديانة المسيحية بسبب نفوذ  
الريبان وانتشار الدعوة إليها تدريجاً وقد كانت هناك جموع من العرب اليهودية  
وهى بطون كنانة وبني الحارث بن كعب وبني كندة سكنوا جميعاً بجوار مكة (١)

(١) Wüstenfeld من ٢٠٩ عن ابن قتيبة ج ٣ من ٤٠٥ Graetz



وقد يكون في حكم الممكن انه بعد ان قتل تبيان أسعد واجمعا من يترب جمع  
الاقبال المتهودة وكون فيها دولة حميرية يهودية اسد هجوم الدولة الحبشية وسد  
السبيل في وجه مظاهرها وانع انتشار النصرانية التي كان ملوك الروم يتوسلون بها  
الى تنفيذ مظاهرم الاستعمارية

\*\*\*

أما مؤرخو العرب فيأثرون بقصة طويلة تشير الى سبب جدير بالاعتبار لظهور  
الدولة اليهودية في اليمن

يقول الطبري كان تبيان أسعد حين أقبل من المشرق جعل طريقه على المدينة  
وقد كان حين مر بها في بناءه خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقتلها وهو  
جمع على تخريبها واستئصال شأفة أهلها وقطع نخيلها غير أن مسكان المدينة كانوا  
يقاقلونه بالنهار ويقولونه بالليل فأنجبه ذلك منهم فبينما هو على ذلك من حربه لم  
اذ جاءه خبر أن من أحببوا اليهود من بني قريظة عاذاست راسخان حين سمعوا ما  
يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالوا له أيها الملك لا تفعل فانك إن أبيت إلا  
ما تريد حبيل بينك وبينهم ولم تأمن عليك عاجل العقوبة لأن يترب مهاجر نبي  
يخرج من هذه البلدة من قريش في آخر الزمان فنأهى عنه ذلك الذي سمع من  
قولها عما كان يريد بالمدينة ورأى أن لها علما وأعجبه ما سمع منها فأنصرف عن  
المدينة وخرج بهما الى اليمن وأتبعها على دينها . . . (١)

وكذلك يروي هذه القصة صاحب السيرة النبوية وغيره من بقية مؤرخي  
العرب دون أن يزيدوا شيئا

بعد ذلك يقول الطبري : لما توجه تبيان أسعد الى اليمن مع جنوده حالت  
حمير بينه وبين دخوله الى بلاده وقتلوا لا ندخلها وقد فارقت ديننا فدعاهم الى  
دينه وقال انه دين خير من دينكم فقلوا فلما كنا الى النار فوافق الملك وكانت باليمن

(١) فل يتصرف من كتاب الامم والملوك للطبري جزء ٢ ص ٢٥

نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه فأكل الظالم ولا نضر المظلوم ولما قتلوا ذلك لبنان  
 قل أنصفتم فخرج قومهم بأوثانهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديهما  
 حتى قصدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت إليهم فلما أقبلت نحوهم  
 حادوا عنها وهابوها فندمهم من حضرم من الناس وأمرهم بالصبر فصبروا حتى  
 غشيتهم وأكالت الأوثان وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى جباههما لم  
 تضرهما فأصفت حمير عند ذلك وعند ذلك كان أصل اليهودية باليمن . . . .<sup>(١)</sup>  
 ولكني أميل إلى انكار صحة هذه القصة بنقض الطرف عن أنها خرافة لأن  
 الأمم لا تبدل أديانها كما تبدل الأفراد ثيابها بل أن التغييرات السياسية والدينية  
 إنما تحصل إما بتغيير عقل، وإتقلاب عقل مندرج في برهة طويلة مستمرة وإما  
 بالنورة العنيفة تهدم القديم مرة واحدة وتبنى الجديد مرة واحدة أيضاً . . . .  
 والذي نعلمه عن حسن بن تبيان أنه سار بأهل اليمن يريد  
 أن يظا بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق  
 كرهت حمير المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فكلموا أخاه له فقال له عمرو  
 وكان معه في جيشه فقال له اقتل أخاك حسن وتملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا  
 فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذراعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه  
 فقال ذراعين.

ألا من يشترى سهرًا بنوم      سعيد من يبيت قرير عين  
 فلما حمير غدرت وخانت      فمعدرة الآله لدى رؤيين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا الكتاب  
 عندك فقبل ثم قتل عمرو وأخاد حسن ورجع من معه إلى اليمن فلما نزل عمرو بن  
 تبيان منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما أجهد ذلك سأل الأطباء والحزاة



من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم انه والله ما قتل رجل قط أخاه  
بغبا على مثل ما قتلت أخاك عليه الا ذهب نومه وساط عليه المهر فلما قيل له  
ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسن من اشراف اليمن حتى خلاص  
الى ذى رعين فقال له ذورعين ان لي عندك برادة فقال وما هي قل الكتاب الذى  
دفعته اليك فأخرجه فاذا فيه البيان فتركه وذلك عمر . . . فرج أمر حمير عند  
ذلك ونفروا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له  
أخنية يتوف بقتل خيارهم وغيب بيوت أهل المملكة الى أن تغاب عليه  
دُرُعه ذو نواس ابن تيهان أسعد أخى حسن وكان صديقا بين قتلى حسن ثم شب  
غلاما جميلا ذا هيئة وعقل<sup>(١)</sup>

ويمكننا أن نستخرج من هذه الحوادث أن النور والضعف تغلبا على الدولة  
بعد موت تيهان أسعد أبى كرب وأن موجبات الكراهية والنحاسد والتنافس قد  
فشلت بين أفراد الأسرة المالكة فانفسح المجال أمام رواد الفتن وهبى الاضطراب  
فلعبوا دورهم بانقان ونجاح

ولا نعلم مبلغ تأثير هذه الفتن والاضطرابات على دين الدولة ولما إذا كانت  
نورة أخنية يتوف منجبة الى الأسرة الحاكمة فقط أو كانت الفكرة منجبة أيضا  
الى هدم كيان اليهودية فى اليمن فإن جميع المصادر العربية لم تشر أقل اشارة الى  
شئ من هذا

ولكننا مع ذلك نميل الى ترجيح أن يكون النور قد رموا بنورهم أيضا  
الى هدم اليهودية إذ لا بد من آلة يستعملونها للتأثير فى نفوس الشعب وتمييز  
عواطفه وخير وسيلة لذلك إنما هي أن يظهروا بظهور المدافعين عن عقيدة الآباء  
والاجداد ودين البلاد الاصلى لا سيما وقد كان كثيرون من الاقباليين لم يستبدلوا  
بعد الديانة الوثنية بغيرها

ومن المحتمل أن التأثيرين كانوا يستمدون قواهم وأموالهم من الخارج ويرجع هذا الاحتمال ما جاء في بعض المراجع اليونانية من أن ثورة وثنية نارت ضد ذي نواس كما سنوضح ذلك فيما بعد  
وقد جاء في المصادر اليونانية كثير من الأخبار عن ذي نواس وهذا كما جاء منها الكثير أيضاً في المراجع العربية

يعتقد العالم Perceval أن ذا نواس حكم بلاده من سنة ٤٩٠ — ٥٢٥ ب. م. في حين يقول شيفر إن ذا نواس ارتقى العرش سنة ٥٢٠ — ٥٣٠ ب. م. (١)  
وينضح لمن يبحث في ترجمة حياته أنه لم يكن أول ملك يهودي بسبيل أن تربته كانت يهودية محضة وأنه كان في عقله وميوله يهودياً متعصباً لدينه مما يحمل على الاعتقاد بأنه قد لقن أساس الديانة الاسرائيلية من نعومة أظفاره  
بذل علماء البحث والتنقيب جهوداً كثيرة في سبيل العثور على شيء من آثار الدولة الحميرية اليهودية ولكنهم لم يعثروا على شيء منها مطلقاً  
وهذا يدل على أحد أمرين

١ (١) أن هذه الدولة لم توجد من الوقت ما يكفي لانشاء الأعمال العظيمة والآثار الخالدة التي ترشد الخلف وتدل الاجيال المقبلة على ما كان لها من قوة بأس وعظم سلطان

٢ (٢) أن الضغط الحبشي الذي قضى على دولة حمير اليهودية محاذ كل ما كان له علاقة باليهود وقضى على جميع آثار دولتهم لأن الصراع الذي كان بين الحبشة ودولة حمير اليهودية لم يكن نزاعاً سياسياً فقط بل كان نزاعاً سياسياً ودينيّاً في آن واحد ونحن نعلم أن الحروب الدينية أشد هولاً من السياسية وفيها يبذل المنتصرون كل مرتخص وغال في سبيل استئصال شأفة الدين المغلوب ومحو آثاره  
ويحدثنا ابن هشام عن حياة ذي نواس بقوله : ونسب ذو نواس يوسف فأقام



في ملكه زمناً. وبسجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم وهم أهل فضل واستقامة فسار اليهم ذو نواس بجنوده ودعاهم الى اليهودية فخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فمعد لهم الاخدود فحرق من حرق بالنار وقتل بالسيف من قتل ومثل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً . . . . .<sup>(١)</sup>

والذي يعلم أن سجران لم تكن سوى بلدة صغيرة يتدهش لهذه المبالغة في عدد القتلى إذ لم يكن عدد سكانها يزيد عن بضع مئات وفضلاً عن ذلك فإن ذا نواس لم يقتل كل أهالي سجران بدليل أن لهم ذكراً في أخبار صدر الاسلام<sup>(٢)</sup> وإذن فليس من شك في أن عدد القتلى من نصارى سجران لم يدرك عشرين ألفاً بوجه من الوجود فهي مبالغة ظاهرة سببها أن اضطهاد ذي نواس للنصارى كان عنيفاً جداً حتى أنه ترك آثاراً هاجت النفوس العربية في البادية والحاضرة

وقد خلد القرآن الكريم ذكرى قتلى سجران بآيت من ذهب : قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . . . .<sup>(٣)</sup>

أما المصادر اليونانية فنقول إن معاملة ذي نواس للنصارى سجران لم تكن إلا رد فعل لاضطهاد الدولة الرومانية لليهود حيث كانت تدقيقهم الأمرين بواسطة عمالها في كل بلادها باسم الدين<sup>(٤)</sup>

بعد تلك الاضطهادات التي أصابت نصارى سجران حدث : أن أفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو تعلبان على فرس له فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره

(١) ابن هشام جزء ١٠ ص ٢٤

(٢) ابن هشام جزء ٢٠ ص ١٦٥

(٣) سورة البقرة ٤ — ٨

(٤) Graetz جزء ٢٠ ص ٨٨

بما بلغ منهم فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بنأره فقدم دوس على النجاشي بكتاب قبصر فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً يقال له أرياط ومعه في جندده ابرهة الاشرم فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو نملبان وسار اليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقى الجمعان انهزم ذو نواس وأصحابه ... ولم يستطيعوا الثبات أمام جيش النجاشي فتجه ذو نواس نحو البحر وضرب فرسه نفاض به ضحطاحه حتى أفضى به الى غمره ... (١)

على أن المؤرخ اليوناني يوحنا من مدينة افروس يقص خبراً لم نقصه المراجع العربية وهو أن دوميتوس الخوري قبض على تجار من نصارى الروم وقتلهم واستمر يُعامل تجار الروم بالقسوة والعنف ويضطهدوهم اضطهاداً شديداً كلما مر منهم أحد ببلاد اليمن حتى اقتطع جميع التجار المسيحيين من دخول بلاد اليمن فأصبحت الأسواق التجارية الخيرية بالكساد وضعفت فيها الحركة ضعفاً شديداً لأن هذه الأسواق كانت تستمد حياتها الاقتصادية مما تصدره الى الخارج من الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية ومما يرد اليها من حاصلات البلاد الأخرى وكانت تغور بلاد اليمن هي الواسطة بين الهند وبين جميع الاصقاع الشرقية والغربية فكانت أسواقها لذلك شديدة الحركة كثيرة المعروضات وملئى تجار كل هذه الجهات

لم يكن من الممكن أن ينظر اليمنيون الى شل حركة أسواقهم بعين الرضى لذلك تقدم ايسوج قبل من أقبال اليمن الوثنين الى ذى نواس وقال له ان أعمالك القاسية سنؤدى الى نقل الحركة التجارية من نفورنا الى نفور أعدائنا فأجابه ذو نواس بقوله إن اخواني اليهود في بلاد الروم يذوقون ألواناً شتى من الأهوال



والتعذيب فأنا أريد أن أكف أيدي الروم عن اقرار الانتم بالابرار بمعاملتي  
لتجارهم هذه المعاملة السيئة . . .

ولم يرتض ايدوج هذا الجواب ولم يوافق على هذه السياسة التي يرى أنها  
ستؤدي الى خراب البلاد ففكر في أن يتخلص من ذى نواس فاتفق مع باقي  
أقبال النين الوثنيين وجمع بواسطتهم جموعاً كثيرة قاتل بها ذا نواس حتى تغلب  
عليه وقتله ثم اعتنق ايدوج الديانة النصرانية . . . (١)

هذه هي رواية المؤرخ اليوناني يوحنا وهي تخالف ما نقلنا عن المصادر العربية  
من أن جيوش الحبشة هي التي قضت على دولة ذى نواس  
ونحن نرجح ما رواه المراجع العربية لأن انكار غزو الحبشة لليمن غير ممكن  
مطلقاً نظراً لأنه قد يؤدي الى انكار حوادث هامة أخرى حدثت في بلاد النين  
والحجاز بعد ذلك بزمان قليل

على أن لدينا شهادة لقائد من قواد الجيش الروماني الشرقي الذي كان يحارب  
في العراق ضد الجيش الفارسي أثناء وقوع حوادث النين هذه وهو يقصها بأسلوب  
لا يتعارض مع ما جاء في كتاب السيرة لابن هشام ويعرف هذا القائد باسم  
( Prokop ) بروكوب وهذه هي شهادته : . . . وقد استعد ملك الحبشة  
( Hilistiaus ) الذي كان يغالى في دينه لخاربة ذى نواس لأنه كان يأخذ الأموال  
من تجار النصارى بغيا ثم جاء بجيش عظيم الى باب المندب وشن الغارة على سواحل  
بلاد حمير فسار ذو نواس اليه ولسكنه انهزم هزيمة منكرة وهلك (٢)

ولست أميل الى الرأي القائل بأن رواية المؤرخ يوحنا من مدينة افروس  
مختلفة بل افترض أنها حدثت أثناء الاضطرابات الداخلية التي حدثت بعد قتل

(١) Graetz جزء ٣ ص ٤٠٨ — ٤٠٩

(٢) Graetz جزء ٣ ص ٤٠٩

حسن بن تبيان أسعد أبي كرب إذ قد يحتمل أن أخشيعة ينفون الوثني أو غيره  
طمع في عرش دولة حمير وحارب ملكاً من ملوكها وقتله وحكم البلاد بعدد برهة إلى  
أن تار أحد أفراد الأسرة التي كانت مالكة للملك المقتول وأعاد النظام إلى نصابه  
وأخذت المياه تجري في مجراها

وهذا الفرض لو رجعت صحته يؤيد بقية ما أشرنا إليه من اضطراب حبل  
الأمن بعد أن قتل حسن بن تبيان أسعد

ومما يمكن من شيء فقد كانت مساعي الحبشة وجهودها ضد الدولة الحميرية  
المتهودة بالشجاج وتم لها القضاء على هذه الدولة قضاء نهائياً

وقد اشترك يوسطين اشتركا كفعلياً في فتح اليمن لأنه أرسل أسطول مصر  
البحري مشحوناً بالبنون والأسلحة إلى الثغور اليمنية ويرجع بعض مؤرخي الأفرنج  
أن جيوش يوسطين كانت معتزلة أن تحتل اليمن بعد أن فتحها الحبشة ولكن  
قوات الفرس أفلقت راحتها على حدود سورية فمنعتها من ذلك<sup>(١)</sup>

بعد أن خضعت الحبشة شوكة الدولة الحميرية اليهودية في بلاد اليمن اتجهت  
نحو الوثنية تريد هدمها وكان من مجهوداتها في هذا السبيل بناء أبرهة لكنيسة  
القليس المشهورة في صنعاء ليصرف إليها حج العرب<sup>(٢)</sup>

غير أن النساء وهم رؤساء الديانة الوثنية قاوموا فكرته ووقفوا سداً في سبيل  
تحقيق غرضه فصمم أبرهة على تنفيذ فكرته بالقوة وخرج بجيش كبير إلى مكة  
يريد هدم الكعبة وإبطال عقائدها غير أنه لم يوفق أيضاً لأن جيشه انكسر  
انكساراً شديداً فعاد منهزم إلى اليمن كما يحدثنا ابن هشام بأخبار هذه الحملة المعروفة  
بعام الفيل<sup>(٣)</sup>

(١) Graetz جزء ٢ ص ٨٨

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٤٣

(٣) ابن هشام جزء ١ ص ٤٧ — ٥٤



وقد أشار القرآن الى هذه الواقعة في سورة الفيل حيث يقول « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كول »

وقد كان لانكسار الدولة الحيرية أمام الحبشة رنة أسي شديدة في قلوب اليهود فظهرت مع الزمن أقاصيص كثيرة وأساطير خرافية عن أبطال حمير ، فمن ذلك ما قيل أن أصل هؤلاء من بقايا أسباط بني إسرائيل البائدة وأن هذه الجيوش لم تغلب على أمرها بل رجعت على أعقابها الى داخل البلاد الرملية وإنها كانت في تلك الأوجاء دولة عظيمة يظهر بطشها في اليوم الذي ينحاح لها فيه النضال ويؤذن لها بنحوض الممارك

وقد كانت هذه الأقاصيص سبباً في أن شرع جماعة من اليهود في القرون الوسطى يرسلون الى بلاد العرب ليمسحوا عن تلك الجيوش التي توارت عن العيون . . . .

## الباب الثالث

### بطون يثرب وحوادثها وعملها قاترا باليهود

بطون يثرب وحوادثها وعلاقتها باليهود — تأثير انكسار الدولة الحميرية في حياة اليهود  
ببلاد العرب — تحرش الدولة الرومانية الشرقية باليهود في بلاد العرب — هجرة بطون  
الافوس والخزرج الى جهات يثرب — اضطراب أقوال مؤرخي العرب في زمن هذه الهجرة  
— نس ابن هشام — رأى صاحب الاغانى — رأى الاستاذ الخطرى بك — سيل العرم  
وزمن حدوثه — آراء المستشرقين فيه — نتيجة بحاث العالم جلاز في هذا الموضوع —  
سوء حال الافوس والخزرج — أوائل هجرهم — وصف السعوىدى لليهود وبطون  
الازد أثناء سيادة التوافق والصفا بينهم — انقلاب الصفا الى عداوة بين اليهود وبني الازد  
وأسبابه — قصة السعوىدى عن الملك الفيظون — رأى المؤلف فيها — رأى صاحب  
الاغانى في سبب ظهور العداوة بين اليهود والعرب — من هو أبو جبيبة ؟ — لماذا ترح  
أبو جبيبة لمحاربة يهود يثرب ؟ — هل كانت هناك مخالفة بين بطون الازد وملك غسان ؟ —  
الارتياح في صحة قصة أبي جبيبة وامنظاده لليهود يثرب — ملك غسان والدولة الرومانية  
الشرقية — الكفاح العنيف بين اليهودية والنصرانية في الجزيرة — يوم بعث — قصة  
حوادث يوم بعث — حياة العرب في الجاهلية — نتائج يوم بعث

يقول العلماء ان النكبة الشديدة التي نزلت باليهود في بلاد حمير قد أنتجت  
نتائج سيئة لم يكن في الامكان أن تحدث لولا هذه النوائب  
وأهم هذه النتائج نحمس العناصر النصرانية التي كانت تعتمد على مؤازرة  
الدولة الرومانية ضد الديانة اليهودية وتحررها لهدم كياناتها والتقصاء على أصولها  
ومبادئها في جميع أنحاء الجزيرة العربية وتهديج طمع القبائل العربية في أموال اليهود  
ومستعمراتهم ورغبتهم في الحصول عليها والاستئثار بها



وقد كانت القبائل العربية قبل ذلك أى في العصر الذى نمت فيه اليهودية في بلاد اليمن وانتشرت بين سكانها لا تجرؤ مطلقا سواء منها الحضري والبدوي على أن تمس اليهود بأذى في شمال الحجاز أو تصيبهم بأذى ضرر بل بالعكس تسرب نفوذ اليهودية في ذلك الشطر من الزمن بين الأعراب حتى صاروا يدخلون فيها زرافات ووحدانا مما جعل بعض المستشرقين من أنصار Wustenfeld على الاعتقاد بأنه قد ظهرت في يثرب دولة يهودية امتد سلطانها السياسي حتى شمال الحجاز بأجمعه

ولكن الواقع ان هذا رأى مبالغ فيه اذ ليس عندنا مصادر موثوق بها تؤيد وجود دولة يهودية في شمال الحجاز اللهم الا اذا استثنينا قصة خرافية عن الفيضون ملك يثرب<sup>(١)</sup> وليس لها في الواقع ظل من الحقيقة كما سيأتى بيانه

ونريد قبل ان نوفي حوادث اليهود مع العرب في شمال الحجاز حقها من التفصيل والبيان أن توجه الانظار الى البطون العربية المجاورة لهم وهي التي نلم بأخبارها بعض الامام . يقول ابن هشام عن هجرة الاوس والخزرج الى جهات يثرب : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن انه رأى جرّدا يحفر في سد فارب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أراضيهم فعلم انه لا بقاء له على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فكد قومه فأمر أصغر ولده اذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقبل ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدى وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غصية عمرو فاشتروا منه أمواله وقالت الازد لا نخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فسااروا حتى نزلوا بلاد عك بجحاز بين يرتادون البلدان فخار بهم عك فكانت حربهم سجالا ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلدان

(١) كتاب الوفاء لليهودى ص ٨٣

فقتل آل جنة الشام ونزلت الأوس والخزرج بنزولهم ونزلت خراطة مرأ... (١)  
 وينضح لنا من قصة ابن هشام أن نزوح الأوس والخزرج إلى جهات بنزولهم  
 حدث قبل سيل العرم لكن صاحب الأغاني يعتقد أن خروج الأزدي من اليمن  
 حدث بعد سيل العرم ويقول: لما أرسل الله سيل العرم على أهل مارب وهم الأزدي  
 قام رائدهم فقال من كان ذا جمل فمن ووطب مدن وقوية وشن فليتنقلب عن  
 بقرات النعم فهذا اليوم يوم هم وليلحق بالثني من شن فكان الذين نزلوه ازد شنودة  
 ثم قال لهم ومن كان ذا فقة وفقر وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطان مر فكان  
 الذين سكنوه خراطة ثم قال لهم من كان منكم يريد الخير والأمر والنأير  
 والديساج والخبر فليلحق ببصري والحضير وهي من أرض الشام فكان الذين  
 سكنوه غسان ثم قال لهم ومن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ويزاد جديد  
 فليلحق بقصر عمان فكان الذين نزلوه ازد عمان ثم قال ومن كان يريد الراسخات  
 في الوحل والمطعمات في الحبل فليلحق بنزول ذات النخل فكان الذين سكنوها  
 الأوس والخزرج... (٢)

وأما الأستاذ الفاضل الحضري بك فيرجح الرأي الأخير لـ...  
 (١) لأن مفارقة البلاد عند النفس عدل مفارقة الروح وكلاهما أمر مكروه  
 شنيع فيبعد جداً أن يقدم عليه شخص هو وأولاده وعشيرته مجرد خبر لا يقطع  
 أملاً خصوصاً أنه سائر إلى بلد لم يخبره  
 (٢) وردت هذه القصة في سورة سبأ على هذا النحو «لقد كان لسبأ في  
 مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة  
 ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي  
 أكل خبط وأثل وشيء من سدر قليل» فهذا واضح في أن سيل العرم أصابهم

(١) ابن هشام جزء ١ ص ١٢

(٢) الأغاني جزء ١ ص ٩٥



وبدل من شكل أرضهم وهم يقيمون بها . . . (١)

والتسليم بأحدى النظريتين المفروضتين في سبب خروج بني الأزد من اليمن لا يجدنا نفعاً في المعضلة الجوهرية وهي تعيين زمن حدوث سيل العرم فلراجع العربية لا تأتينا بشئ قليل أو كثير عن زمن وقوع هذه الحادثة الطبيعية المهمة في بلاد اليمن وكان الرأي السائد عند المستشرقين أن سيل العرم حدث في عصر قديم في القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد وكانت هناك طائفة من علماء الأفرنج تعتقد أن كل الروايات التي جاءت عن سيل العرم إنما هي خرافات وأباطيل واستمرت هذه الطائفة مقتنعة برأيها هذا حتى ظهرت بحوث العالم المحقق Glaser في سنة ١٨٩٦ حيث قرر ارتكائاً على منقوشات جلبها من أرض اليمن أن السيل قد حدث فعلاً ولكن لم يحدث في مدة واحدة بل تكررت نواته مرات عديدة أما سببه فلا يرجع إلى الطبيعة من حدوث أمطار غزيرة في مرات متوالية فحسب بل كان نتيجة إهمال شديد لهذا السد العظيم نشأ عن فتن داخلية بين الأقبال من جهة وإغارات مشوالية من الخارج من جهة أخرى ولما تطاولت الأزمان على السد مع هذا الإهمال الشديد تصدعت جوانبه شيئاً فشيئاً ووهت أركانه قليلاً قليلاً

فلما حدث سيل العرم الأول في سنة ٤٤٧ ب . م الذي استمر إلى سنة ٤٥٠ تنبه القوم إلى الخطر المحقق بالسد فاهتموا بأمره وأصلحوه من شأنه ولكن لم تعد له منفعته القديمة فلم يحصل السبول المتواردة زمناً طويلاً وانكسر ثانياً سنة ٥٣٢ ب . م . . . . (٢)

بعد هذه التحقيقات الجلية زال الشك من النفوس في صحة روايات سيل

(١) تاريخ الأمم الإسلامية جزء ١ ص ١٨

(٢) راجع كتاب Zwei Inschriften über den Dambruch von Mareb

M. d. v. G.

العزم وانتهى كل ريب في حدوثه ومال بعض المستشرقين الى الجزم بأن نزوح البطون الأزدية حدث بعد سيل العرم<sup>(١)</sup>

ولكن من المتعذر على الباحث الذى يحمل في يده مصباح عقلة أن يقتنع بأن جميع البطون الأزدية هاجرت الى شمال الجزيرة بسبب واحد هو سيل العرم بل دأباً يرى أنه من المحتمل أن تكون هناك أسباب أخرى اجتمعت مع سيل العرم أو انفردت دونها واضطرت بعض هذه البطون الى ترك وطنها والهجرة الى الأرجاء النائية عنه

على أنه يحسب الى أن المؤرخين أصرقوا في التكبير من شأن سد مأرب وهو لعارق النتائج التي ترتبت على انكساره مبالغة كبيرة اذ كان هذا السد فيما نعلمه من أبحاث ياقوت في معجم البلدان قديماً ومن مجهودات قريحة جلازر Glaser حديثاً يسقى ربوة من الأرض لم تكن مسكناً لكل بطون الازد

وبرجح رأينا هذا ما نجده في جميع الروايات التي تضمنت حوادثه وأخباره من الغموض والابهام والنقص الظاهر في البيان والتفصيل مع انه حدث حوالي قرن واحد قبل الاسلام وقد تراكت بشأنه القصص والأساطير حتى صارت عرضة لان يشك العلماء في صحتها جميعاً ولم يرجعوا عن شكهم الا بعد ان ظهرت أبحاث العالم جلازر Glaser

واذا كان هذا شأن حادثة وقعت قبل الاسلام بقرن واحد فماذا يكون شأن الحوادث التي وقعت قبل سد مأرب بنحو خمسة قرون أو أكثر ؟ . . . وهل يمكننا أن نعول على أخبارها التي ذكرت في السيرة وفي الطبرى وفي الواقدي ونستنتج منها نتائج ننظم بها أبحاثنا في تاريخ الجاهلية ؟ . . .



من المتعذر علينا إذاً أن نعين الزمن الذي وصلت فيه الأوس والخزرج الى جهات يثرب فلنكتف بما قلناه القداماء من انهما من أزد اليمن وأنه قد وجدت هناك بطون من اليهود قبل وصولهما الى يثرب

يقول لنا صاحب الأغانى « فلما توجه الأوس والخزرج ووردوها نزلوا في حرار ثم تفرقوا وكثرت منهم من لجأ الى عفاء من ارض لا ساكن فيه فزلوا به ومنهم من لجأ الى قرية من قراها فكانوا مع أهلها فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جيد وضيق في المعاش لبسوا بأصحاب نخل وزرع وليس للرجل منهم الا الاغداق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من ارض موات والأموال لليهود فلبث الأوس بذلك حيناً . . . (١)

« وأقام اليهود والعرب مدة طويلة يسود بينهم الوثام والوفيق دون أن يحدث ما يكدر أو يفرق بينهم

فكانت السلطة في أيدي اليهود ومواليهم من البطون العربية وكانت الأوس والخزرج تشغل في الدوائر الزراعية اليهودية ومنهم من كانوا يشترون مع اليهود في قوافلهم التجارية

ويحدثنا السهمودي عن حالة اليهود والأزد في دور سيادة الوثام والوفيق بينهم فيقول : . . . وقد وجد الأوس والخزرج الأموال والآطام بأيدي اليهود والعدد والقوة معهم فكانوا ما شاء الله ثم سألهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً يأمن به بعضهم من بعض وينتفعون به من سواهم فحالفوا وتعاملوا ولم يزالوا كذلك زماناً طويلاً وأثرت الأوس والخزرج وحصار لهم مال وعدد وخافت قريظة والنضير أن يغلبوهم على دودهم فتتمرروا لهم حتى قطعوا الحلف . . . فأقاموا خائفين أن تجلبهم اليهود حتى نجح منهم مالك بن المعجلان . . . (٢)

(١) الاغانى جزء ١٩ ص ٩٦

(٢) خلاصة الوفاء ص ٨٣



ودار الدهر دورته وظهرت القتن والعداوات بين اليهود والأوس وانخرج  
غير أن المصادر العربية لم توافقنا بالأسياب السكافية لهذا التفسير واليك ما يقوله  
السهودي : وكانت لا تهدي عروس الحيين حتى تدخل على الفيطلون ملك اليهود  
فيكون هو الذي يفتضها فتزوجت أخت مالك رجلاً من قومها فبينما مالك في  
النادي إذ خرجت أخته فضلاً فنظر إليها أهل المجلس فشق على مالك فدخل  
وعنفها فقالت ما يصنع بي غداً أعظم أهدي إلى غير زوجي فلما أوسى اشتمل على  
السيف ودخل متنكراً مع النساء وقتل الفيطلون وانصرف لدار قومه . . . (١)

ويؤخذ من هذه القصة الملتفة أن السهودي وأمثاله لم يكن عندهم إلمام  
كاف بحياة العرب في الجاهلية بل كانوا يعتبرونهم متوحشين همجيين لا يعرفون  
من النظم الاجتماعية شيئاً ولا يفهمون من الآداب قليلاً ولا كثيراً ولا ينفادون  
إلا لما يدعو إليه الخرق والسفاهة

ولا شك أن قولاً كهذا ليس إلا طعنًا فاحشاً في قبائل العرب في الجاهلية  
وانكاراً شنيعاً لما هو معروف عنهم من الانفة والغيرة وإباء الضيم والشجاعة والبسالة  
إلى حد التضحية بكل شيء في سبيل العرض وحفظ الشرف والكرامة

ومن جهة أخرى فمثل هذا القول لا يمكن أن يكون له نصيب من الصحة  
لأن يهود الحجاز إنما كانوا أصحاب دين ملأوى يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء  
والمنكر والبغى وليس من المعقول أن ملكاً يهودياً يرتكب جريمة منكرة كهذه  
تناقض روح التوراة وتحالف الإيمان بالله موسى دون أن يجد مقاومة شديدة  
وانكاراً شديداً من شعبه وأبناء جلدته

على أن اختلاق هذه القصة يظهر جلياً على علمنا أنه لم يوجد ملوك من  
اليهود في يثرب

ونرجح أن الباعث على اختلاق هذه القصة وتلفيقها إنما هو محاولة إخفاء

الخفيفة في حادثة غدر ابن العجلان بجيرانه وسفكه لدماء الأبرار منهم كما سيأتي  
تفصيل ذلك

ومن الغريب أن قصة كهنه تماماً يقصها الطبري عن طسم وجديس<sup>(١)</sup> وذلك  
بدل على أنها من انحرافات الشائعة عند أمم الشرق في قصصهم ونواريحهم<sup>(٢)</sup>  
ولم يأت ابن هشام والواقدي وصاحب الأغاني بقصة الفيطون بل حدثنا  
الأخير بخبر يبعثنا على التسأمل والبحث في عوائل التغيير الذي طرأ فجأة على  
ما كان بين اليهود والبطون العربية من المودة والثبات فقال إن مالك بن العجلان  
رحل إلى أبي جبيلة الغساني وهو يومئذ ملك غسان فسأله عن قومه وعن منزلتهم  
فأخبره بحالهم وضيق معاشهم فقال له أبو جبيلة والله ما نزل قوم منا بلداً إلا غلبوا  
أهل عليه فما بالك؟ ثم أمره بالمضي إلى قومه وقال له أعلمهم أني سائر إليهم فرجع  
مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبي جبيلة ثم قل لليهود إن الملك يريد زيارتكم  
فاعدوا نزلاً فأعدوه وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف حتى قدم  
المدينة فنزل بذي حرّض ثم أرسل إلى الأوس والخزرج فدكرهم الذي قدم له  
وأجمع أن يمكر باليهود حتى يفتل رؤسائهم وأشرفهم وخشي أن لم يمكر بهم أن  
يشحصنوا في آطامهم فيمتنعوا منه حتى يطول حصاره إليهم فأمر ببناء حائر واسع  
فبنى ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأتيوه فلم يبق وجه من  
وجوه القوم إلا أنه وجعل الرجل يأتي معه بخاضته وحشمه رجاء أن يحببهم فلما  
اجتمعوا ببابه أمر رجلاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بنى ثم يقتلوا كل من  
يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حجابيه أن يأذنوا لهم في الحائر ويدخلهم رجلاً  
رجلاً فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين في الحائر حتى أتوا  
على آخرهم . . . .

(١) تاريخ الملوك والرس طلمي جزء ٢ ص ٣٧١

(٢) راجع كتاب الف ليلة وليلة (الجزء الأولى)

وقد أخذت اليهود تعترض الأوس والخزرج وتناوشهم فقال مالك بن العجلان والله ما اتخذا اليهود غلبة كما تريد فهل لكم أن أصنع لهم طعاماً ثم أرسل في مائة من أشرف من بني من اليهود فإذا جاءوني فقتلوهم جميعاً فقالوا نفعل فلما جاءهم رسول مالك قالوا والله لا نأتيهم أبداً وقد قتل أبو جيلة منا من قتل فقال لهم مالك إن ذلك كان على غير هوى منا وإنما أردنا أن نحموه وتعلموا ما لكم عندنا فلجأوه فجعل كل واحد دخل عليه رجل منهم أمر به مالك بن العجلان فقتل حتى قتل منهم بضعة وعشرين رجلاً ثم إن رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك فسمع فلم يسمع صوتاً فرجع وحذر أصحابه الذين بقوا فلم يأت منهم أحد... وصورت اليهود الكفا في بيوتهم وكناشهم فكانوا يلعنونه كلما دخلوها... فلما قتل مالك من اليهود من قتل ذلوا وقل امتناعهم وخافوا خوفاً شديداً وجعلوا كلما هاجهم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودي إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول إنما نحن جيرانكم ومواليكم فكان كل قوم من اليهود قد لجأوا إلى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم... (١)

وقد يكون من المتعذر أن يقبل المؤرخ هذه القصة على غلاتها إذ لا شك في أن اليهود كانوا يحترسون من عمال ملوك الروم كل الاحتراس وكان المعروف فوق ذلك عن يهود الحجاز أنهم على جانب عظيم من الغبطة والذكاء، وأنهم ذوو قوة وبطش فلو أن أمراً كهذا وقع فعلاً لا يمكنهم أن يجاروا الأوس والخزرج ويضموا إلى جانبهم في هذه الحرب جميع البطون العربية المجاورة لهم والتي لم تكن تضمر لليهود شراً

على أن أبا جيلة هذا الذي يقول صاحب الأغاني أنه كان ملكاً لم يكن من



سلالة ملوك غسان الذين كانوا من بني جفنة ولم ينول عرش غسان من غير بني جفنة  
الا أبو جبيلة والشارث الاعرج اللذان يذكر ابن خلدون في موضع من كتابه ان  
الروم ملكوها عرش الشام<sup>(١)</sup> وان كان يذكر باسم أبي سعد أن الأعرج لم يكن  
ملكاً وإنما كان قائداً ولم يذكر أبو جبيلة البتة<sup>(٢)</sup>

وعلى فرض ان أبا جبيلة والشارث بن الأعرج توليا العرش حقا فلسنا نعلم  
ما هي الاسباب التي حملت قياصرة الروم على تولية ملكين من غير سلالة آل  
جفنة ثم ارجاع العرش الى هذه الاسرة فانيسا لان آخر ملوك غسان كان من بني  
جفنة وهو جبيلة بن الابهيم الذي أسلم بعد ان فتح المسلمون الشام ثم ندم ورجع  
الى دين آباءه ودخل الى بلاد الروم<sup>(٣)</sup>

من أجل هذا نرجع ان أبا جبيلة لم يكن من ملوك غسان ولكن اذا صححت  
الرواية عن حادثته مع يهود يثرب فمن المحتمل انه كان قائدا ذهب بايعاز من  
سيده لمنازلة اليهود وبمحتمل أيضا من ناحية أخرى أن تكون الاوس والمخزرج قد  
أرادت أن تعقد حلفاً مع بعض قبائل الشمال لأن الخلف التي عقدت بينهم وبين  
اليهود لم تعد حاضرة كل رضاهم بعد ان رسخت أقدامهم في البلاد وبعد ان اطمأنوا  
إليها وانبعثت في نفوسهم المطامع الكبيرة والآمال الواسعة

نعم ان الخلف كانت في مصلحتهم أول الأمر لأنهم لم يكونوا يطلبون الا  
أن يعيشوا فلم يكن يسوقهم أن تبقى الدوائر الزراعية والحركة التجارية في أيدي  
اليهود وحدهم وأن يكونوا هم معهم كمالاً ومساعدتين أما الآن فقد امتدت أنظارهم  
الى أكثر من هذا

ولم يكن أمامهم من سبيل لتحقيق هذه الآمال والمطامع الا أن يتخلصوا

(١) ابن خلدون جزء ٢٠ ص ٢٨٢

(٢) ابن خلدون جزء ٢٠ ص ٢٨٠

(٣) ابن خلدون جزء ٢ ص ٢٨١ . الاثنان جزء ١٤ ص ٢

من حلف اليهود ولم يكن سبيل النخلص من هذه الحلف ممكنا الا اذا اعتمدوا على حلف أخرى يضمّنون بها لأنفسهم النفوذ اذا ثارت الثائرة بينهم وبين اليهود وقد رأوا الفرصة سانحة لعقد محالفة مع ملوك غسان الذين كانوا يقودون حركة المنافسة الشديدة والتضال العنيف الموجه من النصرانية ضد اليهودية وبطبيعة الحال كان ملوك غسان يرغبون في هذه المحالفة مع الاوس والخزرج بل ويسعون اليها لئلا يتمكنوا بها من القضاء على اليهودية في بلاد الحجاز

وعلى كل حال فقد وجدت علاقات حسنة بين الطرفين كما يؤخذ من قصيدة المدح التي قالها حسان بن ثابت في ملوك بني غسان والتي يقول فيها

لله در عصابة نادمتهم	يوما يخلق في الزمان الاول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البرص عليهم	بردى يصدق بالرحيق السلسل
يغشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم	شم الانوف من الطراز الاول <sup>(١)</sup>

ولكن هذا كله لا يثبت صحة ما روى عن أبي جبيلة اذ من الممكن جدا أن تكون العلاقات الحسنة بمثابة التعمد من جانب ملوك غسان بعد التعرض لتجار البطون البثرية الذين كانوا يجولون في أنحاء سورية ومن الممكن أيضا أن تكون هناك علاقات كهذه بين اليهود وبين بني غسان نظرا للمصالح التجارية العظيمة التي كانت لليهود في بلاد غسان<sup>(٢)</sup> وهناك أمر آخر يزيدنا شكاً في صحة قصة أبي جبيلة ذلك اننا لا نجد

(١) الاغانى جزء ١٤ ص ٢٠٢ ابن خلدون جزء ٢ ص ٢٨٠

(٢) تاريخ الخلفاء جزء ٢ ص ١٣ ( ابو الدقاعى الجبلى يرسل قوافله الى بلاد الشام )

بينها وبين يوم بعث الذي جاء بعدها أية صلة أو ارتباط بل على العكس من ذلك نستنتج اعتماداً على الاخبار المفصلة التي وصلتنا عن يوم بعث ان اليهود كانوا متمتعين بجميع حقوقهم السياسية والاجتماعية وكانت مزارعهم وآطامهم وأموالهم كاملة غير منقوصة . . . .

ويقدر المؤرخ Graetz ان بطون الاوس والخزرج لم تصارع اليهود بالعداوة والمعصية الا بعد التركة التي حلت باليهود في اليمن اذ لا يتصور ان يضطهد اليهود في الحجاز في العصر الذي كان فيه ملوك متهودون يسيطرون على اليمن ويمصبون لدينهم ويناهضون كل من يناهضهم أو يعتدي عليهم<sup>(١)</sup>

ويؤيد قول هذا العالم ما ذكره بعض مؤرخي العرب من أن الحجاز الشمالية كانت في شبه تبعية لليمن في عصر وجود حمير المتهددة وان واحداً من الاسرة المالكة في اليمن كان يشرف على شؤون الطوائف المختلفة في شمال الحجاز<sup>(٢)</sup> وقد بقيت البطون العربية عصوراً طويلة على موالة ومناصرة اليهود دون أن يظهر عليهم شيء يدل على أنهم يتربصون لهم الغوائل الى أن أخذت دولة غسان تنصب لليهود المكاييد وتحرض عليهم زعماء الاوس والخزرج ليفتكوا بهم والظاهر ان دولة بني غسان لم تفعل هذا الا بايعاز من الدولة الرومانية الشرقية التي أرسلت أسطولها لمساعدة الحبشة في كفاحها ضد اليهود في اليمن

وليس غريباً على هذه الدولة أن يحرض عمالها من ملوك غسان على أن يشيروا الفتن والدسائس ضد يهود الحجاز فسياستها هذه واضحة كل الوضوح في الجزيرة العربية أثناء القرن الخامس والسادس م . م . وأما مناقصة في كتاب السهمودي تستحق العناية لفهم السياسة الدينية عند زعماء النصارى في الجزيرة العربية وهي ان مالك بن العجلان قد ذهب بعد قتاله للفيطون الى تبع الاصغر

(١) Graetz ج ٣ ص ٩١ وص ٤١٠

(٢) Porceval ج ٢ ص ٦٥٤ باسمها للتويري



فشكا اليه ما كان من أمر يهود يثرب فعاهده تبع ألا يقرب امرأة ولا يمس طيبا ولا يشرب خمرا حتى يسير الى المدينة وينزل اليهود . . .<sup>(١)</sup>

ويعلق العالم Wüstenfeld الذي طبع كتاب السموودي على رواية تبع الاصغر بقوله انه كان من اقبال الحبشة المنتصرين في اليمن وانه ذهب لمحاربة يهود الحجاز مساعدة لابي جبيلة الغساني<sup>(٢)</sup>

وانى نقل رواية السموودي عن تبع الاصغر بنحفظ شديد دون أن أميل الى الاعتقاد بصحتها وانما نقلتها لانها توافق أقوال المستشرقين عن الخطة السياسية التي اتبعها الدولة الرومانية الشرقية في الاقاليم العربية

بحم ويعتقد العالم Wellhausen ان الكفاح بين النصرانية واليهودية في بلاد الحجاز كان غنيا جدا وان اغارات الدولة الفارسية على حدود البلاد الرومانية وقفت الملحمة الفاصلة لزمان ما ولولا ظهور الاسلام لاصبحت بلاد الجزيرة من الوجهة الدينية منقسمة باجمعا الى قسمين يهودية ونصرانية<sup>(٣)</sup>

لم يصل اليها من اخبار اليهود في بلاد الحجاز بعد ان خمدت نار الفتنة بينهم وبين بطون الاوس والخزرج الا ما يعرف بيوم بعث

ويحدثنا صاحب الاغانى عن هذا اليوم العيوس بقوله : كانت الاوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعث الى أبي قيس بن الاسد الوائلى فقسام في حرمهم وأثرها على كل أمر حتى شحّب وتغير ولبث أشهرها لا يقرب امرأة . . . . . وكانت الاوس قد استعانت ببني قريظة والنضير في حرمهم التي كانت بينهم وبلغ ذلك الخزرج فبعثت اليهم ان الاوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكثرتكم من العرب فن ظفروا بكم فذاك

(٣) خلاصة الوفاء ص ٨٣

(٢) ويؤيد العالم Wellhausen أقوال Wüstenfeld في مدخله Skizzen und

Vorsbeilen Heft 4 ص ٨ — ١١

(٣) Skizzen 4 ص ١٢

ما تكروهون وإن ظفرتكم لم نتم عن الطلب أبداً فتصيروا إلى ما تكروهون ويشغلكم  
من شأننا ما أنتم الآن منه خائفون وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا  
وبين أخواننا فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق فأرسلوا إلى الخزرج أنه قد كان الذي  
بلغكم والنسب الاوس نصرنا وما كنا لننصرهم عليكم أبداً فقالت لهم الخزرج  
فإن كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهان تكون في أيدينا فبعثوا اليهم أربعين  
غلاماً منهم ففرقهم الخزرج في دورهم فمكثوا بذلك مدة ثم إن عمرو بن النعمان  
البياضى قال لقومه بياضة إن علموا أنزلكم منزل سؤم بين سيخة ومفازة وأنه  
والله لا يمس رأسي غسل حتى أنزلكم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء  
وكريم الدخيل ثم راسلهم بما أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها وأما إن قتل  
رهنكم فمضوا أن يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسد القرظى يا قوم امنعوا  
دياركم وخلود يقتل الرهن والله ما هي الا ليلة يصيب فيها أحد امرأته حتى يولد له  
غلام مثل أحد الرهن فاجتمع رأيهم على ذلك فأرسلوا إلى عمرو بن لا نسلم لكم  
دورنا وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا فقوموا لنا به فعدا عمرو بن النعمان  
على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوه وأبى عبد الله بن أبي وكان سيداً  
حليماً وقال هذا حقوق ومائتم وبقي فليست معينا عليه ولا أحد من قومي أطاعني  
وكان عنده في الرهن سليمان بن أسد القرظى وهو جد محمد بن كعب القرظى نفلى  
عنه وأطلق ناس من الخزرج نفراً فلاحقوا بأهلهم فناولت الاوس الخزرج يوم  
قتل الرهن مناوشة ضئيلة

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد أخى بني عمرو بن قريظة ثم  
تآمروا أن يعينوا الاوس على الخزرج فبعث إلى الاوس بذلك ثم أجمعوا أن ينزل  
كل أهل بيت من النبيت على بيت من قريظة والنضير فزلوا معهم في دورهم  
وأرسلوا إلى النبيت يأمرهم بأن يأتواهم وتعاقدوا ألا يسلموهم أبداً وأن يقاتلوا  
معه حتى لا يبقى منهم أحد فجاءتهم النبيت فزلوا مع قريظة والنضير ثم أرسلوا



الى سائر الاوس في الحرب والقيام معهم على الخروج فأجابوهم الى ذلك فاجتمع  
الملا منهم واستنحكهم أمرهم وجدوا في حريهم ودخلت بينهم قبائل من أهل المدينة  
منهم بنو ثعلبة وهم من غسان وبنو زعوراء وهم من غسان فلما سمعت بذلك  
الخزرج اجتمعوا ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البياضي وعمرو بن الجوح  
السلمي حتى جاءوا عبيد الله بن أبي وقيلوا له قد كان الذي بلغك من أمر الأوس  
وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا وأنا نرى أن تقاتلهم فإن هزمناهم لم  
يحرز أحد منهم معقله ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد

فلما فرغوا من مقاتلتهم قام عبيد الله بن أبي خطيبا وقال ان هذا بقي منكم على  
قومكم وعقوق والله ما أحب ان رجلا من جراد لقيناهم وقد بلغني أنهم يقولون  
هؤلاء قومنا منعونا الحياة فيمنعونا الموت والله اني أرى قوما لا ينتهون أو يهلكوا  
عامتهم وانى لأخاف ان قتلوكم ان ينصروا عليكم لبغيتكم عليهم فقاتلوا قومكم  
كما كنتم تقاتلونهم فإذا نخلوا عنهم فإذا هزموكم فدخلتم أدينى البيوت خلوا  
عنكم فقال له عمرو بن النعمان انتفخ والله سحر ك يا أبا الحارث حين بلغك حلف  
الأوس قريظة والنضير فقال عبيد الله والله لا حضركم ابدا ولا أحد اطاعني ابدا  
ولكن انى انظر اليك قتيلا نحمالك أريفة في عياد وتابع عبيد الله بن أبي رجاء من  
الخزرج منهم عمرو بن الجوح الحرامى واجتمع كلام الخزرج على ان رأسوا عليهم  
عمرو بن النعمان البياضي وولوه أمر حريهم

وابتث الأوس والخزرج أربعين ليلة يصنعون للحرب ويجمع بعضهم  
لبعض ويرسلون الى حلفائهم من قبائل العرب فأرسلت الخزرج الى جهينة  
واشجع فكان الذى ذهب الى اشجع ثابت بن قيس بن شماس فأجابوه وأقبلوا اليهم  
وأقبلت جهينة اليهم أيضاً وأرسلت الأوس الى مزينة وذهب حضير الكنائب  
الاشهلى الى أبي قيس فقام حضير فاعتمد قوسه فحرضهم وأمرهم بالجد في حريهم



وذكر ما صنعت بهم الخرزج من اخراج التيت واذلال من تخلف من سائر  
الأوس في كلام كثير . . .

فاجابته أوس الله بالذي يحب من النصرة والمؤازرة والخسة في الحرب وأما  
الأوس فاجتمعت يومئذ الى حضير بموضع يقال له الحياة فاجابوا الرأي فقالت  
الأوس ان ظفرنا بالخرزج لم نبق منهم أحداً ولم تقاينهم كما كنا تقاينهم فقال  
حضير يا معشر الأوس ما سمعتم الأوس إلا لأنكم تؤسسون الأمور الواسعة

ولما اجتمعوا بالحياة طرحوا بين أيديهم نمرأ وجعلوا يأكلون وحضير  
السكتائب جالس وعليه بردة له قد اشتمل بها الصلابة ما يأكل معهم ولا يدنو الى  
التمر غضباً وحنقاً فقال يا قوم اعتقدوا لأبي قيس بن الاسلست فقال لهم أبو قيس  
لا أقبل ذلك فاني لم أراي على قوم قط إلا هزموا وتشاموا برياستي وجعلوا  
ينظرون الى حضير واعتزلوه اكلهم واشتغلوا بما هم فيه من أمر الحرب وقد بدت  
خصياه من تحت البرد فإذا رأى منهم ما يكره من الفتور والتخاذل تقلصنا غيظاً  
وغضباً وإذا رأى منهم ما يحب من الجدة والتشمير في الحرب عادتنا لحالها وأجابت  
الى ذلك أوس منساة وجدوا في المؤازرة والمظاهرة وقدمت مزينة على الأوس  
فانطلق حضير وأبو عمر الراهب بن صيفي<sup>(١)</sup> الى أبي قيس بن الاسلست فقالوا  
قد جاءتنا مزينة واجتمع اليها من أهل يثرب ما لا قبل للخرزج به فما الرأي ان  
نحن ظهروا عليهم الانحجار أم البقية فقال أبو قيس بل البقية قل أبو عامر والله  
لو ددت أن مكنتهم نعلها ضيحا فقال أبو قيس اقتسلوهم حتى يقولوا برا برا كلمة  
كانوا يقولونها اذا غلبوا فتشاجروا في ذلك وأقسم حضير ألا يشرب خمرأ أو  
يظهر ويهدم مزاحما أطمع عبد الله بن أبي فلبثوا شهرين يعدون ويستعدون ثم التقوا  
ببعث وتخلف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث فبعثوا الى الخرزج إنا والله

(١) وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس السوح وكان يقال له الراهب . ابن هشام جزء

ما تريد قتلكم فبعثوا اليهم أن ابعدوا اليها برهن منكم يكونون في أيدينا فبعثوا اليهم اثني عشر رجلا منهم خديج وبعث من أموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قورى فلذلك تدعى بعث الحرب وحشد الحيات فلم يختلف عنهم الا من لا ذكر له ولم يكونوا حشدوا قبل ذلك في يوم التقوا فيه فلما رأته الاوس الخزرج أعظمهم وقتلوا لحضير يا أبا أسيد لو حاجرت القوم وبعثت الي من تخلف من خلفائك من مزرعة فطرح قوسا كانت في يده ثم قل انظروا مزرعة وقد نظر الى القوم ونظرت اليهم الموت قبل ذلك . ثم حمل وحملوا فقتلوا قتلا شديدا فلهزم الاوس حين وجدوا من السلاح فولوا مصعدين في حرة قورى نحو العريض وذلك وجه طريق نجد فنزل حضير وصاحت بهم الخزرج أين الفرار الا أن نجدا سنت أي يجذب يعبرونهم فلما سمع حضير طعن بسنان رجمه فخذل ونزل وصاح واعقراده والله لا أرى حتى أقتل فمات شتم يامعشر الاوس أن تسلموني فافعلوا فتقطعت عليه الاوس وقام على رأسه غلامان من بني عبيد الاشهل فقاتلا حتى قتلا وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله لا يدري من رمى به الا أن بني قريظة تزعم انه سهم رجل يقال له أبو لينة فقتله فبينا عبد الله ابن أبي يثردد على بغلة له قرييسا من بعث ينجس أخبار القوم إذ طلع عليه بعمر وبن النعمان مبثا في عبادة له يحمله أربعة الى داره فلما رآه عبد الله بن أبي قل من هذا قلوا عمرو بن النعمان قل ذق وبال العقوق واتهمزت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح وصاح صائح يامعشر الاوس أسجدوا ولا تهلكوا اخوانكم فجوارهم خير من جوار النعالب فتناهت الاوس وكفت عن سلبهم بعد إنحان فيهم وسلبتهم قريظة والنضير وجعلت الاوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها فخرج سعد بن معاذ الاشهلي حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأموأهم جزاء فلم ييوم الرعل وكان للخزرج على الاوس يوم يقال له يوم مفلس ومضرس وكان سعد ابن معاذ حمل يومئذ جريحا الى عمرو بن الجوح فن عليه وأجاره وأخاه يوم رعل



وهو على الاوس من القطع والخرق فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث وأقسم  
كعب بن أسد القرظي ليدلن عبد الله بن أبي وليحلفن رأسه تحت مزاحم فتأذاه  
كعب أنزل يا عدو الله أنشدك الله وما خذلت عنكم فسأل عما قال فوجده حقاً  
فرجع عنه واجتمعت الاوس على أن تهدم مزاحماً أطمع عبد الله بن أبي وحلف  
حضير ليهدمه فكلهم فيه فأمرهم أن يرينوا فيه كوة وأفلت يومئذ الزبير بن  
إياس بن باطنا ثابت بن قيس شمس أخا بني الحارث وهي النعمة التي كافأه بها ثابت  
في الإسلام يوم بني قريظة <sup>(١)</sup>

وخرج حضير الكتاب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس بن الاسلم  
بعد الهزيمة فقال له حضير يا أبا قيس ان رأيت ان نأتي الخزرج قصر اقصرادارا  
داراً قتل ونهزم حتى لا يبقى منهم أحد فقال أبو قيس والله لا نفعل ذلك فغضب  
حضير وقال ما صميمتم الاوس الا لأنكم تؤسسون الامر أوساً ولو ظفرت منا الخزرج  
بمنزلها ما أقلوناها ثم انصرف الى الاوس فأمرهم بالجوع الى ديارهم وكان حضير  
جرح يومئذ جروحاً شديدة ثم مات من الجراح التي كانت به

وكان يهودي أعشى من بني قريظة يومئذ في أطمع من أطاعهم فقال لابنة له  
أشرفي على الاطمع فانظري ما فعل القوم فأشرفت وقالت أسمع الصوت قد ارتفع  
في أعلى قوري وأسمع قائلًا يقول اضربوا يا آل الخزرج فقال الدولة اذا على  
الاوس لا خير في البقاء ثم قال ماذا تسمعين قالت أسمع رجلاً يقولون يا آل  
الاوس ورجلاً يقولون يا آل الخزرج قل الآن حي القتال ثم لبث ساعة ثم قال  
أشرفي فسمعي فأشرفت فقالت أسمع قوما يقولون نحن بنو صخرة أصحاب الرعل  
قل تلك بنو عبد الاشهل ظفرت . . . ثم وثب فرحاً نحو باب الاطمع فضرب رأسه  
بحاق بابيه وكان من حجارة فسقط فمات



وقال خفاف بن نديبة يرى حضير الكاتب وكان نديمة وصديقه :  
لو ان المنايا حدن عن ذي مهابة      طبن حضيراً يوم أغلق دافعا  
أطاف به حتى اذا الليل جنه      تبوا منه منزلا متناعما . . .

\*\*\*

أثنى حديث فكذبه وقيل خليلك في المرس  
فيساعين ابكي حضير الندي      حضير الكاتب والمجلس  
ويوم شديد اولر الحديد      تقطع منه عرى الانفس  
صليت به وعليك الحديد      ما بين سلع الى الاعرس  
فأودى بنفسك يوم الوغى      واتى نياك لم قداس . . . (١)  
اه . . . . .

\*\*\*

ولما كانت حوادث هذا اليوم قد جرت قبيل ظهور الاسلام بخمس سنوات  
قبل الهجرة وكان كثير من زعماء الأوس والخزرج واليهود الذين جالوا في ميدان  
الوغى قد أدركوا الاسلام حتى كان بعضهم أثر ظاهر في حوادث المدينة بعد  
هجرة النبي محمد اليها فلا شك أنه يوم حقيقى وأن أغلب ما نقلنا من أخباره صحيح  
والبخارى حديث يدل على الوقع العظيم الذى كان ليوم بعث في نفوس أهل  
يثرب « قالت عائشة دخل على رسول الله وعندي جاريستان تغنيان بغناء بعث  
فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فاتهرنى وقال مرة متارة الشيطان  
عند رسول الله (٢)

وقد ظل اليهود بعد هذا اليوم محتفظين بمكانهم بين القبائل العربية حتى

(١) الاغانى جزء ١٥ من ١٤٤ — ١٥٩

(٢) ابن هشام جزء ٢ من ٢٢٥

ان الأوس والخزرج كانوا نحسبان لقوتهم حساباً كبيراً وكانت كل منهما تجهده  
في أن تقيم اليها ليساعدها في كفاحها ضد الأخرى  
وكذلك تبين لنا من يوم بعث أن اليهود كانوا أهل نضال وكفاح وأنهم  
كانوا كالأعراب في قسوتهم وغلظتهم للمروفتين عنهم في الجاهلية حتى ان بنى  
النضير وقرية أنحنوا في بنى قينقاع ومرتقوا شتمهم بسبب انضمامهم الى بنى الخزرج  
ليكونوا عوناً لهم على أبناء جلدتهم

وقد أظهر الربيع بن أبي الحقيق استيلاء الشديس من تلك المعاملة العليظة  
لبنى قينقاع فدكر معايب بنى النضير وقرية وكان الربيع من شعراء اليهود من  
بنى قرية وكان أحد الرؤساء في يوم حرب بعث وكان حليفاً للخزرج هو وقومه  
فقال :

سئمت وأمسيت رهن الفراء	ش من جرّم قومي ومن مكرّم
ومن سقمه الرأي بعد النهى	وعيب الرشاد ولم يفهم
فلو أن قومي أطاعوا الحلب	م لم ينعدوا ولم يظلم
ولكن قومي أطاعوا الغوا	ة حتى تمكس أهل الدم
فوذى السفية برأى الحلب	موانشر الأمر لم يبرم... (١)

وكان من نتائج يوم بعث أن ضعف روح العدوان والخفة في نفوس البطون  
البريئة حتى أخذ الناس ينصرفون لأعمالهم ويندقون لذة الراحة وهناك العيش  
وصفاء البال

وكانوا كلما هم أحدهم أن يصب زيلًا حامياً على نار العداوة السكينة في

(١) الاغنى جزء ٢١ ص ٦٢ وإما ابن سلام الخنجر صاحب طبقات الشعراء فإنه يقول  
ان الربيع بن ابي الحقيق من بنى النضير (ص ١١٠ طبع مصر) ونحن نرجح رأى الخنجر  
على رأى صاحب الاغنى لما اتضح لنا من أن آل بنى الحقيق من بطون بنى النضير

القلوب ليزيد في ضرامها ويعظم من أوارها سعي كثير من الزعماء وذوى النفوذ  
من الطرفين لسكف يده حتى لا تدل السيوف من اغمارها

وعلى العموم فإن يوم بعثت قد أضعف بطون ينرب قاطبة وأدخل فيها الميل إلى  
الانحاد حتى أرادت فيها يقال أن تملك عليها ملكاً من بني الخزرج كما يحدثنا ابن  
هشام « أن قوم عبد الله بن أبي قد نظموا له الخرز لينتجوه ثم بملسكوه عليهم ثم  
جاء رسول الله إلى المدينة وانصرف القوم عن عبد الله ورأى أن الرسول قد استلبه  
ملكاً فلما أن رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كلهم مهيماً على اتفاق  
وضمن وكان لا يختلف عليه في شرفه اثنان لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا  
بعده على رجل من أحد الفريقين . . . (١)

فكان قلوب بني ينرب على اختلاف قبائلها وكثرة نزعاتها قد شئت العداوة  
وكرهت حالة الجفاء والخشونة وشعرت بالحاجة إلى من يخرجهم منها ويوجه عنايتهم  
إلى ما هو أكثر خيراً وأعظم نفعا

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ١٧٧



## الباب الرابع

### أحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية في بلاد الحجاز قبيل ظهور الاسلام

مسابقة النمو الادبي والاجتماعي وثقافات السياسية — بسط نفوذ الدين اليهودي في الحجاز —  
— الديانة الاسرائيلية لا تميل الى ارفع الامم على اعتناقها — العوامل التي حالت دون انتشار  
اليهودية في الحجاز — قصص ابن هشام في ملأ تأثير اليهود في عقيدة العرب — طعن بعض  
المستشرقين في صحة وجود صلة قرابة قديمة بين العرب واليهود — رد هذا الطعن بالأدلة  
التاريخية والبحاث بعض المستشرقين — عادة الختان عند العرب واليهود وهل اخذها العرب  
من اليهود ؟ — التعبير ( أمة ابراهيم حقيقا ) وعادة الختان — الخليفة في بلاد الحجاز —  
الميل بين المستشرقين في هذا الموضوع — زيد بن عمرو بن نفيل والخليفة — النساء  
عند العرب واليهود — الاصطلاحات الوثنية عند العرب وعلاقتها بالغة البرية — ضعف  
تأثير الديانة المسيحية في قلوب أهل الحجاز — حالة اليهود الاجتماعية والدينية بين العرب في  
الحجاز — الحالة عند قبائل الحجاز قبيل ظهور الاسلام — يوم الفجار ونتائج — النهضة  
الفكرية في بلاد الحجاز قبيل ظهور الاسلام — قس بن ساعدة — أمة بن أبي الصلت —  
استعداد القلوب العربية لتبني ديانة سماوية جديدة

إذا أنعمنا النظر في التاريخ العام نجد النمو الادبي والتغير الفكري في أمة من  
الأمم يمتد ويسمو الى الدرجات الرفيعة مع امتداد النمو السياسي والازدياد الرقي الى  
ذرى الجهد بقوة السيف والبطش كما نراه يسقط شيئاً فشيئاً ويندهور تدريجياً  
كما تدهورت القوة المادية في تلك الأمة وضعف سلطانها

وتكاد تكون هذه الظاهرة عامة وشاملة لكل الأمم والشعوب ولكننا لا نجد لها  
حين نبحث عنها في يهود الجزيرة العربية إذ بعد أن انتشر الحبشيون على ملوك

حير اليهودية وبعد ان أظهر أبو جيبلة الأوس والخزرج على يهود يثرب — اذا فرضنا صحة هذه الرواية — بقي سلطانهم الفكري بوجه عام وفقودهم الديني بوجه خاص قويتين سليمين لم تنل منها قوة أعدائهم الا قليلا

ولا شك أنه كان في مقدرة اليهودية أن تزيد في بسط نفوذها الديني على العرب حتى تبلغ منزلة أرقى مما كانت عليه لو توافرت عند اليهود النية على نشر الدعوة الدينية بطريقة مباشرة ولكن الذي يعلم تاريخ اليهود يشهد بأن الأمة الاسرائيلية لم تنل بوجه عام الى ارغام الأمم على اعتناق دينها وان نشر الدعوة الدينية من بعض التواجد محظور على اليهود<sup>(١)</sup>

ولسنا نعرف في تاريخ اليهود أنهم أرغموا بقوة السيف أمة من الأمم على اعتناق اليهودية اذا استثنينا حادثة واحدة ارغم فيها الملك اليهودي يوحناز هوركانوس طوائف بني أدوم على اعتناق اليهودية صاغرين بعد ان استولى على بلادهم عنوة ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا أن اليهود كانوا يعتبرون بني أدوم إخوة لهم في الجنسية اذ لم تسكن هناك بينهم فروق ظاهرة في العقلية والتقاليد فلعلمهم أرادوا إرغامهم ايهم على اعتناق اليهودية أن يزيلوا الفارق الديني أيضاً...<sup>(٢)</sup>

وهناك عامل آخر حال دون انتشار اليهودية في الحجاز : فاليهودية كما نفهمها هي خلاصة القانون التلمودي بمبادئه وتقاليده وطوقسه وهذا القانون الذي نشأ في بيئة معينة وفي مدة قرون معينة والذي استمد مبادئه وتعاليمه من نصوص التوراة قد أدخلت عليه تغييرات تلائم الأحوال الجديدة التي طرأت على اليهود مع التغيير الاجتماعي والرفق الروحاني الذي طبع العقلية اليهودية بطابع جديد لم يكن يعرف في العصور الاسرائيلية القديمة وقد نجم عن ذلك ان الذين أرادوا

(١) راجع التذود كتاب קידושין ז' וכתב יבמות ס'

(٢) Klausner ج ٢ ص ٧٢ وكتاب Simhoni ج ٢ ص ١٠٢

أن يقبلوا جوهريات صحف التوراة دون أن يخضعوا للتلمودى وعقائده لم يؤذن لهم باعتناق اليهودية ولا شك أن هذا كان من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور النصرانية فإن طوائف اليونان والسريان المجاورة لفلسطين قد تأثرت بالدين الاسرائيلى وارتاحت لتعاليم التوراة فاعتنقت العقائد الجوهرية وآمنت بالمبادئ الأساسية ورفضت ما لا يناسب روحها القومى ولا يتفق مع تقاليدھا القديمة

كذلك وجدت هذه النفسية فى الجزيرة العربية إذ تأثر كثيرون من العرب بتعاليم اليهودية وأخذوا يخضعون لبعض الأصول الجوهرية من التوراة دون أن ينقادوا للبعض الآخر فلم ترض منهم اليهودية ذلك ولم تقربهم الى الله بل لم تفرق بينهم وبين بقية عبدة الأصنام لأنهم لم يقبلوا المنسك بالسبت ولم يخضعوا لبقية وصايا التوراة والتلمود

وهكذا صمم اليهود الذين انفردوا عدة قرون بحمل راية التوحيد على أن يبعدوا عن اليهودية كل من أراد أن يعتنقها الا اذا توافرت فيه جميع شروط التوراة والتلمود وخضع لكل نظامها دون أن يفضل بعضها على بعض

على أن المسيحيين والمسلمين نحواً هذا النحو مع كل من أراد أن يعتنق المسيحية أو الاسلام إذ لم يرض المسيحيون من شخص أن يعتنق بعض ما جاء فى الانجيل وينكر ما لم يوافق هواه وكذلك رفض المسلمون أن يدخلوا فى حظيرة الاسلام من آمن ببعض الكتاب وكفر بالبعض الآخر

وهناك أمر آخر علق انتشار اليهودية بين العرب ذلك ان التوراة والتلمود كلفا الانسان بتكاليف صعبة وربطاه بتقاليد كثيرة لم يألها فلم يستطع العربى الذى لم يكن يعرف للنظم المعقدة قيمة أن يدركها بسهولة وعسر على نفسه أن تقبل التقليد باغلال لا تحصى من القوانين الثابتة الثقيلة وهى المطبوعة على حب الاستقلال والحرية

ويقول الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار : وهناك أمر آخر له خطر ، وهو



ان اليهود يعتبرون أنفسهم أبناء الله وشعبه المختار من بين شعوب الارض . ولا تسمح أنفسهم أن تكون هذه الميزات لشعب آخر ليس منهم . لهذا لا يقرون بأن الله يختار نبيا غير اسرائيلي . ( راجع آية — ا — وما بعدها من الاصحاح ١٤ تنية ) — اه

كما قد ذكرنا في الفصول الماضية ان بطونا عربية كثيرة سكنت بجوار اليهود في يثرب وخيبر ووادي القرى ولكن الاختلاط والتأثير بين العرب واليهود لم يقف عند هذا الحد بل انه انتشر في أكثر أقاليم العرب عموما والحجاز خصوصا . كانت مستعمرات اليهود واقعة على طريق القوافل الآتية من الحجاز واليمن قاصدة الى سورية والعراق وكان تجار العرب يأتون الى الاسواق اليهودية في شمال الحجاز ليتاعوا من حاصلات اليهود وصناعاتهم وكذلك كل اليهود يعرضون بضاعتهم في الاسواق التي كان العرب يقيمونها في جهات شتى فينتج عن التعاون الاقتصادي والاختلاط الاجتماعي تبادل في الآراء وجدال في الديانات

كان اليهود يفتخرون بدينهم ويقصون على الاعراب ما يعلمون من عظمة الله وجبروته وعن خلق الانبياء والجنة والنار والقيامة والبعث والحساب والميزان وكانوا يذكرون معائب الوثنيين ويمزقون أعراض الأصنام جهرا كما نجد لنا ابن هشام اذ يقول « كان سفة من أصحاب بدر قل : كان لنا جار من يهود بن عبد الأشهل قال نخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني الأشهل وأنا يومئذ أحدث من قيد سنا على بردة في مضطجع فيها بفتاء أهلي فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقل ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوزان لا يرون ان بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى ان هذا كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يحزون فيها بأعمالهم قل نعم والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم

يدخلونه أياد فيظنونه عليه بأن ينجو من تلك النار غداً فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة والمين . . . (١)



يوجد عند بعض الباحثين ميل الى اعتقاد أن اليهود تعدوا نشر قصص التوراة والتلمود بين العرب لأسباب سياسية ودينية وأنها في حقيقة الأمر وسيلة لفقها اليهود للعرب ترفلاً اليهم واحتيالا على كسب عطفهم وتوثيق عرى المودة والألفة بينهم . ويقول أحد هؤلاء العلماء : « . . . ان هذه الطريقة من سنن اليهود المألوفة اذ لوحظ عليهم كثيراً أنهم متى رأوا المصلحة في التورود الى قوم قولوا لهم أنهم اخواننا ونحن وأنتم صدقوا . . . وظلوا منذ ذلك العهد الى ظهور الاسلام وهم يبذلون جهدهم في اشراك العرب عقيدة أنهم جميعاً ذرية أب واحد حتى نجعت فيهم هذه الأكلوبة التي كان العرب أجهل من أن يتبينوا ما فيها من كذب وتلفيق

ولما ظهر النبي محمد رأى المصلحة في اقرارها فآمرها وقال للعرب إنما هو يدعوهم الى ملة ابراهيم . . . (٢)

والمأمل في هذه النظرية التي يتسم منها رائحة الطعن في ديانة سماوية يرى أنها مجردة عن الصحة وليس فيها من الحقيقة النار بخية عين ولا أثر ويؤكد قدها ما يأتي :

( ١ ) ان اليهود كانوا يقصون على العرب الاقصيص المذكورة في التوراة والتلمود كما هي دون أن يزيدها عليها شيئاً من عند أنفسهم

( ٢ ) اذا وجد الميل عند بعض المستشرقين الى انكار وجود الآباء الأقدمين لنبي اسرائيل من ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب فانهم لا يستطيعون أن

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢١٣

(٢) مقالته في الاسلام من كتب المبشرين ص ١٨

ينكروا وجود قبائل بني اسرائيل وقبائل بني اسماعيل لان التوراة نصت على وجودها في طور سيناء والحجاز بمسا ذكرته من الحوادث التي وقعت بين بطون اسماعيلية وأدومية واسرائيلية ولا شك أن هذا كاف لاثبات العلاقة الدموية المتينة بين اليهود وعرب طور سيناء والحجاز

وقد عثرت على نص في التوراة يؤيد نظريتي في هذا الصدد ولكن مضطرا الى أن أترجم هذا النص ترجمة عربية جديدة لان تراجم التوراة العربية والافرنجية قد أخطأت في تفسيرها الحقيقي وهذا هو النص العبري : וישבנו בני ישראל (١) במדבר עד שור אשר עד פני מצרים באבה אשרה עד פני כל אחי נפר (٢) ومعناه : وبرزات (بطون بني اسماعيل) مع لشأتها (٣) بين اخوتهم واسنوطنت البلاد من الخولة الى طريق القوافل بين مصر والعراق

(٣) قرر علماء الافرنج جميعاً أن علاقة بطون بني اسرائيل الجنوبية بعرب الحجاز وطور سيناء أقرب منها الى قبائل بني اسرائيل الشمالية كل هذا يوضح انه لم تكن ليهود الحجاز ضرورة لاختلاق الأباطيل (٤)

وأما الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فيقول : لو أن اليهود كانوا في تلك الأزمان المنصرمة يستغلون القرابة بتحرعونها لتكون دافعاً بينهم وبين قوم يرجون منهم نفعاً أو يخشون منهم ضرراً أو حيفاً لكان الأجدد بتلك القرابة الرومان والفرس أي الأمم التي تعاقب حكمها عليهم في الأزمنة المختلفة . ولكننا لم نر منهم شيئاً من ذلك ودعوى أنهم يفعلون ذلك مع الأمم كلها رجوا نفعاً أو خافوا حيفاً دعوى لا نظن أن من يدعيها يقدر أن يقدم أدنى برهان عليها

(١) التكوين فصل ٢٥ / ١٨

(٢) راجع في نهاية هذا الباب عن التاء س ٨١

(٣) س ٢٧ — ٣٤ Israel's settlement in Canaan

س ١ — ٥٦ Relation between Arabs and Israelites



وأعجب ما يعجب له السامع لأولئك الطاعنين في اليهود بهذه الفرية أن يكون اليهود يخترعون تلك الاسطورة ترفاً لقريش أو العدنانيين في حين أنه ليس ثمة من صلات بين اليهود وقريش تجعل الأولين برهون سطوة الآخرين ويرجون خيرهم لبعد الشقة بين مواطن الغريقيين ولم يعهد أحد ولم يروا في القديم ولا في الحديث أن اليهود استعانوا قريشاً في حرب من حروبهم أو غزوة من غزواتهم معتمدين على صلة القرابة واتحاد الدم أو على صلة أخرى من الصلات التي تكون بين الشعوب المتقاربة أو المتباعدة

ولو أن اليهود ينسجون بأخمة القرابة النسبية ويستغلونها للمصلحة يجلبونها أو المضرة يدفعونها لكان الأليق بهم والأجدر أن يخترعوا تلك القرابة بينهم وبين الأوس والخزرج الذين يناخونهم ويشاركونهم في المواطن والمواقف ويرتبطون معهم بربط المعاملة والجوار. فكيف يتركون هؤلاء الجاورين لهم ويخترعون أسطورة يلقونها تربطهم بقوم بعيدى الدار لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً

بقى أمر آخر له أهمية في هذا الموضوع: وهو أن أسفار النوراة ترجعت إلى اليونانية في عهد بطليموس فيلادلفوس. وهو ثاني ملك من البطالسة في مصر ووافق حكمه أوائل القرن الثالث قبل المسيح وفي صلب تلك الترجمة كل النصوص التي تنص على ارتباط العرب الاسماعيلية بالقرابة النسبية مع اليهود وذلك قبل رحيل يهود يثرب إلى الحجاز بما يقرب من أربعة قرون. فهل كان اليهود يعلمون ما سيجده الأيمل وأنهم بعد أربعة قرون أو أكثر سيصيرون إلى بلاد العرب ويتخذونها دار مقام لهم. ثم أنهم سوف يحتاجون إلى ربط أنفسهم برابطة النسب مع قوم من العرب لا يخالطونهم في الدار وليس بينهم وبينهم حلف أو جوار فأعدوا ذلك قبل ترجمة النوراة إلى اليونانية وكذبوا تلك الأكذوبة سلفاً وقبل الاحتياج إليها بقرون متطاولة. إذا قل أولئك الطاعنون على اليهود: نعم، فليس لدينا ما نجيبهم به سوى قول القائل:

من كانت بخلاق ما يقو ل تخيلتى فيه قليلة .... اه —

وهما يكن من الأمر فإن اتصال العرب باليهود قد أدى الى تغيير جوهرى فى عقلية المضر والبادية بالحجاز وظهرت هناك نظم جديدة طرأت على شؤونهم الاجتماعية وتسربت الاصطلاحات من العبرية الى العربية  
والى أشير هنا الى بعض التغييرات التى يعتقد العلماء انها ظهرت فى الحجاز بعد وصول اليهود اليها فى طورهم الثانى ...

لا شك فى أن عادة الختان لم تسر من اليهود الى العرب لأنها كانت شائعة عند قبائل مختلفة فى الجزيرة العربية منذ عصور غابرة ويستدل العالم ( Wellhausen )<sup>(١)</sup> بوجود قبائل متوحشة حتى فى أفريقيا كانت تألف هذه العادة

ولست أنكر صحة هذا الرأى لأن النوراة توضح لنا أن بنى إسرائيل قد جاءوا بالختان من موطنهم الاصلى فعلى ذلك يحتمل أن هذه العادة كانت ذاتمة عند قبائل أخرى مجاورة لبنى إسرائيل فى الصحراء

غير أن هناك اعتباراً آخر لم يعم العلماء نظره فى خاصة ربما يرشدنا الى اكتشاف تأثير اليهود على العرب فى عادة الختان

كان الاصطلاح « ملة إبراهيم حنيفاً »<sup>(٢)</sup> شائعاً عند العرب قبل ظهور الاسلام وقد اشتهر بهذا اللقب أفراد من مفكرى العرب لم تكن عبادة الأوثان تعجبهم وكانوا يرون أن التقرب الى الله بالحجارة أمر لا قيمة له

لا أريد أن أعود الى أقوال مفسرى القرآن فى هذه العبارة ولكن أجهده فى أن أصل الى تفسير جديد لهذا الاصطلاح

(١) Skizzen & Vorarbeiten H III ١١٥ ص

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢١

يعرف العضو الجنسي بعد خثانه في العبرية باسم *مِلَّة* (מילה) كما أن له اسماً خاصاً قبل خثانه وهو *غِرْلَة*

وبما أن الختان من أصول الدين الاسرائيلي <sup>(١)</sup> فقد عبر الناموس الذي عن كل من الختن أنه دخل في ذمة وعهد ابراهيم الخليل *כבדים כבדיתו שר אברהם אבינו* ومن هنا أطلق اليهود على كل من ختنين التعبير « *ملة ابراهيم* » وهذا اللفظ يقوله العاذر للطفل عندما يعذره والخاضعون يؤمنون ( *למים אבי* )

ولكن من حيث أن الختان وعده لا يؤدي الى الايمان باليهودية لأن هناك شروطاً أخرى لا بد من توفرها كإعلان الدخول في الديانة التوحيدية الاسرائيلية وانساع ما تأمر به التوراة واجتناب ما تنهى عنه فقد أطلق اليهود على كل من يخضع دون أن يعتنق اليهودية اسم *حنيف* *חנם* <sup>(٢)</sup> غير الصالح أى الختان الغير الوافى بالشروط اليهودية وقد جاء في لسان العرب وكان في الجاهلية يقال من ختن حنيفة وحج البيت حنيف ... القراء الحنيف من سنه الختان ... الجوهرى الحنيف المسلم وقد سمي المستقيم بذلك كما سمي الغراب أعور وتحتف الرجل أى عمل الحنيفة ويقال ختن

وفيه أيضاً : أبو عمرو الحنيف المائل من خير الى شر ومن شر الى خير

ومن ذلك كله يمكننا أن نقول إن الحنيف في الأصل هو المائل الى الشر كما هو عند اليهود في لغتهم والعرب قد يطلقون اللفظ على الشيء وضده فأطلقوا الحنيف على المستقيم على *ملة ابراهيم* استعمالاً لللفظ في أحد معنياه <sup>(٣)</sup> فيحتمل أن اليهود أطلقوا على العرب التي شاعت عندها عادة الختان هذا اللفظ دون أن

(١) راجع التوراة سفر التكوين فصل ١٧ آية ١١ والتدود كتاب *דברים* ص ٣١

(٢) هذه الكلمة بمعنى المائل بالعبرية مثل : تعلق أو اقترن أو تعلق وتداخن

(٣) لسان العرب جزء ١٠ ص ٤٠٢



توضح لهم معناه ثم شاع استعماله عند العرب حتى في معناه الاصلي<sup>(١)</sup>  
 لو اتضحت صحة هذا الرأي لكان فيه برهان قاطع على ان عادة الختان قد  
 سرت الى العرب من اليهود في الدور الثاني ٢ الى ١٥٠  
 بمجهد العالم ( Wellhausen ) في أن يبرهن ان الخنثيفية كانت مذهباً  
 نصرانياً ذائع الصيت<sup>(٢)</sup> في بلاد العرب ولكن Loszynsky يعارضه<sup>(٣)</sup> ويقول  
 ان الخنثيفية لم تكن نصرانية البتة كما لم تكن مذهباً معيناً بل كان هناك أشخاص  
 من مفكري العرب استنكروا عبادة الأوثان متأثرين بتعاليم اليهودية والنصرانية  
 ودخل بعضهم في اليهودية ودخل بعض آخر في النصرانية وبقى جماعة منهم غير  
 متمسكين بدين من الأديان واستندل على ذلك بقول القرآن ما كان ابراهيم  
 يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً فانه صريح في ان الخنثيفية لم تكن  
 واحداً منها

وقد جاء لبعض الافراد من الخنثيفين ذكر في سيرة ابن هشام أكنفى بنقل  
 ما يقوله عن واحد منهم « وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ولم يدخل في يهودية  
 ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والليثة والذئب التي تدبح على  
 الاوثان ونهى عن قتل المودة وقال أعبد رب ابراهيم وبدأ قومه بعيب ما هم  
 عليه . . . وكان زيد بن عمرو بن نفيل شيخاً كبيراً يسند ظهره الى الكعبة  
 ويقول يا معشر قریش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم على دين  
 ابراهيم غيры ثم يقول اللهم لو اني أعلم أي الوجود أحب اليك عبديك ولكنني  
 لا أعلمه . . . »<sup>(٤)</sup>

(١) دوزي ص ١٩٠

(٢) Skizzen II IV ١٩٢

(٣) Die Juden zu Medina ٤٤ ص

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢١٧

كذلك قرر بعض العلماء من الأفرنج أن أمر النسب، نشأ من تأثير اليهود على العرب<sup>(١)</sup>

يحدثنا ابن هشام بأن «النساء هم الذين كانوا ينسبون المشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه من أشهر الحلال ويؤخرون ذلك الشهر»<sup>(٢)</sup>

والعرب في موضوع النساء ومعناها كلام طويل عريض<sup>(٣)</sup> وأما الأفرنج فينكرون وجود تفسير لكلمة نساء بالعربية ويميلون إلى القول بما كان معروفاً عند اليهود من أن النامى<sup>(٤)</sup> أى الرئيس الدينى عند اليهود كان يؤخر ويقدم الشهور ويعين مواعيد الأعياد والخصيام ويعلم النتيجة بواسطة وفود إلى الطوائف اليهودية المختلفة<sup>(٥)</sup>

وأضيف إلى ذلك أن النامى<sup>(٦)</sup> هو الاسم الشائع لرئيس القبائل عند بني إسرائيل منذ أزمنة غابرة<sup>(٧)</sup>

ويحدثنا ابن هشام أن أول من نسا المشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن قيس بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمية ثم قام بعده على ذلك ابنه (ابن حذيفة) ثم قام بعد عباد قلع بن عباد ثم قام بعد قلع أمية ابن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية وكان آخرهم وعليه قام الإسلام وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه فحرم الأشهر الحرم الأربعة رجياً وذا القعدة وذا الحجة والحرم فلذا

(١) Die Israeliten zu Mekka ١٧٤ — ١٦٨

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٤٣

(٣) أدبيل العرب تأليف محمد نومان الجارم ص ٤٣ — ٤٦

(٤) ראש השנה פ' ע'

(٥) سفر الخروج فصل ٢٤ آية ٣١ وسفر عدد فصل ٧ آية ٣

أراد أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فخر موه ابواقوا عدة الأربعة الأشهر الحرم فإذا أرادوا الصفر قام فيهم فقال أنى قد أحلت لكم أحد الصفرين الصفر الأول ونسأت الآخر للعام المقبل . . . (١)

هذه أقوال ابن هشام عن النساء وهي توضح قبل كل شيء أن وظيفة النساء أدخلت على العرب في عصر غير بعيد من ظهور الإسلام ثم إن وجود هذه الوظيفة في بني كنانة يرشدنا إلى سؤال : هل كان لبطن بني كنانة الذي أصدر النساء علاقة ببطون بني كنانة المتهودة التي سكنت جنوبي مكة ثم لما إذا وجدت المقاومة للنصرانية في اليمن والنجاشي الذي قضى على ذي نواس من جهة النساء وحدهم دون الزعماء الوثنيين ؟ ألم يكن من المحتمل أن هؤلاء النساء علاقة باليهودية ؟ . . .

ولكنني أكتفي بما أشرت اليك من العلاقة بين كنانة والنساء وكنانة واليهود ومقاومة النساء للنجاشي بسبب عطفهم على القضية اليهودية في الجزيرة دون أن أجزم فيها برأى . . . . .

ويؤيد أبو معشر البلخي (٢) وأبو الربيع البيروني (٣) والمقريزي (٤) رأينا في النساء ويقولون إن العرب تعلموا عمل الكيسية من اليهود قبل الهجرة بقریب من مائتي سنة وأخذوا يعملون بالكيس ما يشاكل فعل اليهود من الخاق فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس وقد أطلق العرب على عمل الكيسية بالنسيء أي التأخير غير أنهم خالفوا اليهود في بعض أعمالهم لأن اليهود كانوا يكسبون تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى تصير تسع عشرة شمسية والعرب تكبس

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٤٥

(٢) كتاب الآثار

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية

(٤) انوار اعظم والاعتبار بذكر الخطوط والآثار



أربعاً وعشرين سنة قمرية بأثنى عشر شهراً قمرياً . . . .

كذلك نظن أن لوظيفة الصوفة علاقة باليهود أو بلغتهم العبرية على أقل تقدير  
يحدثنا ابن هشام « كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتنجيزهم إذا انغردوا  
من ذي فإذا كان يوم النفر أتوا رمى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس ما يرمون  
حتى يرمى فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فإرم حتى يرمى معك  
فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل يرمونه  
بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له ويلك قم فإرم فيأبى عليهم حتى إذا مالت  
الشمس قم فرمى ورمى الناس معه . . . . وكانت آخرهم التي قم عليه الاسلام  
كرب بن صفوان . . . (١)

وأما صوفة بالعبرية فن معناها الخارس وهذا التفسير يلائم ما نقلناه من  
كتاب السيرة عن الصوفة ( ٦٥٥ ) بصر أو الشخص الذي يصر في الشؤون  
الدينية لأنه أصدر الأمر حين مسابقة الأفضة وكان أول من رمى الجمار بالحجارة  
أو الحصى في وادي منى

وهي هذا من الأصنام المشهورة عند بني إسرائيل في عصور جاهليتها لأننا  
نعلم من آيات نبوات أشعيا أن منى ( ٥٥ ) كان الها للخمير « وأما الذين تركوا  
الرب ونسوا جبل قدسى فرتبوا إلى جدد (٢) مائدة وملاؤا لمنى خمرًا مزوجًا (٣)  
وكذلك يرى العالم دوزي أن استعمال العرب لاسماء الأسبوع تأثيراً يهودياً (٤)  
اذ لا يمكن تصور استعمال لفظ السبت ليوم من أيام الأسبوع دون أن يأتي من

(١) ابن هشام ج ١ ص ١١٣

(٢) من الأصنام السكناية ٦٥ اله الجدد والحظ وقد أخطأت تراجم التوراة العربية في  
تفسير هذه الآية : ولعل ترجمة التوراة لجمعية المفسرين البريطانيين من ١٠٧٠

(٣) أشعيا فصل ٦٥ آية ١١

(٤) من ١٨٠ Die Israeliten zu Mekka

تأثير اليهود كذلك عرف يوم الجمعة عند أهل مكة بلفظ عروبة وهو لفظ شائع عند اليهود يطلقونه على كل يوم يقع قبل السبت وقبل الأعياد :

ערב טאג, ערב חזר פסח (١)

وهما يكن من مبلغ تأثير اليهود في العرب فأنى أميل الى الاحتراس والتحفظ  
لئلا نصل الى المبالغة والمجازفة في الحقائق التاريخية

على أن هناك مقياساً آخر يجب ألا ينسى وهو ما قلناه فيما مضى من أن الصلة  
الدعوية في العنصر والتقارب في اللغة والأخلاق هو أساس التشابه بين العقائدية  
وتجاه الأفكار والآداب بين العنصرين

ولا يمكننا في كل الأحوال أن نستنتج نتائج تتعلق بالنفوذ كما يحكم بعض  
الذين لا يتعمقون في البحث فيقولون مثلاً أن مهنة التجارة وما يتصل بها من  
دهاء وذكا، ونشاط قد جاءت الى أهل مكة من يهود بلاد الحجاز إذ ترجع ملكة  
التجارة عند بطون أم القرى قبل كل شيء الى مركزها الجغرافي ووقوعها في وسط  
بلاد العرب وعدم وجود مرافق أخرى للتكسب والارتزاق

ثم إن التشابه العظيم بين اليهود وأهل مكة من وجهة الأخلاق والتقاليد  
والاصطلاحات الدينية كان سبباً في ضلال بعض المستشرقين حتى خيل اليهم أن  
أهل مكة واليهود قدشوا من أديم واحد وابتوا من نبتة واحدة فأخذوا يذهبون في  
المبالغات والظنون مذاهب عجيبة ومنهم دوزي (٢) الذي يجتهد في أن يبرهن  
على أن حرم مكة قد عمر بواسطة بطون بني شمعون وإن تقاليد الحج والطواف  
حول الكعبة ليست الا وراثة اسرائيلية قديمة ولكننا نعتقد أنه إذا ظهر التشابه  
بين أهل مكة واليهود أكثر منه بين اليهود والبطون الحجازية الأخرى فإن ذلك

(١) راجع التلمود كتاب אבות פ' ה' וكتاب פסחים ק"א

(٢) Die Israeliten ص ٤٠ — ١٨٥

يرجع الى أن مكة كانت أرقى وأرفع من بقية البلاد في شمال الجزيرة ومن أجل هذا كان حرم مكة موضع الاحترام والتبجيل من جميع العرب في الجاهلية . ومع أنى استنكر استنكاراً شديداً ما استنتجته دوزى في أمر حرم مكة وعلاقته ببطون بني شمعون فإن هناك أمراً يستوقف الأنظار وهو أنه كثيراً ما يحد ثنا ابن هشام عن حرم مكة وبنائه واشتراك ابراهيم واسماعيل والملائكة في تقديسه الخ<sup>(١)</sup> . . . بشكل يشبه ما يقصده التلمود عن بناء الهيكل المقدس بأورشليم وعلاقة الآباء الأقدمين به وتقديس الملائكة له حتى خيل اليها أثناء قراءتنا كتاب السيرة لابن هشام في هذه الموضوعات اننا نقرأ صحف التلمود القصصية . . .

تجهد طائفة من أنصار Welthausen في أن تبرهن على أن تأثير النصرانية في النفوس العربية الحجازية كان أقوى من تأثير اليهودية مستندين الى أن عدد نصارى العرب كان أكثر من عدد اليهود<sup>(٢)</sup> ولكن هذا غير صحيح لان السكينة النصرانية العربية انما كانت على أطراف الجزيرة من جهة الشمال أما في داخل الحجاز حيث المراكز التجارية والدينية والفكرية فقد كانت الاكثرية في جانب اليهود بل لم يكن هناك من نصارى العرب الا عدد قليل جداً

وفضلاً عن ذلك فقد كانت العلاقة قوية جداً بين مكة ويثرب التي كانت تسكاد تعبير موطناً خالصاً لليهود

(١) ١٠٦ / ١٣٤ - ١٨١ من ابن هشام جزء ١ والتبخارى أجادت في هذا الموضوع منها : وقال الرسول يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة وأنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفذ صيده ولا يتلخظ الفيلة الا من عرفها ولا يتخلى غلامه . . . جزء ٢ ص ٣٠١

(٢) من ١٩٧ Skizzen Heft III



٩ ويكفيها في تقويض مزاعم هؤلاء المستشرقين أننا نجد أكثر من ثلث القرآن يتكلم عن اليهود ويناقشهم ويهيم بأقوالهم والرد عليها فطوراً يمدحهم وتارة يقرعهم ويؤنبهم تأنيباً شديداً فإن ذلك يدل على ما كان لليهود من المكانة العظيمة في نفوس العرب وعلى الصلة المتينة التي كانت تربطهم بهم لا ننكر على النصرانية تأثيرها في العرب بوجه عام ولكننا على كل حال تأثير ضئيل بالنسبة للنفوذ اليهودي الذي كان واضحاً جلياً في كل ناحية من نواحي الحياة الروحية والمادية . . .

وهناك مسألة أخرى تلفت نظر الباحث في كتب بعض المؤرخين من الأفرنج وهي ما يزعمونه من أن اليهود كانوا محقرين في الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام<sup>(١)</sup> ونحن نحيل إلى الاعتقاد بأن ذلك غير صحيح لأن العربي في الجاهلية لم يكن يفهم البغض والضعف الدينية كما فهمها المتأخرون ولقد يؤيد الأستاذ النجار رأينا بقوله : لو كان اليهود محقرين لما أهتم رسول الله بمحافتهم ولما أهتم أمرهم يوم الأحزاب حين قالوا عنه ولما قلم لحريهم بعد يوم الأحزاب على مما لأنهم عليه وأنيابهم بالأحزاب لحريه . . . اهـ

وكان عرب الجاهلية يلقبون اليهود أثناء القتال والنضال بألقاب قبيحة ذميمة وكذلك كان اليهود يفعلون ولكن ذلك لم يود إلى احتقار اليهود أو التعريض بالقومية اليهودية ودينها وما كان للعربي الذي طبع على حب الحرية والغيرة على الكرامة أن يسلمها من غيره وكل القرائن تدل على أن العرب على اختلاف بطونهم وأديانهم كانوا يبادلون الاحترام دون أن يعرفوا فرقاً بينهم من وجهة الحقوق السياسية والاجتماعية والأدبية فقد نجد كعب بن الأشرف يرفي قتي قريش كما نجد عباس ابن مرداس يذكر جلاء بني النضير ويكلمهم في قصيدة

وكذلك يمدح أبو سفيان زعيماً من زعماء اليهود ويقول :

سقاني فرواني كميناً مدامة      على ظمأ مني سلام بن مشكم  
نخبرته أهل المدينة واحداً      سواهم فلم أعين ولم أتقدم  
فلما تقضى الليل قلت ولم أكن      لأفرجه أبشر بعرف ومقنم  
وانت أبا غنم بجود وداره      يشرب مأوى كل أبيض خضرم<sup>(١)</sup>

ولا يمكن أن يعول على ما يؤخذ من القصص والروايات التي جاءت بعد فتور  
الأحوال بين اليهود والأنصار أو يستدل به على مكانة اليهود في نفوس العرب  
زمن الجاهلية

كان اليهود موضع الاحترام عند الأشراف والنقباء من قريش وكان رسول  
الاسلام ينظر اليهم هذه النظرة من التبجيل الى زمن طويل بعد مبعثه كما سنوضح  
ذلك فيما بعد

وكان العرب يجهلون الديانة اليهودية ويقولون لليهود « لستم علم لنا »<sup>(٢)</sup>  
وقد يحدثنا ابن هشام أن رجلاً من يهود الشام يقال له ابن الهيثبان قدم علينا  
قبيل الاسلام يستن فيل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس  
أفضل منه فأقم عندنا فكننا اذا قمط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيثبان  
فاسنق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فريقول  
ساعاً من تمر أو قدتين من شعير فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيسني لنا  
والله ما يبرح من مجلسه حتى تمر السحابة ونسقي قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين  
ولا ثلاثاً...<sup>(٣)</sup>

والذي يمكننا ان نستنتجه من هذه القصة الخرافية ان مؤرخي العرب كانوا  
يعتقدون ان الديانة اليهودية واقوامها كانوا موضع الاحترام في الجاهلية

(١) الاغانى جزء ٦ ص ٩٧

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٢٠١

(٣) ابن هشام جزء ١ ص ٢٠٤

وكانت من نساء العرب من تنذر اذا ولدت وعاش ولدها ان يهوده لان اليهود كانوا في نظرهم اهل علم وكتاب<sup>(١)</sup>



قبيل ظهور الاسلام حدثت حروب عظيمة بين بطون يثرب عرفت بيوم بعثت دامت سنين طويلة كذلك حدث في جهة مكة حرب ضروس عرفت باليوم الفجار التحمت فيها المعارك بين بطون قريش وكثافة في أربعة أدوار يقال لها الفجارات الاربعة

أما الفجار الاول فكان عمر النبي محمد فيه عشر سنين وسببه ان بدر ابن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه يسوق مكافئ ويفتح على الناس فيسقط يوما رجله وقال أنا أعز العرب من زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف فونب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأسقطها وأزالها فاقتتلوا . وسبب الفجار الثاني ان امرأة من بني عامر كانت جالسة يسوق مكافئ فطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فساءها أن تكشف وجهها فضحك الناس فنادت المرأة يا آل عامر فنادوا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا . . . وسبب الفجار الثالث انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل كناني فعاطله فجرت بينهما خصاصة فاقتتل الحيان<sup>(٢)</sup>

وكانت آخرها فجار البراض وقد بلغ رسول الله أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة حين هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قوس عيلان وكان الذي هاجها ان عروة الزحال من بني هوازن اجاز لطيمة (وهي الجمال التي تحمل المسك) للنعمان بن المنذر فقال له البراض يطلب غنائه حتى اذا

(١) دبانة العرب في المعاملة ص ٢٠١

(٢) من تنبؤات الشيخ محمود سيد الطهطاوى على كتاب السيرة لابن هشام جزء ١



كان بتيمن ذى طلال بالعالية وناب عليه فقتله في الشهر الحرام فلذلك سعى  
الفجار فارتحل العرب عن عكاظ وهوازن لا تشعر أن البراض قد قتل ثم بلغهم  
أنهم فانبعوم فأدركهم قبل أن يدخلوا الحرم فقتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم  
فأمسكت عنهم هوازن ثم اتفقوا بعد هذا اليوم أياماً والقوم متساندون على كل قبيل  
من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول  
الله بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال الرسول كنت أنبل على أعمامى أى  
أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها . . . (١)

وأما الذى نقلناه عن أيام الفجار فيحتمل أن يكون من العالى المباشرة  
والقريبة لظهور الهياج بين قبائل قريش وكنانة وهوازن

ويلوح لى أن النضال الشديد الذى ظهر بين قبائل الحجاز في شماله وجنوبه  
بدل على أنه وجد في القرن السادس ب . م حركة سياسية قوية بين زعماء الحجاز  
كل كل واحد منهم يطمع أن يستأثر بالحكم لينمكن من أن يشيد أركان مملكة  
جديدة

ولكن التنافس أضعف الجميع ولم أظافهم وزاد في المصاعب والمناصب  
التي كانت تحول بين كل واحد منهم وبين ما يريد حتى ظهر هناك شخص توافرت  
فيه شروط لم تتوافر في غيره فأنف بين القلوب

ومن ذلك الحين أخذت جداول الجزيرة العربية تنحج اتجاهها واحداً ويتقرب  
بعضها من بعض الى أن امتزجت في نهر واحد أخذ يندفق من قلب الجزيرة  
ويفيض بقوة حتى غمر وجه الأرض . . .

وقبيل ظهور الاسلام وجدت في الديار العربية نهضة فكرية عظيمة كان  
الاضطراب من علاماتها وقبيل الاسلام أيضاً أصبحت القلوب صالحة لقبول

دعوة دينية جديدة وصارت الديانة الوثنية موضع السخرية جبراً عند بعض الطبقات من المفكرين

يحدثنا صاحب الأغاني أن قس بن ساعدة الأيادي كان يتكلم عند خطبته على سيف أو عصا ويقول « مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقموا أم تركوا هناك فناموا والله ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلمكم زمانه وأدرككم أوانه فطوبى لمن أدركه فاتبعه وويل لمن خالفه<sup>(١)</sup> »

ومع أن النصرانية واليهودية قد أوجدتا الشك في صحة الديانة الوثنية فانهما لم تفلحا في ادخال تغيير جوهري في النظم الدينية وظلت الوثنية واليهودية والنصرانية في نزاع عنيف دون أن تغلب واحدة على الأخرى

واننا نعتقد أنه لو ظهر هناك يهودى ذو عاطفة ربانية قوية ودعا العرب الى الدخول في دين جديد يشبه اليهودية في جوهره ويبقى عربياً في تقاليده وروحه لكانت دعوته قد وجدت آذاناً مصغية وقلوباً واعية

كذلك لو كان واحد من المفكرين الحنفيين أو غيرهم دعا لتوحيد الآله مع ابقاء النظم العربية الاجتماعية النليدة لكانت دعوته قد صادفت أرضاً خصبة يقول صاحب الأغاني ان أمية بن أبى الصلت « كان قد نظر في السكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفة وحرم الخمر وشك في الأوثان وكان محققاً والنس الدين وطمع في النبوة لانه قرأ في السكتب أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون ذلك . . .<sup>(٢)</sup> »

ولكن أمية وغيره لم يظهروا بمظهر الأنبياء ولم يجتهدوا على أن يفادوا بحجياتهم

(١) الأغاني جزء ١٤ ص ٤٠

(٢) الأغاني جزء ٣ ص ١٧٩

في سبيل الدعوة الدينية و بقيت أفكار أهل الجزيرة العربية مضطربة اضطراباً  
عنيفاً بين اليهودية والنصرانية والوثنية الى أن ظهر رجل رفع علم النبوة وصار غرة  
ناصعة في جبين الدهر ومجداً باقياً ما بقي الزمان وأرغم التاريخ على أن ينحون نحواً  
جديداً . . .

وكان اسمه محمد بن عبد الله من آل قريش من مدينة مكة

---



## الباب الخامس

### مكة ويثرب ازاء الحركة الاسلامية

مبعث الرسول — كيف يكون البحث في سيرة الانبياء ؟ طريقة البحث عند رجال العلم ورجال الدين — الظروف التي كانت تحيط بالنبي محمد قبل هجرته الى يثرب — هل سكن اليهود في مدينة مكة قبل الهجرة — رأى الاب المستشرق لامنس في هذا الموضوع تقسيم العالم Noeldke القرآن الكريم الى أربعة أقسام — الآيات القرآنية الموافقة لمبادئ التوراة الجوهرية — ذكر الآيات القرآنية الاولى لموسى وسردها بعض أنباء بني اسرائيل في مصر — رواية احتكام رسول الله وبنو قريش الى يهود يثرب — اذتياب بعض المستشرقين في صحة هذه القصة الخاطئة — رأى المؤلف في هذا الموضوع — اضطهاد أهل مكة للمسلمين — نزوح فئة من المسلمين الى الحبشة — لماذا لم يأتى المسلمون الى اقليم من اقليم العرب أو الى يهود يثرب ؟ سياسة الحبشة في بلاد العرب — عرض الرسول نفسه على العرب في المواسم — رحلة الرسول الى الطائف — معاناة الرسول للشدة الجوع والصعاب في سبيل نشر دعوته — النقاء الرسول في العقبة برحط من الحزج — الفرق بين عقبة القبائل العربية ويطون يثرب — آثار تعاليم اليهودية فيهم — الديانة اليهودية من الاسباب القوية لظهور الاسلام — اعتناق اليهود بظهور المسيح — تأخير هذه العقيدة في نفوس قبائل يثرب — حاجة بطون يثرب الى محاللات سرية — قصة الخيمس رائس بن رافع وفدومه الى مكة قبل يوم بعثت — بيعة الفداء بالعقبة — بيعة العقبة الكبرى — مطامع بني الحزج من هذه البيعة — الغاية التي كان النبي يرى فيها — نتائج بيعة العقبة الكبرى في التاريخ الاسلامي — موقف قريش واليهود ازاء البيعة الكبرى بالعقبة

يوجه العلماء أثناء بحثهم عن حياة العظماء من الجنس البشري عناية عظيمة الى البيئة التي نشأوا فيها والوسط الذي أحاط بهم ولا يفتأون يبحثون باهتمام شديد عن الظروف الداخلية والخارجية التي وجدوا فيها لوثوقهم بأن لها الفضل الاكبر في تكوين عقليتهم وتسمية عقيرتهم حتى اذا ما استوفوا أبحاثهم الدقيقة

العميقة يأخذون في استنتاج النتائج التي يطمحون اليها وترتاح لها ضلالتهم  
غير أن هذه الوجبة في البحث لا يرتضيها كثيراً رجال الدين أثناء البحث  
في تاريخ الانبياء لاسيما من لا يوافقون منهم على فكرة التوفيق بين العلم والدين  
لانهم يعتبرون للشؤون الدينية مقياساً آخر وينزلون رجال الوحي منزلة أخرى  
وينظرون اليهم بعين غير التي ينظرون بها الى ابطال التاريخ البشرى

على أن هذا الاختلاف بين مقياس محقق العلم والدين لا يوجد الا في  
تعريف النظرية دون الوجبة العملية في جوهر البحث لان رجال الدين لا يخالفون  
الرأى العلمى القائل بأن الوحي انما نزل على الانبياء في ظروف داخلية وخارجية  
دعت اليه الأحوال وبواعث نفسية توافرت في الانبياء دون غيرهم ممن عاشوا  
في بثاتهم وعصورهم وانتقبات وعوارض نفسية كانت تعرض لهم في ظروف  
خاصة من سرور وشجون واضطراب

وقبل أن نشرع في توضيح الظروف التي كانت تحيط بالنبي محمد أثناء نزول  
الآيات القرآنية الى عهد هجرته الى يثرب قلنا نود أن نبحث في مسألة وقع فيها  
نزاع بين المستشرقين وهى هل اتصل رسول الاسلام بافراد وجماعات من اليهود  
قبل هجرته الى المدينة أم لا ؟

لا شك أن أفراداً من اليهود كانوا يأتون الى مكة لاشغال تجارية وأعمال  
مختلفة وأن أهل مكة أنفسهم كانوا يقصدون الى خيبر ليحلبوا منها حلى آل أبي  
الحقيق التي كانت نسائهم وفتياتهم تتحلى بها حين زفافهن وغير ذلك<sup>(١)</sup>

كذلك كان كعب بن الأشرف قد جاء الى مكة ليترقى قتلى بدر كما جاءت  
وفود من يهود النضير الى مكة لتجرب الاحزاب ليوم الخندق<sup>(٢)</sup> وذلك بعد  
الهجرة

(١) الواقدي ص ٢٧٧

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٩٨

وكان رجال مكة يجلبون العبيد من اليهود ويحدثنا الواقدي أنه وجد في مكة عبد من اليهود كان اسمه عبد الدار بن جبر دخل في ذمة الرسول بعد أن سمع منه سورة يوسف فكان لها وقع شديد في نفسه ولما بلغ الخبر مشركي مكة أوسعوه ضرباً فاعطاه الرسول بعد فتحه لمكة مقداراً من المال فتزوج بامرأة شريفة من بنات مكة (١)

وقد أفرغ المستشرق Lamens جهده في أن يبرهن على أن عدداً من اليهود كان يسكن مدينة مكة قبيل ظهور الاسلام (٢) ولكن نظرياته لا يطمئن إليها الباحث ولو صح ما ادعاه هذا العالم لكاف لليهود حتى خاص بهم في مكة ولكان لهم معبد خاص يقيمون فيه صلواتهم ويدرسون كتبهم وليس في جميع المصادر التاريخية القديمة ما يشير أقل إشارة الى وجود شيء من ذلك

غير أنه من الممكن أن يكون بعض الأفراد سكنوا في مدينة مكة كما سكن بعضهم في مدينة الطائف (٣) وفي عدة مدن أخرى من الحجاز ولعلهم كانوا قليلين .

يحتمل أن النبي قد اتصل باليهود منذ حداثة لاسيما بعد أن اشتغل بالتجارة عند السيدة خديجة إذ كانت الأعمال التجارية في مدينة مكة مرتبطة ارتباطاً شديداً بيهود يثرب وخيبر

ويرتاب بعض المستشرقين في صحة خروج النبي الى الشام والنقائه بالراهب بحيرا (٤) ويعتقدون أن الرسول لم يتجاوز حدود الحجاز طول حياته (٥)

(١) الواقدي ص ٣٤٩

(٢) راجع الرسالة Les Juives à la Meque

(٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ٦٣ طبع مصر

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ١٦٩

(٥) Die Juden zu Medina ص ٤١



وقد قسم العالم Noetke القرآن الكريم الى أربعة أقسام يشتمل القسم الاول منه على الآيات التي أنزلت قبل الهجرة الى يثرب ويتضح أن الآيات في هذا الدور كانت موافقة لمبادئ التوراة الجوهرية وكانت ترمى الى التأثير في النفوس العربية التي كانت تنظر باحترام عظيم الى تعاليم التوراة ومبادئها « ان هذا لى الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى »<sup>(١)</sup>

ويابى التنزيل أهل مكة بأن محمداً للعرب إنما هو منزل موسى لى إسرائيل وينذره ان هم لم يؤمنوا بما جاء به النبى محمد ان يصيبهم ما أصاب قوم فرعون فيقول « إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا فكيف تنقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً »<sup>(٢)</sup>

كما يقول « قل ما كنت بعداً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان اتبع إلا ما يوحى الى وما أنا إلا نذير مبين »<sup>(٣)</sup>

ففس هذا التعريف يوجد فى كتب العهد القديم عن بعض الأنبياء الاسرائيليين<sup>(٤)</sup> وبخطاب الوحي العرب بما يقتضيه بأن النبى ذكر فى التوراة وأن بنى إسرائيل يعلمونه « وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وإنه لى ذر الأولين أو لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى إسرائيل »<sup>(٥)</sup>

ويشير التنزيل الى أن هناك وفقاً تاماً بين القرآن والتوراة « قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مشله فأمن

(١) سورة الاعلى آية ١٩

(٢) سورة المزمل آية ١٥

(٣) سورة الاحقاف آية ٨

(٤) راجع ميخا فصل ٢ آية ٦ حزقيال فصل ٢١ آية ٧ ( ٥٥٥ )

(٥) سورة الشعراء آية ١٩٥

واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . . . ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين »<sup>(١)</sup>

من هذا يستنتج المستشرقون أن الأفكار في مدينة مكة كانت على علم بدين اليهود وتعاليمه وأن النبي الجديد قد ظهر بمظهر الأنبياء الاسرائيليين كي ثبت صحة رسالته ويؤيد دعونه التي يعلم قريش لها ظهوراً في اليهودية ويعجب المستشرقون من أنه لم يأت في هذا الدور أقل ذكر المسيح أو تعاليم الانجيل وأن أول إشارة في القرآن للسيد المسيح لم تكن إلا في السنة العاشرة بعد مبعث النبي محمد<sup>(٢)</sup>

وقد يستنتج العالم ( Lesynsky ) من هذا انه كان هناك بون شاسع بين قلوب رجال عرب الحجاز في الجاهلية وبين مبادئ النصرانية وتعاليمها بينما كانت السور القرآنية في الدور الأول لا تخلو واحدة من الإشارة الى ما في النوراة والتلميح الى مواضعها وذكر شيء من تاريخ بني إسرائيل<sup>(٣)</sup>

مع أن من المؤكد الثابت أن أفراداً من أحرار انصارى وعبيدهم قد كانوا في مكة ساكنين ومختلطين بأهلها ولكن لم يثبت أن أهل مكة قد عرفوا النصرانية وتعاليمها ومبادئها

كان التأثير اليهودية شديداً جداً الى حد أن قبلة الرسول في صلاته كانت الى جهة أورشليم كما هي عند اليهود فكان الرسول اذا صلى صلى بين الركنين البراني والاسود وجعل السكينة بينه وبين الشام<sup>(٤)</sup>

ورواية احتكام رسول الله وبنو قريش الى يهود يثرب تدل على ما كان

(١) الاحقاف ٩ — ٢١

(٢) - سورة مريم

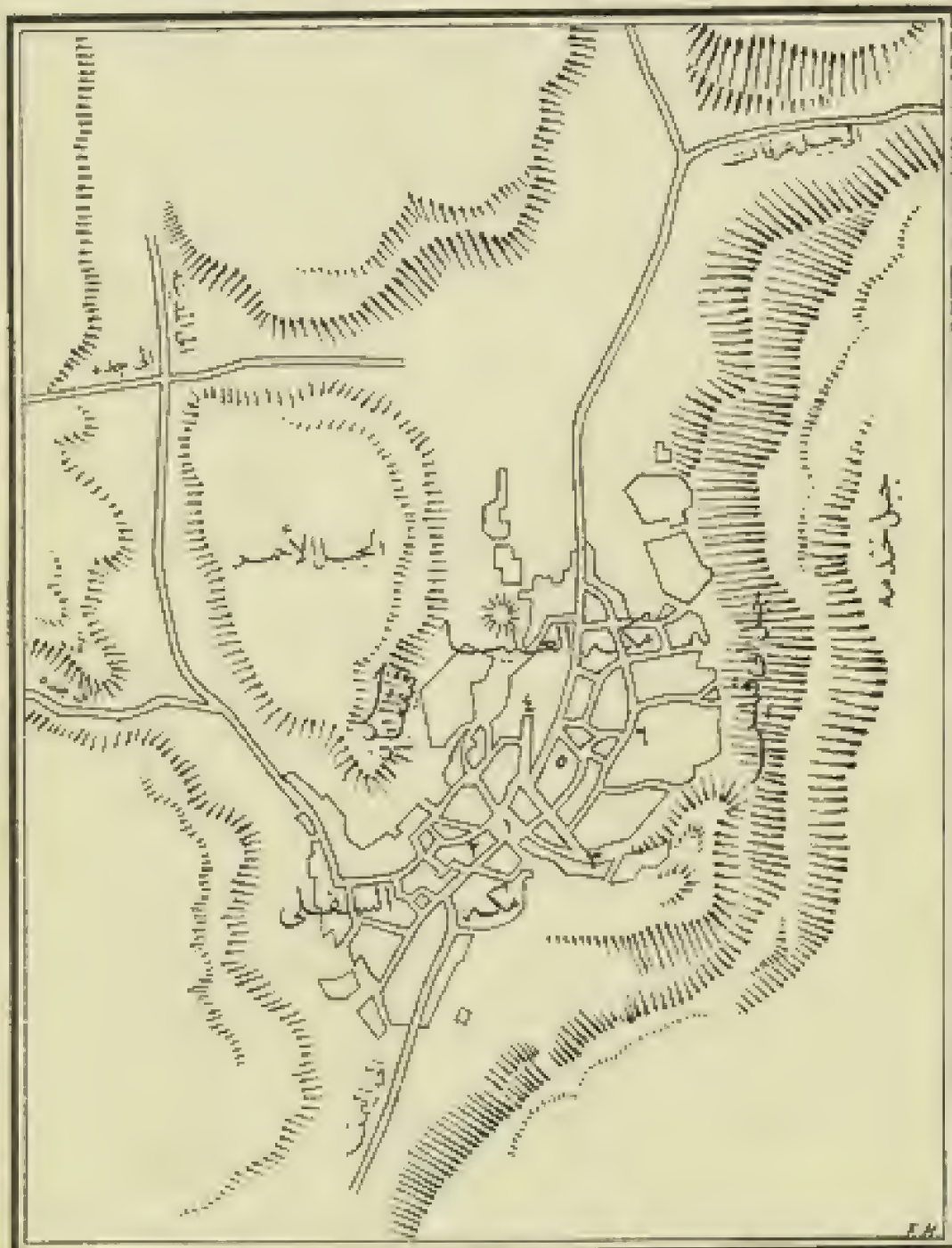
(٣) من Die Juden ٤١

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢٢١

# مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةِ

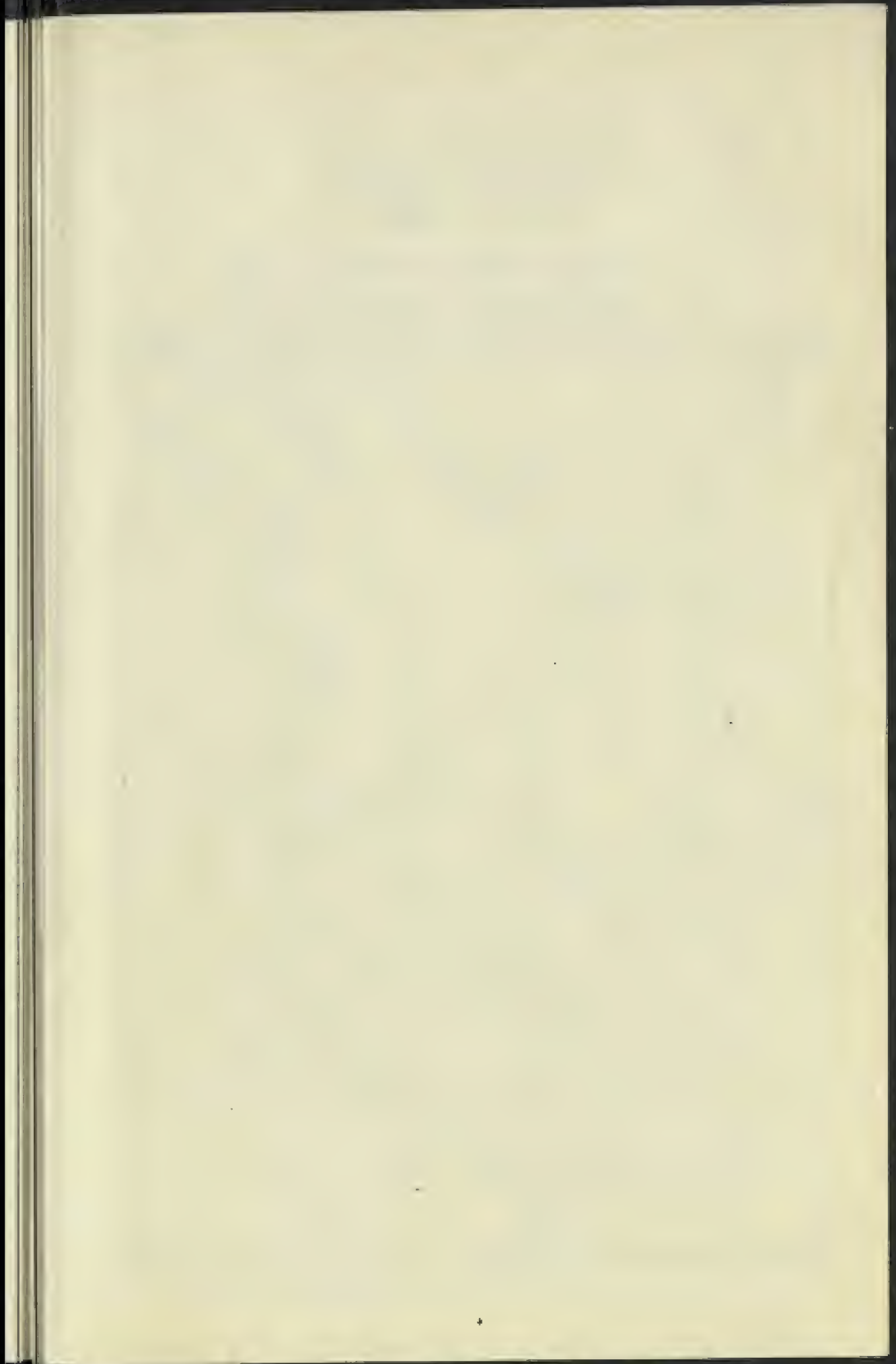
مقاس الرسم ١٦,٦٦٦ : ١

ملحوظات : (١) الكعبة (٢) بيت المقدس (٣) الصفا .  
(٤) المروة (٥) منزل السيدة خديجة (٦) السوق



وضعت كتاب تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام لله كونا اسرائيل والعفسول .





اليهود في نفوس أهل مكة من المسكاة الكبيرة

ويحدثنا ابن هشام أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث ومعه عتبة بن أبي  
معيط إلى أخبار اليهود بالمدينة وقالوا لها سلام عن محمد وصفا لهم صفته وأخبرهم  
بقوله فأنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء نخرج  
حتى قدما المدينة فسألا أخبار اليهود عن رسول الله ووصفا لهم أمره وأخبرهم  
ببعض قوله وقالوا لها إنكم أهل النبوة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا  
فألت لها أخبار اليهود سلوة عن ثلاث زمرهم من أن أخبركم بين فهو نبي مرسل  
وإن لم يفعل فارجل <sup>مفتول</sup> فآروا فيه رأيكم سلوة عن فتية ذهبوا في الدهر الأول  
ما كان أمرهم فانه قد كلف لهم حديث عجيب وسلوة عن رجل طواف قد بلغ  
مشارك الأرض ومغار بها ما كان نبوة وسلوة عن الروح ما هي فإن أخبركم بذلك  
فاتبعوه فانه نبي وإن لم يفعل فهو رجل مفتول فاصنعوا في الرجل ما بدا لكم  
فأقبل النضر بن الحارث وعتبة بن أبي معيط حتى قدما مكة وأخبرا بني قريش  
ما سمعا من أخبار اليهود فجاؤا إلى رسول الله فقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا  
في الدهر الأول وقد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق  
الأرض ومغار بها وأخبرنا عن الروح ما هي فقال لهم رسول الله أخبركم بما سألتهم  
عنه غداً ولم يستنن فأنصرفوا عنه فكث رسول الله فيها يذكرون خمس عشرة ليلة  
لا يتحدث الله اليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا  
وعندنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا نخبرنا بشيء مما سألتناه  
عنه وحتى حزن رسول الله وكث عنه الوحى وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم  
جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة <sup>الكاف</sup> فيها معانيه إياه على حزنه  
وعلى أنه لم يكمل الأمر لمشيئة الله وخبر ما سأله عنه من أمر الغنمة والرجل

## الطواف والروح (١)

وينفى بعض المستشرقين صحة هذه القصة الخطيرة دون أن يأتوا بدليل  
نظمئن اليه (٢) والحق أن من العسير إنكار رواية تاريخية كانت سبباً في نزول  
سورة الكهف والآيات الخاصة بالروح وذى القرنين

وعندنا دليل يحتملنا على الاعتقاد بأن هذه الرواية من المحتمل أن تكون  
واقعية وهى أن فى التلمود قصة مشهورة تشبه قصة أهل الكهف (٣) ومن هذه  
القصة أخذ أخبار اليهود الأسئلة التى وجهوها للرسول بواسطة وفد بنى قريش  
وتؤيد هذه القصة ما ذهبنا اليه من أنه لم يكن بمكة أحد من اليهود إذ لو  
وجد منهم فى مكة ما أوفد بنو قريش وفدهم الى المدينة ليسألوا أخبار اليهود عن  
شأن النبى وإذا وجد منهم أحد فلا بد أن يكون غير عالم

انتهى بهذا ذلك دور المناقشات بين الرسول وأهل مكة وبدأ النفور والاضطهاد  
وبعدتنا ابن هشام أن أهل مكة تأمروا على من أسلم واتبع الرسول فوثقت كل  
قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع  
والعطش (٤)

ولما رأى الرسول ما يصيب أصحابه وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه  
من البلاء أشار عليهم بالفرار الى بلاد الحبشة وكان لهم ملك لا يظلم عنده أحد  
وهى أرض صدق تفرج عند ذلك المسلمون من أصحاب الرسول الى الحبشة مخافة  
الفتنة وفراروا الى الله بدينهم (٥)

ولماذا لم يفلتجى هؤلاء المهاجرون الى إقلايم من أقلايم العرب أو الى يهود

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٧٤

(٢) Die Juden ص ٣٦

(٣) راجع التلمود كتاب בבא בתراا

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢٨٨

(٥) ابن هشام جزء ١ ص ٢٩٢



ينرب ؟ بعض المستشرقين من المتعصبين للنصرانية يقولون بأن النبي إنما أشار على المسلمين بالزوح إلى الحبشة لأنه كان يفضل وجود المسلمين في بيئة مؤمنة من النصارى على وجودها بين المشركين ولما كنا نميل إلى الاعتقاد بأن عاملاً سياسياً هو الذي كان السبب في نزوح المهاجرين إلى الحبشة

كانت الأمة الحبشية تطمع منذ أجيال قديمة في فتح الأقاليم العربية وكان ملوك الحبشة يراقبون أحوال الجزيرة مراقبة شديدة ويتحينون الفرص لتنفيذ مطامعهم الاستعمارية ، من أجل ذلك بالغ النجاشي في الاحتفاء باللاجئين من مكة أملاً في أن يتمكن بمساعدتهم من التدخل في شؤون مكة الداخلية

ولم يلجأ المهاجرون إلى قوم من العرب في الجزيرة مخافة من هيئة قريش وعدوانها وكانت بلاد العرب مرتبطة برجال قريش ارتباطاً تجارياً ودينياً وكان بعضها مخالقات وعقود سياسية مع رجال قريش

ولهذا السبب نفسه منع النبي الهجرة إلى ينرب إذ كان بين بطون اليهود وآل قريش علاقات تجارية متينة لم تكن تسمح لليهود أو للأوس والخزرج بالاحتفاء بأعداء قريش وفوق ذلك فقد كانت الحرب دائرة بين بطون ينرب في ذلك الحين ( يوم بعث )

إذاً فقد كانت بلاد الحبشة أقرب إقليم هدى إلى مكة وكانت هي البلاد التي تمكن الهجرة إليها مع أمن المهاجرين على حياتهم وأموالهم

وبعد هجرة المسلمين إلى الحبشة أخذ الرسول يعرض نفسه على العرب في المواسم ويدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل

وقد رحل إلى الطائف وعرض نفسه على بطونها فلم يقبلوا منه وخذلوه وأنكروه فقال له أحدهم هو بدر بن أبي السكة إن كان الله أرسلك وقل الآخر أما وجد الله أحداً يرسله غيرك وقل الثالث والله لا أكلمك أبداً لئن كنت

رسولا من الله كما تقول لا أنت أعظم خطراً من أن أرد عليك بالكلام وإن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم برجمونه بالحجارة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وأجأوه إلى حائط فلما اطمأن روعه قال اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى عبدة يتهموني أم إلى عدو ملكته أمري (١)

وهذه القصة المؤثرة تدل على الشدة التي كان يعانيها الرسول أثناء عرضه دعوته على بطون الطائف ثم تظهر مقدرته الفائقة التي لا توجد إلا عند كبار الأخيار من رجال التاريخ البشري حين لم يكن يبالي بعدوان البطون عليه ولا بقوارص السكك التي كان السفهاء يوجهونها إليه بل مضى في سبيله يدعو العرب إلى الله بكل ما أمكنه من حيلة ووسيلة ولكن نجاحه كان بطيئاً جداً في ذلك الحين لأن تعاليمه كانت تقوم على ترك عبادة الأصنام وهدم العقيدة الراسخة في نفوس العرب « وعلى أن تسليخ هبل واللات والعزى من أعناقها » (٢) وكان ذلك فوق ما تهضمه عقولها وتحملة نفوسها ثم رجع الرسول إلى مكة

وبقي النبي يعاني الشدائد والصعاب في سبيل نشر دعوته وأعداؤه يزدادون في إساءتهم إليه حتى التقى بأفراد من عرب يثرب فوجدت دعوته لديهم آذاناً مصغية وقلوباً واعية فبينما الرسول في العقبة إذ تلقى وهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال لهم من أنتم قلوا نفر من الخزرج قل من موالى اليهود قلوا نعم قل أفلا تجلسون أكلمكم قلوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهودا كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٦

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٦

قد غزوههم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شيء، قل لهم اليهود إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه فندبعه فنقتلهم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله أولئك النفر ودعاهم إلى الله قل بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله أنه للنبي الذي وعدكم به اليهود فلا تسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقلوا له أنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فستقدم عليهم فدعوههم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين ثم انصرفوا عن الرسول راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا (١)

وينضح من هذا أنه كان هناك بون شاسع بين عقلية القبائل القاطنة بالهائم وغيرها من سائر القبائل التي عرض عليها الرسول دعوته وبين عقلية هذا النفر من رجال يثرب إذ كانت الأولى عقليتها جامدة جافقة ليس فيها أي استعداد للصور الروحية وكانت الثانية عقليتها مرنة قابلة للتطور مستعدة للترقي فلم تكن تسمع دعوة الرسول حتى قبلتها واعتقدتها ووجدت دعوة الرسول في هذه النفوس أرضاً خصبة صالحة لنمو الدين الجديد فيها وازدهاره

ولاشك أن هذا أثر من آثار التعاليم اليهودية ونتيجة من نتائج الاختلاط الشديد بيهود يثرب

وهكذا بعد تلك الشدائد والروايات التي نزلت بالنبي بسبب عرضه دينه على العرب في تمسكهم الشديد بالتقديم وهجوهم على كل من يتعرض للدين آياتهم وجد أماءه بطوناً يثربية دخلت في دينه بلا مقاومة وأخذ أفرادها ينظرون إليه نظر التعظيم والتقدس لما أتى عليهم الرسول

ومن هنا يمكن أن يقال إن اليهود كانوا من أهم الأسباب التي ساعدت على ظهور الاسلام وإن يكن ذلك بطريقة غير مباشرة



وهناك ملاحظة أخذناها من هذه القصة — قصة النفر من الخرج — ولم نجد من تنبه اليها من المؤرخين وهي أن ما رسيخ في نفوس اليهود من اعتقاد مجيء مسيح ينقذهم من اليأس والشقاء كان له الأثر الكبير في انتشار الاسلام كما كان سبباً في ظهور النصرانية في فلسطين عند طائفة خاصة من اليهود وكما كان سبباً لظهور عدة أشخاص من اليهود في القرون القديمة والوسطى بمظهر الانبياء والمرسلين حيث عرضوا على اخوانهم تعاليم دينية جديدة وادعوا لانفسهم دعوة المسيح المنتظر

وقد ملأت هذه القصة صحفاً كثيرة من صحف الأدب الاسرائيلي القديم والحديث وكثيراً ما كانت سبباً في نزول بلايا ورزايا كثيرة باليهود في أدوار مختلفة ولا يزال هذه العقيدة الى اليوم راسخة في نفوس الطبقات المتدنية من اليهود واذا قام شخص وادعى أنه المسيح المنتظر الذي يحنون اليه منذ أزمان طويلة أنكروا ادعاءه وسفهوا قوله ورفضوا الاذعان لما يدعوه اليه . وكانت الأمة الاسرائيلية كانت ترمى لهذه الفسكرة الى غاية معنوية لا يريدون تحقيقها بوجه من الوجوه

ولسكنها لعبت دورها بين العوامل التي أدت الى انتشار الاسلام اذ كان العرب يسمعون من اليهود أنباء أوقات الشدائد والازمات أن المسيح المنتظر سيأتي لينقذ على اعداء الشعب المختار فلما عرض النبي رسالته على أفراد من الخرج تنبهوا الى أقوال اليهود فقبلوا بيمينهم الاسلام ويؤمنون بدعوة الرسول وهكذا أدت تلك المحادثة بين الرسول وبين النفر من الخرج الى هذه النتيجة العظيمة ذات الأثر البعيد في التاريخ البشري

لكن هناك عوامل أخرى ذات أهمية كبيرة وهي تلك المقاصد السياسية التي كانت ترمى اليها بطون العرب بارتباطها بروابط العروة الوثقى مع النبي

والذي ينعم النظر في تاريخ بطون يثرب يرى أن الطوائف الضعيفة في المدينة كانت تعمل سرا على إيجاد محالفات مع قبائل عربية قريبة وبعيدة  
فمن المحتمل إذن أن تكون الأوس والخزرج قد حالفت بطون بني غسان  
بخاربة اليهود في عصر أبي جبيعة كذلك يحتمل أن تكون تلك البطون قد  
عرضت المحالفة على قريش ولكن لم يصل شيء عنها اليها أو أن قريشاً قد  
استنكرتها لمصلحتها التجارية

ونحن نعلم أن بطون الأوس قد أرسلت قبل يوم بعثت وفداً إلى مكة وكانت  
في ذلك الحين عاجزة عن بخاربة بطون الخزرج وكان رائد وفد الأوس يرمى إلى  
تخريب قريش على الخزرج ولكن قريشاً رفضت الدخول في أمور كان يشتم  
منها رائحة الدماء

ويحدثنا ابن هشام عن هذا الوفد « أن أبا الحيسر أياس بن رافع قدم مكة  
ومعه فتية من بني عبد الأشهل فيهم أياس بن معاذ يلتمسون الخلف من قريش  
على قومهم من الخزرج وقد سمع بهم رسول الله فاتاهم فجلس إليهم فقال لهم هل  
لكم في خير مما جئتم له فقالوا له وما ذلك قل أنا رسول الله بعثني إلى العباد أن  
يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل على الكتاب فقال أياس بن معاذ وهو  
غلام حدث هذا والله خير مما جئتم له فلفظمه أبو الحيسر أياس بن معاذ على وجهه  
وقال دعنا منك فلم يرد ثم جئنا لغير هذا فصمت أياس ثم انصرفوا إلى المدينة  
وكانت وقعة بعث بين الأوس والخزرج <sup>(١)</sup>

وهذه القصة ذات شأن عظيم في فهم تاريخ بطون يثرب وإلى لا ميل إلى  
الاعتقاد بأنه لو لم تكن لها صلة برسول لا هملها ابن هشام كما أهمل مؤرخو العرب  
القدماء ذكر محالفات أخرى مع قريش جاءت الأوس أو الخزرج لتعرضها عليها

أما بعد يوم بمات فقد ظهر عند بطون الخزرج المغلوبة على أمرها أن تقبض  
أثر الأوس في أيام عجزها وكانت بطون الخزرج تحن إلى الشار من الأوس  
واليهود معاً لأنهم قد انحنوا فيهم إحناءاً وبالغوا في قتلهم فلما ذهب نفر من  
الخزرج إلى مكة لتأدية فروض الحج وكان قلبهم يفيض أسمى وحزناً فلم يك  
يعرض الرسول دعوته عليهم حتى قبلوا منه وآمنوا بدعوته وابعود لأنهم أرادوا  
أن يكون لهم منه مسيح بنقدهم مما يعانون من يؤس وشقاء.

وفي العام المقبل في موسم الحج حدثت بيعة العقبة المشهورة ببيعة النساء (١)  
وفي الموسم الثالث تمت البيعة الكبرى بالعقبة وقد اشترك فيها اثنا عشر ثقبياً  
من ثقباء الأوس والخزرج وأخبارها مطولة في سيرة ابن هشام (٢)

وأما الغرض الذي كان يرمى إليه الرسول فكان غرضاً دينياً قبل كل شيء،  
ثم إلى إيجاد قوة لمحاربة قريش التي تسمى إليه وإلى كل مؤمن بها كانت الغاية  
التي يرمى إليها بنو الخزرج سياسية قبل كل شيء، وهي إيجاد قوة لمحاربة عدوهم  
الذي بالغ في قتلهم وإذلالهم وهو بطون اليهود في يثرب.

وقد قال الزعيم الخزرجي أبو الهيثم للرسول « إن بيننا وبين الرجل حبلاً  
وأنا قاطعوه — يعني اليهود — فهل عصيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرتك الله أن  
نرجع إلى قومك وتدعنا قتبهم الرسول وقال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم  
وأنتم مني أحارب من حاربهم وأسالم من أسلمهم (٣)

وإذا سلمنا بصحة هذا الحديث فإننا نقرر أن الغاية التي كان بنو الخزرج  
يرمون إليها من مشروعات بيعة العقبة الكبرى ظاهرة جلية إذ هي مقالة يهود  
يثرب وهدم كيالهم.

(١) ابن هشام جزء ٢، ص ٢٢

(٢) ابن هشام جزء ٢، ص ٢٨ — ٤٢



أما النبي فقد وعدهم ما وعد المكسب ثقتهم التامة وأما الغرض الذي كان  
يسمو اليه في الواقع فقد كان غير غرضهم تماماً إذ لم يكن بعد قد نشأ بينه وبين  
اليهود شيء من العداوة ولم يكن يضمّر لهم أقل شر بل كان يرمى إلى توحيد بطون  
يترب جميعاً وجعلهم أمة واحدة ليتمكن من أن يحارب بهم أعداءه . . .

وكذلك يحتمل أنه وعد النفر من الخوارج الذين اتفق بهم الرسول في البيعة  
الأولى بأن يقاتل أعداءهم من الأوس واليهود جميعاً ولكن في بيعة النساء قد  
اشترك بعض النقباء من الأوس ومع أنه لم يشترك أحد من زعماء اليهود في  
البيعة الكبرى فإن النبي كان يعتقد رغم هذا أن سيدخل اليهود في ذمته حين  
يظهر في يترب

والذي مهد السبيل وهياً القلوب للبيعة الكبرى هو مصعب بن عمير الذي  
ذهب مع النقباء من بطون يترب بعد بيعة النساء وقرأ مع الانصار القرآن وألف  
بين قلوبهم وكان الأوس والخوارج يكره بعضهم بعضاً فذكر بعضهم أن يؤمنه  
البعض الآخر (١)

ولكن مصعب بن عمير استطاع أن يخالف بين النقباء الاثنى عشر في يترب  
وأن يأتى بهم من آتئين متضامنين في غاية واحدة إلى البيعة الكبرى

وهنا يعترضنا سؤال وهو لماذا لم يشترك من اليهود في هذه البيعة أحد ألم  
يكن مصعب بن عمير يسعى لادخالهم في الحلف أو أن اليهود لم يلبوا دعوته أو  
أنه خشي من دخول اليهود في هذه البيعة أن تضعف عزيمته زعماء الخوارج . . .

هذه أسئلة يجب ألا تغيب عن بالنا في أثناء بحثنا في تاريخ البيعة  
الكبرى بالعقبة

وهنا يعمد لنا سؤال وهو كيف كان موقف قريش واليهود إزاء اتجاه الرسول

الى بطون يثرب العربية التي انتهت بالبيعة الكبرى بالعقبة ؟

لقد رجعنا الى ما كتبه العرب عن حركات قريش أثناء البيعات في مواسم الحج من ناحية بطون الاوس والخزرج فوجدناهم اقتصروا على بسط أعمال زعماء قريش بعد البيعة الكبرى وفي أثناء العمل لها فهل يمكننا أن نصدق أن قريشاً وقفت موقف الحياد في تلك السنوات الثلاث التي استمرت فيها المحادثات والمفاوضات بين انصار الرسول وبين بطون يثرب ونحن نعلم أن زعماء قريش قد أعلنوا عداوتهم للديانة الجديدة منذ نشأت ولم يألوا جيداً في قتلها وهي في المهد ولم يتحركوا وسيلة لا يقاد الغتة ضد المسلمين الا لجأوا اليها حتى لقد أرسلوا الوفود الى الحبشة يستعينون بها على اخراج المؤمنين من ديارهم ، أيمكن أن نسلم بأن قريشاً أغضت أو تغاضت عن تلك الحوادث الهامة التي كانت تجري في مكة في حين كان القوم يؤدون شعائرهم الدينية وكانت تلك الحركات العدائية مصوبة الى العقائد القديمة من ناحية عنصر عربي له قوة ونفوذ في شمال الحجاز بأجمعه ؟

إذا، هذا لا يمكننا أن نسلم بذلك الحيات المظنون بل نرجح أن قريشاً بذلت كل ما كان في وسعها من القوة والنفوذ لتحبط مشروعات الرسول ولترجع زعماء الاوس والخزرج الى موقفهم الاول ولكنها خابت في هذا المسعى لأن بطون يثرب لم تستمع لهم اذ كانت تأثرت بنفوذ النبي ورأت أن مصالحها السياسية والاقتصادية تقضى بالانضمام اليه

وانه لبعيننا أكثر من هذا أن نعرف موقف يهود يثرب إذا، هذه البيعة الكبرى بالعقبة فإن المراجع العربية لم تشير الى حركاتهم ونياتهم إذا، هذه البيعة الكبرى كأن الدعوة الاسلامية لم تصل اليهم وكأنهم لم يقفوا على شيء من أعمال البطون اليتيمية العربية

ونحن نرجح أن اليهود لم يغفلوا عن تلك الحركة لأنها متصلة بمصالحهم

السياسية والتجارية والاجتماعية خصوصا اذا لاحظنا اتجاه الدعوة الاسلامية صوب المدينة وميل زعماء الخزرج الى الاتصال بالرسول ونحن نعلم ما كانت بينهم وبين اليهود من الحقد مما جعل زعماء بني النضير وقريظة يراقبون حركاتهم جميعا ثم نعلم أن الاسلام لم ينشر خفية في يثرب وكيف وقد كان مصعب بن عمير يدعو الناس الى الله ورسوله على مرأى من جميع البطون وكان ينتقل من بطن الى بطن ومن حي الى حي مدة طويلة ثم إننا نعلم أن عددا من تجار اليهود كان يشترك في موسم الحج فمن البعيد إذن أن يجهل اليهود تلك الشؤون كما صورتهم كتب الاخبار

نحن لا نشك في أن اليهود لم يكونوا متحدين في ميولهم السياسية والاجتماعية فقد كانوا في شقاق دائم ولم تظهر بينهم الألفة الا في أيام البؤس والشدة كما انجد بنو النضير وبنو قريظة في يوم بعثت ضد عدوهم من بني الخزرج وفي يوم بعثت كان بنو قينقاع يحاولون الى جانب صفوف الخزرج ضد أبناء جلدتهم وقد بالغ اليهود في قتلهم وعداوة بني قينقاع لبقية اليهود قديمة فيما يرى بعض المستشرقين اذ اكرههم اليهود على الخروج من مزارعهم والا كنفاء بحبيهم الذي كان يحويه بنو الخزرج

وأما منا عنصر ثالث من اليهود هو البطون المتهودة الصغيرة وكان من بطون العرب في يثرب أسرتهمودت ولم تخرج من ديارها بل بقيت محتفظة بمنازلها بين قومها ونحن لا نجد هذه البطون المتهودة ذكرا في النضال العنيف ضد الاسلام

فهل نظن انهم لم يندخلوا قط في شؤون الحرب أو انهم قاتلوا في صفوف أبناء دينهم ولم يذكرهم المؤرخون لقتلهم وقد يصح أن نفترض انهم مع يهودهم آثروا الفرقة القومية على العاطفة الدينية فلم يشتركوا في حرب اليهود للفلسدين ؟



كانت العلاقات بين اليهود وبين قريش في غاية الصفاء لذلك نفرض انه اذا لم يغتلب زعماء قريش في استمالة زعماء الخزرج فانهم لا يذاهبون للتقرب من بعض زعماء اليهود ليعملوا على احباط أعمال المسلمين في المدينة وكذلك كان فان الذي يتأمل ما جرى بين كعب بن الأشرف زعيم بني النضير وبين الرسول يرى أن ذلك الرجل كان يقاوم الحركة الاسلامية منذ وصلت أرض يثرب والعمدة الذي استفحل أمره بين الجهتين يؤيد ما نقول

ولكن اذا اقتربنا اتفق بعض زعماء اليهود مع قريش للتحرش بالاسلام فاننا نعلم من جهة أخرى أن مخبريق اليهودي أحد زعماء وأغنياء بني النضير كان من أوفى الناس للرسول وأكثريهم ميلا اليه منذ هجرته وكذلك أظهر عبد الله بن سلام ولا للشئ قبل أن تنشأ الأئمة بين النبي وبين يهود المدينة

كل ذلك يؤيد ما نحيل اليه من أن النزعات السياسية عند زعماء البطون كانت مختلفة كل الاختلاف وهذا كله فرض قد يساعدنا في البحث عن العلاقات بين المسلمين وبين قريش واليهود

ويقول الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير أن أهل يثرب لما بايعوا النبي البيعة الكبرى علمت قريش في تلك الليلة بتلك البيعة مع أنها كانت مصرية لم يعلم بها وذايو أهل يثرب فن الذي أفشى إلى قريش بذلك الأمر ؟

لا جاز أن يكون أحد النبايعين أخبرهم بما كان والوثنيون لا علم لهم بشئ والذي نفترضه أحد أمرين :

الأول أن تكون قريش تنهت إلى الأمر وراقبت محمداً من حيث لا يدري حتى اذا اجتمع بأصاذه بلغهم عنهم بما كان ففطنوا للأمر

الثاني أن أحد اليهود من تجار الموسم رأى جيرانه في الدار على حال غير

معتادة ففطن للأمر وأسر إلى قريش بما رأى

وقد ذكر المؤرخون أن قريشاً عاتبت أهل يثرب على ما كان من أمر بيعة  
الرسول فسكت من كان منهم مؤمناً ودخل في بيعة النبي وتكلم الوثنيون فأنكروا  
أن يكون حصل منهم شيء. تكرهه قريش وحافوا لهم على ذلك فرجع القرشيون  
حين سمعوا ذلك . . . اهـ

ومهما يكن من شأن هذه البيعة العظيمة فنتبها من الحوادث ذات النتائج  
الخطيرة في التاريخ الاسلامي

واني أعتقد انه كان من الحق على المسلمين أن يبتدئوا تاريخهم من تلك  
السنة لأن قيمتها لم تكن أقل شأنًا من قيمة هجرة الرسول إلى يثرب . . . ومع  
ذلك فلم يفتهم شيء كثير فإن الهجرة حصلت في السنة التالية لها عن قرب

## الباب السادس

### هجرة الرسول الى يثرب

واملاؤه بنى قينقاع والتضير عنهما

آمال اليهود التي كانوا ينظرون تحقيقها بعد قدوم النبي الى يثرب — معاهدة الرسول مع يهود يثرب — نس الصحيفة — آراء المستشرقين فيها — قيمة هذه الصحيفة — نظام الحكم في منطقة يثرب قبل الهجرة — رغبة الرسول في التآليف بين قلوب المسلمين واليهود — كيف نشأ سوء التفاهم بين الرسول واليهود — بعض أسباب جوهرية سوء التفاهم أهلها المؤرخون — المجادلة العديدة بسب مباشر العصومة — اشتداد الازمة السياسية بين الرسول واليهود — فشل الطائفة المعتدلة من اليهود في سعيها لادخاع المياه الى مجاريها — دور المنافقين في هذا النزاع — يوم بدر — لماذا لم يترك اليهود في القتال يوم بدر ؟ — دعوة الرسول بنى قينقاع الى الاسلام — الاسباب التي أدت الى تشوه المعاداة بين المسلمين وبنى قينقاع قبل غيرهم من اليهود — رد بنى قينقاع على دعوة الرسول — جلاؤهم عن المدينة — آيات قرآنية تراث في جلاء بنى قينقاع عن المدينة — يوم أحد — اعتناق بنى التضير عن الاشتراك في هذه الموقعة — تخيير بنى اليهودى صديق الرسول — قتل كعب بن الاشرف — نقطة خلاف بين ابن هشام واليعقوبي — أمر الرسول بالجلاء بنى التضير عن المدينة — أصرار بنى التضير على المقاومة بتشجيع زعيم المنافقين — نزول بنى التضير على حكم الرسول — مقام بنى التضير — شعر العرب في يوم بنى التضير

لا شك أن اليهود كانوا يرصدون الاحوال التي طرأت على يثرب بعد البيعة الكبرى بالعقبة ويراقبون تطور الحوادث باهتمام شديد ولم يكن يدور في خلدكم ان سيحدث ما بوجه الحوادث في تيار مضاد لمصالحهم ومضاد لكيانهم ولو أنهم تبينوا في مظاهر الخرج ما يدل على شيء من ذلك لأعلنوا الحرب جهراً منضمين الى حلفائهم من البطون البثرية أو منضمين مع قريش



ويلوح لى أن اليهود كانوا ينظرون بفارغ الصبر قدوم النبي الى يثرب وكانوا يعتقدون أنه فى مصلحتهم فقد نادى فيهم أول رجل منهم رأى النبي فى يثرب بأعلى صوته « هذا جدكم قد جاء » (١)

كان يهود يثرب يتشوقون لرؤية الرجل الذى ينشر دعوة دينية تنفق فى جوهرها مع عقائدهم وكانوا يعتقدون أن ظهور رجل لبس من نبي إسرائيل يدعو الى توحيد الآله والى تعاليم التوراة والى تمجيد إبراهيم وموسى إنما هو ظاهرة غريبة فى التاريخ البشرى

ولا شك انهم سمعوا من مصعب بن عمير بعض الآيات القرآنية وأنه كان لهذه الآيات وقع حسن فى نفوسهم جعلهم يؤمنون فى هجرة النبي الى يثرب آمالاً كباراً

ويظهر أنهم كانوا يعتقدون أو على الأقل يرجون أن يتمكنوا من التأثير فيه حتى يدخل فى دينهم حيث يتعاونون على محو عبادة الاصنام وقد يعمل انهم كانوا يرجون أيضاً أن يتمكن الرسول من التأليف بين البطون اليمانية وجعلها كملة واحدة تتعاون على النهوض بهذه المدينة التى كانت فى حاجة شديدة الى الهدوء والسكينة وكانوا يعتقدون انه لو تم ذلك لأصبحت يثرب أعظم مركز للتجارة فى الجزيرة ولتتمكن أهلها من أن يضربوا تجارة مكة وغيرها

من المحتمل أن آمالاً من هذا النوع كانت تجيش فى صدورهم أثناء الفترة التى كانت بين البيعة الكبرى وبين الهجرة

كذلك كان الرسول يرغب فى التقرب الى اليهود نظراً لمكانتهم الرفيعة من الوجهة الأدبية والمالية والسياسية فى البلاد الخجازية وكان يعتقد أن اليهود يدخلون فى ذمته وملته بلا مقاومة بل يرجون بدعوته التى تشبه فى جوهرها تعاليم

الآباء الأقدمين من بني إسرائيل حيث يكون منهم ومن البطون العربية أمة واحدة تبذل النفس والنفس في سبيل تنفيذ مشروعاته

وقد عقد الرسول بعد قدومه الى يثرب معاهدة ودية مع اليهود وقد جاء ابن هشام بنص هذه المعاهدة ويقول :

قُلْ ابْنُ إِسْحَاقَ وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَادَّخَلَ فِيهِ الْيَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمَّا هُمْ عَلَيْهِمْ وَشَرَطَ وَاشْتَرَطَ هُمْ بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَذَلَّحَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ أَنْتُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ وَهُمْ يَفْدُونَ عَاقِبَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنِي عَوْفٍ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنِي الْحَارِثِ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنِي جُشَمٍ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنِي النُّجَاجِ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنِي عَوْفٍ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنِي النُّبَيْتِ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَنِي الْأَوْسِ عَلَى رِيعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى وَكُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرَكُونَ مَفْرَجًا بَيْنَهُمْ أَنْ يَعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي قَدَا، أَوْ عَقْل

ولا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه وأن المؤمنين المتقين على من بنى أو

ابغى وسيرة ظلم أو اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وأن ذمة الله واحدة يحير عليهم أديانهم وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس

وأنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسلّم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم وأن كل غاربية غزت معنا تعقب بعضها بعضاً وأن المؤمنين يبي، بعضهم على بعض بما قال دماهم في سبيل الله وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يحير مشرك مالا قریش ولا نفساً ولا بحول دونه على مؤمن وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلى أن يرضى وإلى القتل وأن المؤمنين عليه كفة ولا يحل لهم الاقيام عليه وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وأنه من نصر أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يخذ منه صرف ولا عدل وأنكم همما اختلفتم فيه من شيء، فإن مردد إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم والفساد دينهم وباليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأنهم فإنه لا يوتغ (أى لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته وأن لليهود بنى النجار مثل ما لليهود بنى عوف وأن لليهود بنى الحارث مثل ما لليهود بنى عوف وأن لليهود بنى ساعدة مثل ما لليهود بنى عوف وأن لليهود بنى جشم مثل ما لليهود بنى عوف وأن لليهود بنى

(١) وفي القرآن آية صريحة توات على الرسول في هذا الشطر من الزمن تتر هذا النص من المعاهدة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم « (سورة البقرة آية ٢٥٦)



الأوس مثل ما لليهود بنى عوف إلا من ظلم وأنتم فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته وأن جفنة بطن من ثعلبية كأنفسهم وأن لبني الشطنة مثل ما لليهود بنى عوف وأن البر دون الأثم وأن موالى ثعلبية كأنفسهم وأن بطانة يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينحجز على نار جرح وأنه من فلك فينفسه فلك وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا

وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الأثم وأنه لم يأنهم امرؤ بحليفة وأن النصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين

وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وإن الجوار كأنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرمة إلا بأذن أهلها وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره وأنه لا تجار فريش ولا من تضمرها وإن بينهم النصر على من دهم يثرب وإذا دعوا إلى صالح يصلحونه ويلبسونه فإنهم يصلحونه ويلبسونه وأنهم إذا دعوا إلى منسل ذلك فانه ظم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصنهم من جانبهم الذي قبلهم وأن يهود الأوس مواليتهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة . . . اه

وقيل أن تعرض لهذه المعاهدة تقول : إن الصحائف التي عقدها الرسول مع المشركين واليهود تنقسم إلى قسمين : القسم الأول يشمل على عقود وعهود وقعت حقا وشهد بوقوعها القرآن الكريم وأثبتها المؤرخون القدماء أما القسم الثاني فيشتمل على عهود غير صحيحة نحات بعد وفاة الرسول لا غراض شتى إذ كان الخلفاء يقررون كل ما وعده به النبي ولو لم يكن مكتوبا

ولا يشك المؤرخون في أن النبي عقد مع اليهود عقوداً مختلفة بعد حضوره

إلى المدينة إذ كان يخاف على حياته وحياة انصاره ويود عقد المحالفات مع اليهود الذين لعبوا دوراً هاماً في يثرب . وفي القرآن تأنيب لليهود على نقض العهد وهو أصدق دليل على أنه عقدت معهم معاهدات <sup>(١)</sup>

وقد ذكر ابن هشام عقوداً مختلفة عقدت بين اليهود وبين الرسول عدا هذه المعاهدة <sup>(٢)</sup> وقال أبو عبيد في كتاب الأموال : إنما كتب رسول الله هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية وإذا كان الإسلام ضعيفاً وكان لليهود إذ ذاك نصيب من المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب . . . <sup>(٣)</sup>

وكانت هناك صحيفة خاصة بينه وبين بني قريظة وبين الرسول وبين يهود خيبر ونخلاء ووادي القرى وذكر ابن سعد عقوداً عقدها الرسول مع يهود بني غديرة <sup>(٤)</sup> وذكر صاحب فتوح البلدان صحيفة عقدت بين الرسول وبين أسرة شريفة من اليهود <sup>(٥)</sup>

وكل هذا يؤيد وجود معاهدات بين النبي وبين اليهود والسكن من العسير أن نأنس إلى جميعها كما يفعل المستشرقون فإن ابن اسحق لم يتحدثنا عن معاهدات مخطوطة وصلت إليه وإنما يكتفي بالرواية عن السابقين وهذا لا يقدح في قيمة هذه الصحيفة التاريخية التي نرجو أن تزيد بعض القموض من حياة القبائل العربية واليهودية بالمدينة

(١) وكان بينهم وبين رسول الله عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد ( جزء ٣ ص ١٥٨ على الغامض من كتاب جامع البيان للطبري والرواية عن ابن عباس ) ثم في الجزء الأول من جامع البيان ص ١٤٢ — ١٤٣ روايات كثيرة في تفسير الآية الذين ينقضون عهد الله

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤ وجزء ٣ ص ١٩٧

(٣) الروض الأنف جزء ٢ ص ١٧ طبع مصر

(٤) ابن سعد : بدء رسول الله الرسل بكتبه من ١٨ طبع Wellhausen برلين

(٥) فتوح البلدان ص ٦٠

أما الغرض الذي كان يرمى اليه الرسول من وراء هذه الصحيفة وما إليها من العهود التي عقدها مع بطون يثرب فهو هدم النظام القديم وإيجاد نظام جديد يمكن به أن تتوحد العناصر اليتيمية وأن تعود يثرب بعد فرقة أحيائها مدينة واحدة فقد كانت يثرب منقسمة إلى عدة دوائر وكانت كل دائرة تابعة لبطن من البطون وكانت الدائرة تنقسم إلى قسمين يشتمل القسم الأول منها على الأراضي الزراعية بمنارها وسكانها وكان من الزراع والفلاحين فئة تضم هيئة البطن من أصحاب الأرض الزراعية تعمل في الفلاحة ولها ما للبطون التي تلك الآطام من الامتيازات والحقوق وفئة كانت تجمع العمال المسنأجرين من البطون اليتيمية وهم أحرار ولهم حقوق الأحرار ثم وجدت طبقة العبيد التي لم يكن لها من الحقوق الا القليل

أما القسم الثاني من الدائرة فكان يملك الآطام وكان البطن يملك أطما أو آطاما وهذه الآطام كانت ملكا خاصا بالامر العريقة وكان رئيس الأسرة صاحب السلطان في الاطم كما كان يعتبر زعيما من زعماء البطون

وكانت أهمية الآطام عظيمة في يثرب فكان يفرع إليها أفراد البطن عند هجوم العدو ويأوى إليها النساء والأطفال والمعزة حين يذهب الرجال لمقاتلة الأعداء وقد كانت الآطام تستعمل كاتخازن تجمع فيها الغلال والثمار ذلك أنها كانت معرضة في أما كنها المكشوفة للنهب والسلب وكان الاطم مرجعا لكثير الاموال والسلاح وكان للفواغل المنقلة بالبضائع أن تنزل بالقرب منه كما كانت تقام على أبوابه الأسواق

وكانت الآطام تشتمل — كما نظن — على المعابد وبيوت المدراس<sup>(١)</sup> إذ كانت فلخرة الاناث كثيرة الادوات مملوءة بلاسفار فكان يجتمع فيها الزعماء



للبحث والمشاورة حيث يقسمون بالسكنب المقدسة حين يهيمون بإبرام العقود  
والانفاقت

ثم وجدت في يثرب بطون لم تكن تملك الآطام وكانت تقيم في الاحياء  
حيث نحمى البطون الكبيرة موالها من إغارات البطون الأخرى وكانت الاحياء  
منضامة يلاصق بعضها بعضاً وكانت مع هذا مختلفة في نظمها الداخلية حيث  
يهم كل حي بشؤونه

واذ كانت الآطام في نظامها قد وجدت في شمال الحجاز أكثر مما وجدت  
في أي بقعة أخرى من بلاد العرب فالتنا ترجيح أنها كانت متأثرة بالنظم الاجتماعية  
اليهودية التي كان يجري عليها اليهود في وطنهم الأصلي فلسطين

وهذا يعرض هذا السؤال : مم اشتقت كلمة اطم ؟ فإن معناها بالعربية غيره  
بالعبرية. يقول صاحب الروض الانف الاطم اسم مأخوذ من انظم اذا ارتفع وعلا  
يقال انظم على فلان اذا غضب وانفتح والاطامات نيران معروفة في الجبال لا  
تخدم فيها تأخذ بعنان السماء فهي أهدأ باقية لأنها في معادن الكبريت (١)

أما العبرية فلعمل اطم ( att ) معان شتى يقال اطم عينيه أغضهما وأطم  
أذنيه سد هما والاطم في الجدران والحيطان هي النوافذ المغلقة من الخارج والمفتوحة  
من الداخل ويستعمل الاطم في السور أي الحائط الضخم  
وعلى ذلك يمكننا أن نفرض أن اليهود أطلقوا على اطم اسم اطم لأنه  
كان في إمكانهم أن يغلقوا أبوابه وإن كانت له نوافذ تقبل من الخارج وتفتح من  
الداخل

كانت الوظائف المختلفة من دينية وسياسية تنتقل بلورانة من السلف الى  
الخلف في الأسرة الواحدة التي تنفرد بعمل من الأعمال وكانت البطون الكبيرة  
أصحاب الحسك في يثرب وكان كل بطن مجتهد في أن يتفرد بالنفوذ

وكان كل بطن من البطون الكبيرة يضم اليه طائفة من البطون الصغيرة  
تعتمد من مواليه وكان يشرف على مزارعها ومناجرها وحقوقها وإذا وقعت افارة  
عندها واقعة على رعاياه فطالب بالتأدي أو دفع الدية وكان أفراد البطن الصغير يلجأون  
الى آطام البطن الكبير إذا هاجمهم العدو وكان البطن الصغير يتابعه البطن  
الكبير مضطراً الى الاشتراك في الحروب التي توجه الى البطن الكبير والا دعى  
بالغزو والعصيان ومع هذا حافظت البطون الصغيرة على شخصيتها ولم تسمح للبطون  
الكبيرة بأن تحده من حريتها وكان من نتيجة ذلك أن تجنبت البطون الكبيرة  
كل ما يهيج البطون الصغيرة

وكان هناك شبه توازن في نظام الحكم بين البطون الكبيرة فكانت تنور  
بقية البطون اذا هم بطن كبير بالاستئثار بالنفوذ

هذا كل ما يمكن أن نفرضه واقعاً عن نظام الحكم في يثرب ولا نعلم بالضبط  
كيف وصلت الى هذا النظام فليس لدينا من المصادر ما نعرف به كيف انتقلت  
البطون النثرية من البداوة الى النظام المعقد الذي وصلت اليه قبيل ظهور الاسلام  
ولسكنه من المرجح أن يكون هذا النظام نتيجة لحروب وحوادث وقعت في قرون  
مختلفة قبل هجرة الرسول الى يثرب فلو انظم الاجتماعية لا توجد الا متأثرة  
بالحوادث رافقة كانت تلك النظم أو منحلة

كان تضافر تلك البطون ونوافقها نافعاً لها كل النفع في درء الأخطار الخارجية  
التي كانت تهددها من سائر البلاد العربية وكان يمكن أن يصل هذا التوافق الى  
شيء من النظام الجمهوري الراقى ولو استطاعت يثرب أن تتحد اتحاداً يقوم على  
أساس التعاون والتوازن الصحيح لاستطاعت هذه القوة أن تبسط سلطتها على  
قبائل الجزيرة العربية

وما يذكر في المراجع العربية من أن بطون يثرب أرادت أن تملك عاينها

عبد الله بن أبي وأنها نظمت له الخرز لتوجه فذلك مشكوك فيه لأسباب منها  
أن رده ط عبد الله كان قد غلب على أمره يوم بعث فليس من المعقول أن  
يرتاح الأوس واليهود بعد فوزهم المبين إلى تمليك زعيم من الخزرج وكانوا لهم  
من أعداء الأعداء

على أن عبد الله بن أبي لم يكن صالحاً للقبض على ناصية الحكم في يثرب  
والنما كان ضعيفاً دساساً متردداً لا يستقر على حال . . .

يضاف إلى ذلك أن الجواد عرش في يثرب كان يقضي على استقلال البهون  
وما كان يمكن أن تصل يثرب إلى شيء من هذا بغير الحرب وسفك الدماء

كل هذا كان الرسول يعلمه وكان يعلم أنه يتنازع مع أغراضه العظيمة فلم  
ير بدأ من هدم نظام يثرب فقد كانت في حاجة شديدة إلى قوم مؤلفين لم  
تفرق بينهم الأهواء المتعاضدة يستطيع أن يسوسهم بإرادته ونفوذه وهؤلاء كانت  
سياسة الآطام والأحياء مرقهم شرمزق فكان من الحزم أن يهدم نظام الطوائف  
وأن يؤسس نظاماً جديداً وكان سبيله إلى غايته أن يعقد العقود بينا وبين البهون  
اليثربية وأن يشرع تعاليم القرآن من ناحية أخرى

كل ذلك جرى عليه الرسول قبل أن ياجأ إلى السيف فغير أعدائه في السياسة  
والدين كما سيحيى بيانه . . .

ولعل للقصة التي نقلها عن ابن اسحاق في الهجرة مغزى نعرف به شيئاً في  
سياسة الرسول بعد هجرته إلى يثرب : قال ابن اسحاق ومرشاس ابن قيس وكان  
شيخاً قد عسى عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم ففر  
من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم . . . فغاضه  
ما رأى من الفتهم وجماعتهم وصالح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم  
من العداوة في الجاهلية فقال قد اجتمع ملائني قبيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا



معهم اذا اجتمع ملائم بها من قرار فامر فتى شايا من يهود كان معه فقال احمد  
اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا  
يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان  
على الأوس يومئذ حضير بن مالك الاشجلى وابو أسيد بن حضير وعلى الخزرج  
عمر بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً . . . ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا  
وتفاخروا حتى نواب رجالان من الحبش على الزك كعب أوس بن قيسلى أحمد بنى  
حارثة بن الحرث من الأوس وجبار ابن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا  
ثم قل أحدهما لصاحبه ان شئتم رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعاً وقلوا  
قد فعلنا موعدهم الظاهرة والظاهرة الحرة السلاح فخرجوا اليها فبلغ ذلك  
رسول الله فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر  
المسلمين الله الله أبعدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله للإسلام  
وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستغفركم به من الكفر وألف به بين  
قلوبكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال  
من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين

وقد استغرق ما جاء في هذه المعاهدة عن اليهود أكثر من نصفها مما يدل  
على أن الرسول كان يحسب حساباً غير قليل لنفوذ اليهود وسلاحهم

ولكن الذى يتأمل في هذه الصحيفة يعجب اذا لا يجد للبطون الكبيرة  
من الأوس والخزرج وبنى قينقاع ذكراً فيها فكيف أمكن أن يعقد النبي دهوراً  
مع البطون الصغيرة من اليهود دون الكبيرة منها

والمتشرفين في هذه الظاهرة وأين : الأول : ان هذه المعاهدة كانت خاصة  
بالعرب والبطون اليهودية الصغيرة لأنها كانت منتشرة بين البطون العربية  
ومندخلية فيها ومعدودة من مواليها حتى لا يمكن أن يعتبر لها وجود خاص

والثاني : ان هذه المعاهدة كانت تشمل على البطون اليهودية الكبيرة أيضاً من بني النضير وبنى قريظة وبنى قينقاع والسكن مؤرخي العرب المتأخرين حذفوا أسماءها من المعاهدة فيما بعد لأنه ساء لهم أن يذكر فيها أن الرسول تعاقد مع بطون خالفته وقلوبه مقاومة عنيفة انتهت بسفك الدماء (١)

ويزيد الرأي الأخير أن المؤرخين لم يذكروا البطون الصغيرة التي تعاقدت مع الرسول ضمن من اعتقدوا على الأنصار وحوار يوم ومن المحتمل أن ما جاء في الصحيفة عن يهود الأوس كان شاملاً لبني النضير أيضاً

وعلى كل حال فليس من شك في أن النبي قد عقد العقود والعهود مع العرب واليهود بعد حضوره إلى يثرب فعلى ذلك أميل إلى الاعتقاد بأنها كانت أكثر من معاهدة واحدة لأننا نجد الرسول يغضب من بني النضير لأنهم لم يشتركوا في يوم أحد في حين أنه لم يطلب من بنى قريظة أن يشتركوا معه في حرب المشركين

ومن جهة أخرى فإن عقد معاهدات كثيرة مع بطون كثيرة قد يكون في مصلحة الرسول أكثر من عقد معاهدة واحدة تضم جميع البطون لأن المعاهدات الكثيرة تقسم قوة البطون وتضعفها من الوجهة السياسية والحربية بينما يكون الاعتماد على بطن من البطون المتجمعة في معاهدة واحدة كأنه اعتماد على جميعها

وقد نرى الرسول يحارب بطناً من البطون دون أن تتحرك البطون الأخرى وكان الحرب التي تقع بين المسلمين والبطان من بطون اليهود لم تمس صحيفتها ولم تنقض شروطها . ولنا عودة لهذا الموضوع فيما بعد

(١) ص ٥٢ Die Juden

وقد عقد الرسول معاهدة كانت خاصة ببني قريظة (١)

أما روح هذه المعاهدات فملائم كل الملازمة للعدالة التي كان عليها المسلمون واليهود في الفترة لأولى بعد مجيئ النبي إلى يثرب . . .

لقد قلنا إن الرسول قد أراد أن يؤلف بين القلوب فأحل للمسلمين أكل ما أحل لليهود وأكله وأحل لهم التزوج مع بناتهم « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والحاصلات من المؤمنات والحاصلات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا منغذى أخدان » (٢)

كذلك أمر المسلمين أن يصوموا بعض أيام كان اليهود يصومونها (٣) ولو وقفت تعاليم الرسول عند حد محاربه الديانة الوثنية لمسه ولم يكلف اليهود أن يعترفوا برسائله لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين ولما كان اليهود قد نظروا بعين ملؤها التبجيل والاحترام لتعاليم الرسول ولأيدوه وساعدوه بأموالهم وأنفسهم حتى يحطم الأصنام ويقضى على العقائد الوثنية لكن بشرط ألا يتعرض لهم ولا لدينهم وبشرط ألا يكلفهم الاعتراف بالرسالة الجديدة لأن العقاية اليهودية لا تأين أمام شيء يزحزحها عن دينها وتأبى أن تعترف بأن يوجد نبي من غير بني إسرائيل بل يعتقدون عقيدة واسخة أنه بعد أن ختمت صحف النوراة وكتب العهد القديم قد انقضى عهد بعث الرسل وظهور الانبياء سواء كانوا من بني إسرائيل أو من غيرهم (٤) كما يعتقد المسلمون أنه لن يبعث نبي بعد الرسول محمد

هذه العقيدة يجب أن لا تغرب عن الأذهان لأنها أساس كل ما حدث بين

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

(٢) سورة المائدة آية ٥٨

(٣) البخاري جزء ١ ص ٤٩٨

(٤) راجع التلمود كتاب بن دهرين *بבא برזרא* ٦٥



اليهود وبين الرسول من خلاف ونزاع ولولا وجودها لما حدث شيء من الخلاف  
أول مكان في الامكان أن يتلافى ما قد ينشأ من ذلك

ونلاحظ هنا على معظم المستشرقين أنهم أهملوا هذه النقطة الجوهرية في  
بحثهم عن أسباب الخلاف بين الرسول واليهود مع أنه مما لا شك فيه أنه إذا  
أهملت هذه النقطة فلا سبيل مطلقاً للبحث في هذا الموضوع

وبدأ النزاع بين النبي واليهود بالمناقشة الدينية المتبادلة بين الطرفين <sup>(١)</sup>  
فكان ائمه اليهود يوجهون الاسئلة الى رسول الله ويصلون فيها الى حد التعمت  
فكان القرآن ينزل فيها يسألون عنه <sup>(٢)</sup>

وكانوا يطالبون النبي بأن يأتي اليهم بالمعجزات « الذين قالوا ان الله عهد اليما  
ألا نؤمن لرسول حتى يأتيكما بقرآن . . . تأكله النار . . . » <sup>(٣)</sup>

« يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء . . . » <sup>(٤)</sup>

ثم انتقلت المناقشة الى مخاصمة كلامية فجعل التنزيل يلوم اليهود ويعتقهم  
« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا  
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . . . » <sup>(٥)</sup> ولما جاءهم كتاب من عند  
الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتون على الذين كفروا فلما جاءهم  
ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (سورة البقرة آية ٨٩)

ثم ظهرت العداوة فأخذ النبي يظعن في يهود يثرب وأخذ اليهود يرمون  
الانصار بقوارص الكلم فنزلت الآيات الكثيرة مشيرة الى فتور الاحوال بين  
الرسول واليهود « أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من

(١) ابن هشام جزء ٢٠ ص ١٢٥ — ١٨٢

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠٦

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٣

(٤) سورة النساء آية ١٥٤

(٥) سورة البقرة آية ١٠١

ناصرين <sup>(١)</sup> »

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقاً منهم لا تكلمون الحق وهم يعلمون <sup>(٢)</sup> »

وهكذا اشتد النفور حتى كانت الخصامات تقع بين اليهود والانصار في الشوارع يترامون فيها بالالفاظ القبيحة ويتنصّلون كما نعلم من حديث البخاري انه استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمداً على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده عند ذلك فطم وجه اليهودي فذهب اليهودي الى النبي بما كلف من أمره وأمر المسلم فدعا النبي المسلم فسأله عن ذلك فأخبره فقال النبي لا تخبروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطن جانب العرش فلا أدري كان فيمن صعد قبل أو كان ممن استثنى الله... <sup>(٣)</sup>

ونزل كثير من الآيات في ذلك الحين منضمنة الطعن المر في اليهود منها « لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا <sup>(٤)</sup> » ومنها : يا أيها المشركون لا تألفوا من الذين آمنوا ولا ينفقوا أموالهم على الله فمما ينفقونها أموالهم ليشتروا به أنفسهم بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين (سورة البقرة آية ٩٠) » ومنها مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخمار يحمل أسفارها بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين »

✱ « وأخذ القرآن يذكر بما ارتكبه أجدادهم من الجرائم كعصيانهم لموسى وقتلهم أنبياء بني إسرائيل وسجودهم للعجل... <sup>(٥)</sup> »

(١) سورة البقرة آية ١٤٦

(٢) سورة آل عمران آية ٢٢

(٣) البخاري جزء ٢ ص ٨٩ وم ٣٥٤ و ٣٥٩

(٤) سورة المائدة آية ٨٥

(٥) راجع سورة البقرة آية ٩٠ — ٩١

واسكن كل هذا لم يضعف من عزيمته اليهود فاستمروا على مناقشة الرسول  
ومخاصمة الانصار الى أن حذر التنزيل المسلمين من المجادلة الدينية  
« قد نزل عليكم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستمرأ بها فلا تقعدوا  
معهن حتى ينخسوا في حديث غيره (١) »

فنجم من ذلك أزمة سياسية جعلت تشتد يوماً بعد يوم وشعر النبي بأنه لم  
يوفق الى النجاح في تحقيق الفكرة التي كان يرمى اليها من التأليف بين قلوب  
اليهود والعرب وإيجاد أمة مؤلفة من جميع عناصر يثرب

وهكذا لم يعبث ثمانية عشر شهراً من قدوم النبي الى يثرب حتى تلبث الجور  
بالغيوم السكتية وجعل كل فريق بنواصي الخنفر والنفور من الفريق الآخر وكذلك  
طرات تغييرات دينية وظاهر ما يسمى في حرف القرآن الكريم بالنسخ « ما نسخ  
من آية أو ناسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (٢) »  
وتحولت قبلة الصلاة الى الكعبة بعد أن كانت منحوية نحو بيت المقدس  
« قد نرى قلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد  
الحرام . . . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوفوا الكتاب ليعلمون  
أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . . . » (٣) ويحدثنا ابن هشام عن  
هذا الموضوع فيقول :

ولما صرفت القبلة من الشام الى الكعبة وصرفت في رجب على رأس سبعة  
عشر شهراً ( قبيل يوم بدر ) من مقدم رسول الله الى المدينة أتى رفاعة بن قيس  
وقردم بن عمرو وكعب بن الأشرف من اليهود الى النبي فقالوا يا محمد ما ولاك عن  
قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه أرجع الى قبلتك

(١) سورة النساء آية ٦٤

(٢) سورة البقرة ١٠٦

(٣) سورة البقرة آية ١٢٦ حديث البخاري جزء ١ ص ١٨



التي كنت عليها تتبعك وتصدقك . . . (١)

وكان هناك طائفة معتدلة من اليهود أرادت أن تصلح بين الفريقين المتخاصمين وتزيل ما بينهما من أسباب النزاع ولكنها أخفقت في مساعيها لأن السبيل كان قد بلغ الزنى فأوجست هذه الطائفة خيفة من استمرار العداء وتوقعت شراً مستطيراً مما يضمنه كل من الفريقين للآخر من الخقد والبعضاء وكان مخبريق اليهودي رفيق الرسول من أنصار هذه الطائفة وقد حار في كيفية معالجة المشكلة التي صارت أعقد من ذنب الضب

وكان هناك عنصر آخر لعب دوراً خطيراً في الحوادث البئرية وهو العنصر الذي يضم أعداء اليهود السياسيين من بني الخزرج فقد كانوا أشد الأقوام خصومة لليهود ولم يكونوا مخلصين للرسول فكان همهم منعصرراً في أن يصبوا الزيت ليزيدوا في إشعال نار العداء بين الرسول وبين اليهود وقد عرف بعضهم عند المسلمين باسم المنافقين وكان عبدالله بن أبي من زعماء هؤلاء المنافقين وقد استمرت هذه الأزمة الشديدة إلى يوم واقعة بدر الكبرى

ويظهر أن اليهود كانوا يرجون أن يضجر الرسول من عنادهم وحملهم على قبول دين جديد فيكفي بشر دعوتهم الدينية بين القبائل العربية وتستنج ذلك من أنهم لم يكونوا يرغبون في محاربة الأنصار مع أن يوم بدر كانت فرصة مناسبة لمن كان في مركزهم

وكان النبي لا يريد أن يحارب اليهود في تلك الظروف التي لم تكن ملائمة بل كان يؤجل الدخول معهم في حرب حتى تتحسن الأحوال وتكون أكثر ملائمة وفي الواقع كان اليهود يفضلون السلام والسكينة على المشاحنات والمخاضات لأن السلام والسكينة أساس النجاح في الأعمال التجارية والصناعية

ويعمل بعض المستشرقين الى الرأي القائل بأن الحادثة كادت ترجع بين اليهود والمسلمين الى ما كانت عليه قبل اشتداد النفور والتصومة من الألفة والولاء. لولا أن حدثت موقعة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً مبيناً على قريش<sup>(١)</sup> فقد أصبح المسلمون بعد هذا الظفر العظيم أصحاب الأمر والنهي في مدينة يثرب وشرعوا يأخذون بالنار من الافراد والجماعات التي أسادت اليهم وطغنت في أعينهم ولم يشترك اليهود مع الرسول في محاربة قريش يوم بدر لأنه لم يكن مشروطاً عليهم في المعاهدة أن يشتركوا في الغزوات الخارجية عن دائرة المنطقة اليمانية وكذلك كان عدد الأوس والخزرج في هذه المعركة قليلاً وكان أغلب المحاربين من المهاجرين

كان النبي في أول الأمر يرجو أن يدخل اليهود في الاسلام بطريق المجادلة والمناقشة فلما لم تنجح معهم هذه الطريقة صبر عليهم الى يوم بدر حيث صارت الظروف ملائمة للدخول معهم في حرب دموية

لذلك ظهرت عند الأنصار بعد موقعة بدر الكبرى سياسة جديدة جلية بحيث صمموا على أحد أمرين ان يندمج اليهود مع العرب بواسطة اعتناق الاسلام أو بحاربهم حتى يجلوهم

وكان المهاجرون ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة مقاومة اليهود في يثرب لأن حالتهم كانت سيئة جداً إذ لم يكن لهم مال ولا مزارع ولا منازل بل كانوا يسكنون مع الأنصار من الأوس والخزرج وكان أعداء اليهود من الخزرج يشجعون النبي على الشروع في محاربة

(١) ابن هشام جزء ٢٠ ص ١٩٦ - ٢٣١

(٢) تاريخ الخوارج جزء ١ ص ٤٠٦ و ٤٠٨ في قتل العدي بن مسعود و قتل

أبي نضلة

اليهود كما وضعنا ذلك من قبل

ويحدثنا ابن هشام عن هذه الأحوال فيقول أنه بعد مرور بضعة أيام من  
موقعة بدر جاء الرسول إلى بني قينقاع وجمعهم بسوقهم ثم قال « يا معشر اليهود  
احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فانكم قد عرقتم أني نبي  
مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم <sup>(١)</sup>

واني لأعتقد أن لأصرار النبي على دخول اليهود في الاسلام سبباً آخر فوق  
الأسباب التي ذكرتها وهو أن دخول أهل الكتاب في الاسلام يزيد في هيئته  
ويكبر شأنه في نظر قريش ذات المجد التليد وتدخل الجماعات السكينة في الاسلام  
بدون مقاومة

أما الأسباب التي حملت النبي على البدء بمحاربة بني قينقاع من بين جميع  
اليهود فترجع إلى أن بني قينقاع كانوا يسكنون داخل المدينة في حي واحد من  
أحياء الاقوام العربية فأراد النبي أن يظهر المدينة وأحياء الأنصار من المشركين  
ومن جميع من يخالفون دينه

وغنى عن البيان أن بني قينقاع كانوا أغنى طوائف اليهود في مدينة يثرب  
فكانت بيوتهم تحتوي على الأموال الطائلة والحلى السكينة من الفضة والذهب  
وكان العرب يطعمون في كل ذلك

ثم كان عدد بني قينقاع غير كثير فكان من السهل مقاتلتهم واستئصال  
شأنهم .

وفوق كل هذا فقد كانت هناك عدوة بين بني قينقاع وبقية اليهود سببها  
أن بني قينقاع كانوا قد اشتروا مع بني الخزرج في يوم بعاث وقد ألحق بنو النضير  
وبنو قريظة في بني قينقاع ومزقوهم كل شزق مع أنهم دفعوا الفدية عن كل من



وقع في أيديهم من اليهود وقد استمرت هذه العداوة بين البطون اليهودية بعد يوم بعث حتى وقعت الحرب بين الأنصار وبين بني قينقاع فلم ينهض معهم أحد من اليهود في محاربة الأنصار

وقد أشار القرآن إلى عداوة اليهود فيما بينهم بقوله « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالانتم والعدوان وإن يأتوكم أسارى فتادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم ... » (١)

فيظهر من هذه الآية مقدار ما كان بين بني قينقاع وبين بني النضير وقريظة من العداوة والبغضاء ويظهر أيضاً أن بني قينقاع كانوا أصحاب مزروع فأخرجهم أبناء جلدتهم منها وأرغموهم على الالتجاء إلى بني النضير في داخل المدينة على أن هناك عاملاً آخر ذا قيمة كبيرة في حمل الرسول على اليد بمحاربة بني قينقاع وهو أن بني قينقاع كانوا من موالى بني الخزرج وكانت أغلب بطون بني الخزرج قد دخلت في الإسلام ما عدا بطون عبد الله بن أبي قحافة كان يظهر الأيمان ويبطن الكفر وكانت بطون بني الخزرج توافق على مشروعات النبي بدون معارضة



ننقل من هذا إلى ما رد به بنو قينقاع على أقوال النبي إذ أجابوا بكل جرأة وتبجح « يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصابت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن القوم » (٢)

ويظهر من هذا الرد أن بني قينقاع كانت تعتمد على معاضدة حلفائهم من الخزرج في نزاعهم مع الرسول قبل كل شيء. إذ لا يتصور أن بطناً صغيراً كبطن

(١) سورة البقرة آية ١٧٣

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٤

بنى قينقاع بجزء على اعلان الحرب ضد أغلب بطون يثرب ولسكن بنى الخزرج  
خذلوهم ولم يتحركوا لنجدتهم رغم انهم من مواليهم

« وحاصرهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي قتال  
يا محمد أحسن الى موالي وكانوا حلفاء الخزرج فأبطأ عليه الرسول فقال يا محمد  
أحسن الى موالي فأعرض عنه النبي فأدخل عبد الله يده في جيب درع الرسول فقال  
له الرسول أرسلني وغضب حتى رأوا لوجهه ظلالاً قال ويحك أرسلني قل لا والله  
لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حليم وثلاثمائة دارع قد منعوا من الأجر  
والأسود تحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال الرسول هم  
لك . . . وكان محاصراً إياهم خمس عشرة ليلة . . . ثم أجلاهم الرسول من المدينة  
فخرجوا منها الى أفرعات بالشام » (١)

ويحدثنا الواقدي أن الرسول أمر بجمع أموالهم وأسلحتهم ثم قسمها على  
الأَنْصار بعد أن حيز منها الخمس وأبقى لبني قينقاع ذرارهم ولسانهم وأموالهم  
ثلاثة أيام ولما رحل بنو قينقاع من يثرب نزلوا بوادي القرى حيث احتفى بهم اخوانهم  
من اليهود فأقاموا عندهم على الرحب والسعة الى أن رحلوا نهائياً الى الشام (٢)  
وفي ابن هشام قصة يذكرها على أنها تنضعن السبب في اعلان المسلمين  
الحرب على بني قينقاع الا أن المُنشرفين لاحظوا أنه لم يروها عن ابن اسحق  
الذي هو المرجع النة لابن هشام ثم هي ليست موجودة في كتاب الواقدي لذلك  
هم يعتبرونها قصة متأخرة وغير واقعية « وخولها ان امرأة من العرب جلست الى  
صائغ بسوق بني قينقاع فجعل بعض اليهود يريدونها على كشف وجهها وهي تأتي  
فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعمده الى طوقها فلما انكشفت سواتها ضحكوا منها  
فوقع الشر بين الأنصار وبين بني قينقاع » (٣)

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٤

(٢) الواقدي ص ٩٤

(٣) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٤

وقد أشار القرآن الى حادثة اجلاء بني قينقاع عن المدينة بقوله : « قل للذين كفروا استغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين النقتا فئة قتلت في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار<sup>(١)</sup> »

\*\*\*

يظهر أن أمر اجلاء بني قينقاع كان له وقع عظيم في نفوس اليهود فقد امتنعوا بعد ذلك عن المجادلة الدينية وكفوا عن رمي المسلمين بتوارص الكفر ودخلت هبة المسلمين في قلوب البطون العربية التي لم تكن دخلت في الاسلام فانفسح المجال أمام النبي لشرح دعوته

ثم جاء يوم أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة « فخرجت قريش بمحمد وجدها وأحايشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة وخرجوا معهم بالغلمان الناس الخفيضة وأن لا يفروا فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس ومعه عمرو بن العاص وغيره من الزعماء فأقبلوا حتى نزلوا بحنين جبل يهبط السبعة من قناة على سفير الوادي مقابل المدينة » ثم خرج اليهم رسول الله في ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد اتخذل عنه عبد الله بن أبي بنات الناس وقال علام تقتل أنفسنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل الريب والتفاق<sup>(٢)</sup>

ولم يشترك أحد من اليهود في واقعة أحد الا رجل اسمه مخيريق « كان رجلاً فنياً كثير النخيل وكان يعرف رسول الله بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه ألف دينه فلم يرل على ذلك حتى كان يوم أحد<sup>(٣)</sup> »

(١) آل عمران آية ١٢

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٦ — ٢٤٢

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ١١٠



وقد كانت موقعة أحد في يوم السبت فأبى اليهود أن يحملوا السلاح في ذلك اليوم ورفضوا الاشتراك مع الرسول في غزوة أحد معتمدين على أن المعاهدة التي كانت بينهم وبين النبي تسمح لهم بالتخلف عن المعارك التي تقع بعيداً عن المدينة كما ذكرنا سابقاً

ولكن مخيريق اليهودي قال : لا سبت لكم فأخذ مسيفه وعدته وقل ان أصبت فمالي محمد يصنع فيه ما شاء ثم غدا إلى رسول الله فقاتل معه حتى قتل فقال الرسول مخيريق خير اليهود <sup>(١)</sup>

وفي ابن هشام زعم منسوب لغير ابن اسحق منقصه ان الأنصار سألوا النبي يوم أحد : ألا تستعين بحلفائنا من اليهود فقال لا حاجة لنا بهم <sup>(٢)</sup>

غير ان المستشرقين يرتابون في صحة هذا الحديث كما هو شأنهم في كل ما يرويه ابن هشام عن غير ابن اسحق ويستدلون على عدم صحته بأن الرسول غضب من اليهود بسبب عدم اشترائهم معه في يوم أحد وانفخ من امتناعهم عن ذلك سبباً لإعلانه الحرب على بني النضير كما سنبين ذلك فيما بعد

ويؤيد صدق نظر المستشرقين في هذا الزعم ما قلناه عن ابن هشام نفسه من ثناء الرسول على مخيريق وقوله مخيريق خير اليهود فإنه لم يقل ذلك الا لان مخيريقاً لم يتخلف عن تلك الموقعة كما تخلف بقية اليهود

والصاحب الطبقات الكبرى رواية تفيد أن النبي بعد ان خرج بجيش المسلمين إلى أحد حتى اذا كان بالشيخين وهما أطران التفت فتنظر إلى كنيسة خشناء لها زجل فقال : ما هذا قلوا : حلفاء بني أبي من جهود فقال رسول الله : لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك . . . <sup>(٣)</sup>

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٣٧٣

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٣٧٣

(٣) ابن سعد ج ٢ ص ٢٧

أما نحن فنغض الطرف عن هذه الرواية لأنها تناقض ما قصصنا عن ابن اسحق . على أن الذي يعن نظره في الحالة التي كان عليها اليهود بعد إجلاء بني قينقاع عن المدينة يتضح له جلياً أنه لم يبق لعبد الله بن أبي موال من اليهود إذ كان بنو النضير وقريظة من أعدائه كما مر ذلك في عدة مواضع . . . .  
ودخلت الأشهر الحرم بعد يوم أحد فلم يحصل فيها قتال ولا قتال ثم أتجه النبي لمحاربة بني النضير

وهنا نقطة خلاف هامة بين ابن هشام وبين اليعقوبي فإن هشام يقول إن قتل كعب بن الأشرف حدث بعد خروج بني قينقاع من المدينة أي في ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة ويذكر ابن هشام أنه بعد قتل ابن الأشرف قتل الرسول « من ظفروهم به من اليهود فقتلوه فونب محيصة بن مسعود على بن سينة رجل من تجار اليهود كان يلابسهم ويسايهم فقتله وكان حريصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حريصة يضر به ويقول : أي عدو الله أقتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ! قل محيصة : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . . . (٢)

ولكن اليعقوبي يقول إن النبي أمر بقتل كعب بن الأشرف بعد يوم أحد (١) أي قبيل محاصرته لبني النضير أي في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وكان قتله بمناسبة إعلان الحرب عليهم لأنه كان زعيماً من زعمائهم وكان قتله أبو ثالثة أخو كعب بن الأشرف من الرضاعة وبعه أربعة من الأنصار (٣)

ويقول العالم Leszynsky إن العلاقات بين الرسول وبين بني النضير كانت على ما يرام قبل يوم أحد فلو أن قتل كعب بن الأشرف حدث بعد إجلاء بني

(١) ابن هشام جزء ٢٠ ص ٣٤٤

(٢) تاريخ اليعقوبي جزء ٢ ص ٤٩ وتاريخ الخيس جزء ١ ص ٤٦٤

(٣) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٧ — ٣٤٤

قيتقاع أى قبل واقعة أحد لما أمكن أن تكون هناك علاقات حسنة بين الرسول وبين بني النضير لأن كعب بن الأشرف كان من زعماء بني النضير وفوق ذلك فقد كان الرسول محتاجاً إلى معاضدتهم قبل يوم أحد<sup>(١)</sup>

والى أميل إلى رأى اليعقوبى وأعتبره تصحيحاً هلمما لحادثة تاريخية كبيرة إذ لا يتصور أن الرسول يحرض أنصاره على قتل أفراد من اليهود قبل يوم أحد وليس هناك أى دليل على أن العداوة وجدت بين الأنصار وبين بني النضير إلا قبيل محاصرة الأنصار لآطام بني النضير حيث كان اليهود يوجسون خيفة من أعمال الأرهاب التى كان الأنصار يقومون بها

ويرتاب المستشرقون فيما يقوله ابن هشام من أن سبب قتل كعب إنما هو قصيدة الرثاء التى رثى بها قتلى بدر الكبرى والرتباب المستشرقين فى هذا مثيرب على ارتبابهم فيما قلّه ابن هشام عن وقت قتل كعب ويقولون أنه أعوزه المبرر لاغتيال كعب فى الوقت الذى ذكره فرحم أنه قصيدة الرثاء لقتلى بدر وأنه التشبيب بنساء المسلمين<sup>(٢)</sup>

ويحدثنا البخارى أن كعب بن الأشرف قد آذى الله ورسوله فأناه محمد بن مسلمة فقال أردنا أن نسلقنا وسبقا أو وسقين قال أترهتوني نساءكم قلوا كيف ترهتكم نساءنا وأنت أجمل العرب قال فرهتوني أبناءكم قلوا كيف ترهتكم أبناءنا فأنسب أحدهم فيقال رهن يوسف أو وسقين هذا عار علينا ولكن ترهتكم السلاح قال سيفان يعنى السلاح فوعده أن يأتيه فقتله ثم أنوا الذى فأنهروه<sup>(٣)</sup>

ولصاحب الأغاني قصيدة ينسبها لربيع بن أبى الخثيم تلأم الحالة التى كان عليها بنو النضير بعد قتل كعب ابن الأشرف

(١) Die Juden ٦٨

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ٣٤٣

(٣) البخارى ج ٢ ص ١١٥



ألا يا أقومى لا أرى النجم طالماً ولا الشمس إلا حجابى يمينى  
 معذبى خلف القفا بعمودها فجأ نكبرى أن أقول ذرى بنى  
 أمين على أسرارهن وقد أرى أكون على الأسرار غير أمين  
 فلاموت خير من حراج موطأ مع الطمن لا يأتى المحل لحين<sup>(١)</sup>  
 أنذر النبى بنى النضير بأن يخرجوا من أطامهم ويترحوا من يثرب فى مدة  
 عشرة أيام ولكنهم رفضوا الادعاء لهذا الانذار



وكان انذار الرسول لهم بذلك بمناسبة انتقام منهم على عدم اشتراكهم فى  
 واقعة أحد وكان الرسول كان يعتبرها كفزة موجهة الى مدينة يثرب فكان على  
 بنى النضير أن يخرجوا لقاء العدو كما تقضى شروط المعاهدة  
 ثم يظهر ان بنى قريظة كانوا مرتبطين بعهد آخر غير عهد بنى النضير وأن  
 الشروط كانت غير شروط عهد بنى النضير إذ لم يطالبهم الرسول بالاشتراك فى  
 واقعة أحد كما طالب بنى النضير ولم يثار منهم بحجة مخالفة الشروط كما ثار من  
 بنى النضير

وليس معقولا أن يغضب الرسول من بنى النضير لعدم خروجهم الى الوشى  
 فى واقعة أحد دون أن تكون هناك معاهدة تلزم الفريقين بتنفيذها  
 ويعتقد العالم Leszynsky ان ماجاء فى الحديث من ان يوم السبت يوم عبوس  
 وغدر يرجع الى اعتذار بنى النضير المفقوت وان جميع الأحاديث التى من هذا  
 النوع ترجع الى حادثة تاريخية ومن هنا نفهم ان غضب الرسول من اعتذار بنى  
 النضير قد ترك فى نفسه أثراً سيئاً من نحو يوم السبت بوجه عام<sup>(٢)</sup>  
 ويقول الأستاذ المنجارج ان هذا القول ليس حديثاً وإنما هو من كلام الناس

(١) الاغانى ج ٢١ ص ٦٢

(٢) ص ٧٠ Die Juden ...

على أن بعضاً يتشائم به كما أن بعض الناس يطمئن به ويتشائم بغيره وليس ذلك من الحديث في شيء . . . اهـ

ويذكر مؤرخو العرب سبباً آخر لإعلان الحرب على بني النضير غير امتناع اليهود عن الاشتراك في يوم أحد واعتذارهم بيوم السبت فيقول ابن هشام : ان الرسول خرج الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله عقده لما أقام رسول الله يستعينهم فقلوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — والرسول الى جنب جدار من بيوتهم قعداً — فن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيربحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جندب أحدكم فقال أنا لذلك فصعد ليلى عليه صخرة فأتى رسول الله من السماء انظر بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً الى المدينة فلما استلبث النبي أصحابه قاموا في طلبه حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به فأمر النبي بالتميز فخرجهم واليهم . . . (١)

لكن المستشرقين يشكرون صحة هذه الرواية ويسندون على كتبهم بعدم وجود ذكرها في سورة الحشر التي نزلت بعد إجلاء بني النضير.

على أننا لو سلمنا بصحة هذه الرواية فأننا لا نجد لها كافية لاشتمار الحرب على جميع بطون بني النضير إذ نعلم من نص المعاهدة الكبيرة بين الرسول واليهود أن كل جرم من جهة فرد أو عدة أفراد يقع عقابه على فعله وأهل بيته دون أن يمس غيرهم بشيء من الأذى

والذي يظهر السكك ذي عيين أن بني النضير لم يكونوا يشعرون الغدر بالنبي

واغتيااله على مثل هذه الصورة لانهم كانوا يخشون عاقبة فعلتهم هذه من أنصاره  
ولو أنهم كانوا ينوون اغتيااله غدرًا لما كانت هناك ضرورة لالقاء الصخرة  
عليه من فوق الحائط بل كان في استطاعتهم أن يفاجئوه وهو يحاذيهم اذ لم يكن  
معه غير قليل من أصحابه

وقد أراد بنو النضير أن يذعنوا الحكم الرسول ويحلوا عن ثرب ولكن  
« وهطاً من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي وداعة بن مالك وسويد  
وداعي قد بعثوا الى بني النضير أن اليشوا وتمنعوا فانا ان نسلهم ان قتلنا  
معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فترجعوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا <sup>(١)</sup>  
وقد طلب بنو النضير من بني قريظة أن ينجدهم فلم يفعلوا وصرح كعب ابن  
أسد زعيم بني قريظة انه لا يريد أن ينقض حلفه مع الأنصار <sup>(٢)</sup>

ويشير القرآن الى غدر عبد الله وفومه يهود بني النضير بقوله « ألم تر الى  
الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب انهم أخرجتم لتخرجن  
معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتكم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون  
لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن  
الادبار ثم لا ينصرون... <sup>(٣)</sup>

وكانت أطام بني النضير حصينة جداً وكان من الخيل فتحها في مدة وجيزة  
« لا يقاتلونكم جميعاً الا في قري محصنة أو من وراء جدر... <sup>(٤)</sup> لذلك أمر الرسول  
بقطع التخييل والتجريق فيها فنادوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد ونعيم  
على من يصنعه فما بال قطع التخييل وتجريقها... <sup>(٥)</sup>

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٥٠

(٢) الواقدي ص ١٦٣

(٣) سورة الحشر آية ١١

(٤) سورة الحشر آية ١٤

(٥) ابن هشام جزء ٢ ص ٥٠ وعبد بن البخاري جزء ٢ ص ٢٥٢



ويظهر أن قطع النخل وتحريره كان سبباً في تسرب اليأس إلى قلوب اليهود  
اذ وجدوا أنفسهم بين أمرين إما الاذعان لحكم الرسول وإما الخروج من المدينة  
لمواجهة المسلمين ومنعهم من حرق النخيل وكانت نماذجها من أهم مرافق الحياة  
فأخذوا الاذعان لحكم الرسول وكان ذلك رأي سلام بن مشكم « فسأل الرسول  
أن يجلبهم ويكف عن دماهم على أن لهم ما هلك الابل من أموالهم الا الحلقة  
فأخذوا من أموالهم ما استغاثت به الابل فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى  
الشام بأفرعات فكان أشرفهم من سار منهم إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق  
وكنانة بن الربيع وحبي بن أخضب فلما نزلوها دان لهم أهلها (١)

وقيل أن يترج بنو النضير من منازلهم هدموا البيوت عن نجاف بابهم  
فوضعوها على ظهر البعير وانطلقوا بها (٢) وكانت هذه الرواية المهمة سبباً في أن  
يقول بعض المستشرقين ان الاخشاب كانت غالية في الاقاليم الصحراوية فأخذها  
اليهود معهم ليبيعوها ولكننا لا نميل إلى تفسير ذلك على هذا المبالغة بل أقول  
ان هدم نجاف البيوت يتعلق بعقيدة تلودية معروفة وهي أن كل يهودي يتعلق  
على نجاف داره صحيفة تشمل على وصية موسى لبي اسرائيل أن يحتفظوا بالابحان  
بالله واحد ولا يبدلوه ولو عذبوا وقتلوا (٣) فاليهود حين يترجون من منازلهم يأخذونها  
معهم وهي عدة متبعة عند اليهود إلى يومنا هذا ويظهر أن يهود بلاد العرب كانوا  
يصنعون تلك الصحيفة ( ١١١١١ ) في داخل النجاف خوفاً من انلاف الهواة أو  
مس الأيدي فلما دخلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت وأخذوها

نسخة  
هذه

ويقول القرآن يصدد اجلاء بني النضير « هو الذي أخرج الذين كفروا من  
أهل الكتاب من ديارهم لأول الخيبر ما ظننهم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم

(١) جزء ٣ ص ٥١ ابن هشام

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٥٠

(٣) كتاب تنبيه فصل ٦ آية ٥

حصولهم من الله فانهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون  
ديونهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الألباب<sup>(١)</sup>

ويصف ابن هشام خروجهم من أطاعهم بقوله « انه حدث أنهم انتقلوا  
بالنساء والأبناء والأموال معهم المدفوف والمزامير والقيان يعرفون خلفهم... »<sup>(٢)</sup>

ويقول الواقدي إن النساء تحلين بحليهن وتزين أحسن زينة حتى بدت  
الواحدة منهن غاية في الجمال وكان يبدو عليهن السرور والابتهاج بدرجة أدهشت  
المسلمين وأما مناقبو المدينة فقد نكسوا رؤسهم بعد ذلك حتى قل عبيد الله بن  
أبي أنه قد أصبح يشعر بأنه صار رجلاً أجنبياً في وطنه غريباً عن بلاده بعد  
الاجلاء بني النضير<sup>(٣)</sup>

وقد غنم الانصار بقية الامنة التي لم يستطع بنو النضير حملها معهم وكان  
منها ٥٠ درعاً و ٣٤٠ سيفاً<sup>(٤)</sup>

وقد كانت هذه المغنم لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء قسمها على  
المهاجرين الاولين دون الانصار الا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة ذكرا فأعطاهما  
الرسول<sup>(٥)</sup> ويذكر القرآن هذه المغنم « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم  
وأموالهم ينتفون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم  
الصادقون »<sup>(٦)</sup>

ولم يسلم من بني النضير الا رجلاان يا مينا بن عمار وأبو سعد بن وهب أسلما  
على أموالهما فأحرزاهما<sup>(٧)</sup>

(١) سورة الحشر آية ٢

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١

(٣) الواقدي ص ١٦٥

(٤) الواقدي ص ١٦٤

(٥) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١

(٦) سورة الحشر آية ٨

(٧) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١

وقد قيل بمناسبة اجلاء بني النضير شعر كثير بعضه مدح وبعضه ذم وأهم ما يلفت نظرنا من ذلك الشعر قصيدة قلها عباس بن مرداس يذكر جلالة بني النضير ويبيحهم

لو ان قطين الدار لم يتحملوا وجدت خلال الدار ماهي وملعبا  
فانك عمري هل رأيت ظمائنا سلكن على ركن الشطأ فتيايا  
اذا جاء باغى النخيل قلن بشاشة له بوجوه كالدنانير مرجبا  
فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حبي بن أخطبا  
فقال خوات عباس بن مرداس أنت الذي رزيت اليهود وقد كان منهم في  
عداوة الله ما كان فقال عباس انهم كانوا أخلائي في الجاهلة وكانوا قوماً أنزل  
بهم فيكموني وتلى يشكر ما صنع اليه من الجميل ثم أنشد

هجوت صنيع الكاهنين وفيكم ثم نعم كانت من الدهر تربيا  
أولئك أخرى إن بكيت عليهم وقومك لو أدوا من الحق موجبا  
من الشكر إن الشكر خير مغبة وأوفى فعلا للذي كان أصوبا  
فصرت كن أمسي يقطع رأسه ليبلغ عزا كان فيه مرگبا  
قبلت بني هارون واذا كرفاعهم وقتلهم للجوع إذ كان مسغبا  
أخوات أذر الدمع بالدمع وابكم وأعرض عن المكره منهم ونكبا  
فانك لو لاقيتهم في ديارهم لالفت عما قد تقول منكبا  
مرأع الى العليا كرام لدى الوغى يقال لباغى النخيل أهلا ومرجبا



## الباب السابع

### غزوة بني قريظة

تحرّش زعماء بني النضير ابني قريش وخطفان على محاربة المسلمين — التحول زعماء بني النضير الى بني قريش الوثنيين — هل تغير هذه المخالفة عملاً ظاهراً لاوامر التوراة ؟ — احتجاج القرآن على هذه المخالفة — يوم الاحزاب — مطامع قريش وخطفان واليهود من وراء هذه الغزوة — تحرّش حيي بن أخطب ابني قريظة على نقض مهادنتهم مع الرسول — مخالفة سرية بين الرسول وبين خطفان — فشل يوم الاحزاب وأسبابه — حصار الرسول لبني قريظة — نزول بني قريظة على حكم الرسول — الشقاق الاوس على حلفائهم بني قريظة — تنفيذ حكم الاعداء في رجال بني قريظة — نتيجة غزوة بني قريظة — كثرة شعر العرب في يوم الاحزاب وبني قريظة

لما نزل أشراف بني النضير في خير أخذوا يفكرون في الثأر من الانتصار وجعلوا يفكرون في الوسائل التي توصلهم الى آطامهم وتردهم الى مزارعهم في منطقة ينزب فعرم نفر من اليهود فيهم سلام بن ابى الحقيق وحيي بن أخطب وكثافة بن الربيع أن يحزبوا الاحزاب على المسلمين « فخرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم الى حرب رسول الله وقالوا انا سنكون معكم حتى نصلحنا فقاتلهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد أفدينا خير أم دينه قالوا بلى دينكم خير من دينه وانتم أولى بالحق فلما قالوا ذلك لقريش سرهم واشطوا لما دعواهم اليه من حرب رسول الله فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا خطفان من قبس عيلان فدعواهم الى حرب رسول الله وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشاً قد

تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه . . . (١)

ومن ينظر الى حالة بني النضير النعسة التي صاروا عليها بعد اجلاتهم عن بلاد سكوتها منذ قرون وكانوا فيها أصحاب السطان المطلق والثروة الطائلة والمزايا الواسعة لا يوجه اليهم أقل لوم على محاولتهم الرجوع الى ارضهم وبختمهم عن الانتصار والحلفاء الذين يعينونهم على تحقيق أملهم والنار من خصومهم قلت هذه سحابة من السحابة البشرية وطبيعة من الطبايع الانسانية بل وعلى مشروع مقبول لدى جميع الامم

لكن الذي يلامون عليه بحق والذي يؤلم كل مؤمن بالله واحد من اليهود والمسلمين على السواء انما هو تلك المحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنيين حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود اديان قريش على دين صاحب الرسالة الاسلامية

نعم ان ضرورات الحروب اباحت للامم استعمال الخيل والا كاذيب والنوسل بالخدع والاضاليل للتغلب على العدو ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخط الفاحش وألا يصرحوا أمام قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامي ولو أدى بهم الامر الى عدم اجابة مطلبهم لأن بني اسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الامم الوثنية باسم الآباء الاقدمين ، والذين نكبو ابتكبات لا تحصى من تقويل واضطهاد بسبب ايمانهم بالله واحد في عصور شتى من الادوار التاريخية كان من واجبهم أن يصرحوا بحيايتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخلوا المشركين

هذا فضلا عن أنهم بالنجاحهم الى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الاصنام

والوقوف معهم موقف الخصومة

وقد أشار القرآن الى عمل النفر من اليهود ونحزبهم مع قريش وغطفان على الاسلام بقوله « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا <sup>(١)</sup> »

ثم أقبلت جموع قريش في شوال سنة خمس ونزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغاية في عشرة آلاف من أحابشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي نسل إلى جانب أحد وخرج رسول الله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره الخندق بينه وبين القوم .. <sup>(٢)</sup>

وقد أخذ المسلمون آلات الحفر من مساح وكرازين ومكاتل من بني قريظة الذين بقوا على الولاء ولم ينقضوا عهدهم فحفروا بها الخندق حول المدينة <sup>(٣)</sup> ويعتقد المستشرقون أن مؤرخي العرب قد بالغوا في أخبار يوم الخندق وأدخلوا فيها الاساطير التي تسد على الباحث سبيل استخلاص الصحيح من الحوادث . وكان للاحزاب في يوم الخندق قوة عظيمة لا تقل عن ١٠٠٠٠ مقاتل وكانوا مسلحين بالفخر الاسلحة وكانت لديهم الخيول الكثيرة فان استعدادهم كان كاملا من الوجهة المادية ولكنه كان ناقصا تقصا كبيرا من الوجهة المعنوية اذ لم تكن لهم غاية مشتركة تجمع بين قلوبهم وتحملهم على الاخلاص في أعمال الحرب

فقد كان السبب في اشتراك غطفان في هذه الحرب أن اليهود وعدوهم بأن يعطوهم ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع وحدائق خيبر <sup>(٤)</sup> اذا تم لهم النصر وكانت

(١) سورة النساء ٥١

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

(٣) الواقدي ص ١٩٣

(٤) الواقدي ١٩١



قريش تريد من مواصلة القتال أن تنار لقتلى بدر وأحد  
وهناك سبب آخر لم يذكره المؤرخون من العرب والافرنج وهو أن قريشاً  
رأت أن وجود قوة معادية لاهل مكة في شمال الحجاز ضار بهم ومؤد إلى كساد  
تجارة مكة فكانهم قد اضطروا إلى الحرب اضطراباً لامتلاكهم من أن يفتحوا  
اتجارهم طريق القوافل إلى الشام

وقد دخل أبو سفيان ونفر من زعماء قريش بين استار الكعبة حتى التصقت  
أكبادهم بها وأقسموا ومواصلة القتال حتى لا يبقى فيهم رمق من الحياة <sup>(١)</sup>  
وأما اليهود فقد كان رائدهم غير الذي كان خلفائهم من بني قريش وغلغلان  
كما ذكرنا قبلاً

وقد كان هناك عامل آخر أضعف من قوة هذا الجيش العظيم ونقص من هيئته  
ذلك أنه لم يكن موحد القيادة فلم يكن الأمر كله في يد أبي سفيان قائد قريش  
لذلك سرعان ما ظهر الخلاف في الرأي والعمل بين قواد الجيوش

وبعد أن مضت بضعة أيام غير كثيرة تبادل فيها الفريقان المناوشات  
والمبارزات انتضح لزعماء الأحزاب أن الحرب قد لا تنتهي إلا إذا انغم بنو  
قريظة اليهم فقد كان يقاتلهم على الولاء للمسلمين من جهة وعدم إمكان جيوش  
الأحزاب أن تتعرض لهم من جهة أخرى مما يزيد في قوة المحصورين الذين  
كانوا يأخذون منهم المؤن والسلاح وآلات الحفر وكانت آطامهم بين جيوش  
المسلمين والأحزاب بمثابة السور الذي لا يخترق

لذلك أخذ حيي بن أخطب صاحب مشروع يوم الخندق يؤثر في أبناء جلدته  
من بني قريظة ويحرضهم على نقض المعاهدة التي كانت بين كعب بن أسد  
والرسول ويقول له « قد جئتكم بعر الدهر وبيحر طام جئتكم بقريش وسادتها

حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياك . . . . . فلم يفلح في أول الأمر لأن  
الزعيم القرظي أبي أن ينقض صحيفته مع الأنصار وقل يا حيي بن أخطاب جئتني  
والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه فهو يرعد ويرق ليس فيه شيء وبجك  
فدعني وما أنا عليه فاني لم أؤمن محمد إلا صدقا ووقفا فلم يزال حيي يكعب يقتل  
له في الذروة والغارب حتى سمح بما طلب وأعطاها عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش  
وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك  
فنفذ كعب بن أسد عهده وبري مما كان بينه وبين الرسول . . . (١)

وقد أربب هذا العمل المسلمين لأنهم علموا ما يحتمل أن ينجم من انضمام  
بنو قريظة إلى الأعداء واقترب جيوش الأحزاب إلى يرب وقب عظم البلاء  
واشتد الخوف حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق بين بعض المنافقين حتى  
قال أحدهم كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأخذنا اليوم لا يأمن على نفسه  
أن يذهب إلى الغائط . . . ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله بعض  
رجاله إلى قائدي غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معها عنه  
وعن أصحابه غري بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب . . . (٢)

وقد كان هذا الاتفاق بمثابة الهزيمة التامة لجيوش الأحزاب إذ أخذ القواد  
بعده يتناولون الدسائس وأخذت كل فئة تضمم الشر للآخرى ثم فسد الأمر بين  
الأحزاب وبين بني قريظة حيث شعر بنو قريظة أن تغييرا أخذ يطرأ على الحالة  
فطلبوا من حلفائهم وهائن من الناس وأخذ بنو قريش وغطفان يلحون بنو قريظة  
ويقولون لهم انا لسنا بدار مقام فهدك الخلف والخافر فأعدوا للقتال حتى تهاجر  
محمدا فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم سبت وهو يوم لا تعمل فيه شيئا واستأ مع ذلك  
بالذين نقال معكم محمدا فأننا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن تنشروا إلى بلادكم

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك فادخلوا لنا الرهائن حتى نطمئن وأما  
بنو قريش وخطفان فقالوا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فإذا كنتم  
تريدون القتال فالخرجوا فقاتلوا فأبى عليهم بنو قريظة  
وبعث الله عليهم الريح في ليل ثمانية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم  
وتطرح آيتهم . . . ثم نهأت قريش وخطفان للرحيل فانشمرت راجعة إلى  
بلادها . . . (١)

وقد وافق المستشرقون على معظم أخبار الخندق التي سردناها إلى هنا وأما  
الذي لا يوافقون عليه فهو ما جاء في المراجع العربية من أنه بعد أن كتبت المعاهدة  
بين المسلمين وبين قائدي خطفان تناول سعد بن معاذ الصحيفة شعبا ما فيها من  
الكتاب ثم قال ليجهدوا عايذا . . . (٢)

لأن ذلك قد يناقض الواقع إذ دب روح الشقاق بين الأحزاب بعد انبات  
هذه الصحيفة بين الرسول وبين خطفان لا قبلها  
على أن خطفان لم تشارك في القتال الا طمعا في غمار خيبر وقد علم الرسول  
ذلك حتى العلم فوعده خطفان ما وعد وفضلت خطفان ما وعدها به الرسول على ما  
اتفقت مع اليهود عليه وإن كان أقل إذ كان ثلث غمار المدينة لأنها رأيت أنها ستفوز  
بهذه المنحة دون أن تسفك قطرة واحدة من دماءها

ويلاحظ العالم Leszynsky أن رواية تناول سعد بن معاذ للصحيفة وتمزيقها  
أيضا تشبه ما يقال عن اترومان أثناء حصار جيوش الغلواة لمدينة روما إذ حدث أنه  
بعد أن تمهد المحصورون بأن يدفعوا غرامة مالية للجيوش المنوحشة تقدم بطل من  
أبطال روما فتناول المعاهدة ومزقها قائلا : ان روما لا تشتري استقلالها بالدراهم  
وأني سأغسل عن وطني هذا العار . . . ولكن روما دفعت الغرامة وعادت جيوش

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٨٤

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٧٧



الغزاة الى وطنها . . . (١)

وهناك سرؤال يتردد في نفس الباحث وهو لماذا لم يطلب بنو قريظة من قريش وغطفان وهن الرجال قبل تلك الصحيفة لكن يظهر أن قريشا لم تدرك أن الشر إنما جاء من ناحية غطفان لأن الصحيفة كانت من قبيل المعاهدات الصربية التي تعقد بين الدول في الوقت الحاضر (٢)

ومما يكن من شيء فقد تخلص المسلمون من خطر جسيم كان يهدد كين نهضتهم وينذر بسقوط يثرب

وقد نتج من انضمام بنى قريظة الى جيوش الاحزاب ونقضهم المعاهدة التي كانت بينهم وبين النبي أن الرسول لم يحمل عليهم بعد تخلصه من جيوش الاحزاب بل بدأ يحاصرهم في نفس اليوم الذي أخذت فيه قريش وغطفان تنجلى عن المدينة حتى أنه أمر من كان معه ساءما مطيعا ألا يصلوا العصر الا بنى قريظة

ولم يقدر حتى بن الخطب الذي كان سببا في نقض المعاهدة بين بنى قريظة وبين المسلمين بما كان قد عاهد عليه كعب بن أسد بل وفي يومه وانضم الى أبناء جلدته ودخل معهم الحصن حيث استمروا محصورين خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار

ولينا علم اذا كان قد حدثت مناورات بين الفريقين أثناء هذه المدة أم لم تحدث

لكن يظهر أن بنى قريظة كانوا يميلون الى الهدوء والسلم لانهم كانوا رجال فلاحه وزراعة فلم يكونوا في القوة والبطش والخماس الحربي بالدرجة التي كان عليها بنو قينقاع وبنو النضير ومما يؤيد ذلك أن بنى النضير كانوا يدفعون الدية كاملة

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٧٤

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٨٣

بمخلاف بني قريظة الذين كانوا يدفعون نصفها فقط<sup>(١)</sup>

من أجل ذلك كانت العرب ينظرون إلى بني قريظة بعين غير التي كانوا ينظرون بها إلى غيرهم من البطون اليهودية الأخرى وليس معنى هذا أن بني قريظة لم تكن لديهم أية كفاءة حربية بل معناه أنهم كانوا أقل من البطون الأخرى في ذلك ومع هذا أبلوا بلاء حسناً في يوم بعاث وأبدوا من الشجاعة وقوة العزيمة ما يستحق الاحترام وأيضاً فاتهم قد منعوا حصنهم خمسين ليلة ولم ينزلوا إلا حين أيقنوا بالهلاك

على أن الواقدي يصرح بأنه حدث قتال بين اليهود وبين المسلمين أثناء الحصار حيث كان الغريقان يتراميان بالنبل والحجارة<sup>(٢)</sup> كما يذكر ابن هشام أن بعض الانصار من الخزرج وبني حارثة قتلوا في هذه المقاتلة الضعيفة<sup>(٣)</sup> ولم يجرؤ بنو قريظة أن يخرجوا من الآطام مرة واحدة طويلاً مدة الحصار لأن عدد المسلمين كان يربو على الآلاف بينما كان عدد اليهود لا يتجاوز سبعمائة إلا قليلاً ولما أيقنوا أن مقاومة جيش الانصار لا تفيدهم فتيلاً وأنهم سوف يقعون في قبضتهم مهاطل الزمان بعثوا إلى الرسول أن ابعث إلينا أبا لبابة لنستشيره في أمرنا فأرسله الرسول إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه فرق لهم وقلوا له يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد قل نعم وأشار بيده إلى حلقة انه الذريح وقال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت أني قد خنت رسول الله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من حديد وقال لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً . . . . . وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجدع ست ليال نأثيه

(١) الواقدي ص ٢١٢

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٠٤

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ١٠٤

لمرأته في كل وقت صلاة فتحمله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع الى أن أطلقه  
النبي (١)

ويظهر مما جاء في كتاب الواقدي أن بني قريظة قبلت أن تنزل على حكم  
الرسول لأنهم اعتقدوا حق الاعتقاد أن الأنصار يعاملونهم كما عاملوا بني قينقاع  
والنضير (٢) وربما كان هذا هو سبب خيانة أبي لهبة إذ أشار الى العتق تلميحاً  
الى الحكم الذي سيفقد في بني قريظة بعد خضوعهم

وكان بنو الأوس يعتقدون كما اعتقد بنو قريظة في نتيجة حكم الرسول فتحكمهم  
لما أصبحوا نزل اليهود على حكم رسول الله فنواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله  
أنهم كانوا موالييننا دون الخزرج وقد فعلت في موالينا بالأس ما قد علمت  
فقال الرسول ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم قلوا بلى قال  
فذاك الى سعد بن معاذ . . . ثم حكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسّم الأموال  
وتسبي الذراوى والنساء . . . (٣)

ولا شك أن اليهود لم يـكـونوا ينظرون الى هذه الخيانة من حلفائهم بني  
الأوس ولا الى غدور سعد بن معاذ بهم ولم ينجم كما نجي عبد الله ابن أبي حلفاءه  
من بني قينقاع . . . (٤)

وكان بنو قريظة طول الليل قبل اعدامهم يقرأون في كتاب الزبور  
ويتناقشون في شؤون الدين الاسرائيلى حيث اتفقوا على أن ينصروه الى آخر  
دمق من الحياة (٥)

أما تنفيذ حكم الاعدام في رجال بني قريظة فقد تعلم أن الرسول خرج الى  
سوق المدينة فخذق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٨٩

(٢) الواقدي ٢١٣

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٩٤ — حديث البخاري ج ٢ ص ٢٤٩

(٤) ابن هشام ج ٢ ص ٨١

(٥) الواقدي ص ٢١٦



يخرج بهم اليهم ارسلوا وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة  
والمكثر لم يقول نسمة واحدة وما أتى يحيى بن أخطب وعليه حلة ققاحية ( ضرب من  
الوشى ) قد شقها من كل ناحية قدر أتملة لثلاث يسليها أحد فلما نظر الى رسول الله  
قال أما والله ما كنت نفسي في عدائكم ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على  
الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر ومصلحة كتبها الله على  
بنى اسرائيل ثم جلس فضررت عنقه . . . (١)

وقد أخرج كعب بن أسد زعيم بنى قريظة على أبناء جلدته قبل خروجه  
من آطامهم أن يعتنقوا الاسلام « فيامنوا على دماءهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم  
فقالوا لا تفارق حكم الوراثة أبداً ولا تستبدل به غيره » (٢)

هذه الجمل تدل على رمسوخ الديانة في نفوس بنى قريظة وانهم ما كانوا  
ليعبأوا بالآيات في سبيل الفسك بدینهم والمحافظة على عقائدهم

وقد قلنا ان بنى قريظة أظهر والعجز في الشؤون الحربية بالنسبة للبطون  
الأخرى وينضح ذلك من حديث لابن هشام اذ « قل كعب بن أسد لقومه اذا  
أبستم على هذه ( الدخول في الاسلام ) فهل فلتقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى  
محمد وأصحابه رجلاً معاصين السيوف لم تترك وراءنا قتلاً حتى يحكم الله بيننا  
وبينهم فان تهلك تهلك ولم تترك وراءنا قتلاً نخشى عليه وان يظهر فاعمرى  
لنجدن النساء والأبناء قتلوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بدمهم قال فان  
أبستم على هذه فان اللياسة لولة السبت وانه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا  
فيها فارتلوا لعنا نصيب منهم غرة قلوا انفس سبقتنا علينا ونحدث فيه ما لم يكن  
من كان قبلنا الا من قد علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسيح قل ما بات  
رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حارماً . . . (٣)

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٩٢

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ٨٨

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ٨٨

وقد اشتمرك الأوس في قتل خلفائهم فاته لما شرعت في الخروج تضرب  
أعناقهم ويسرم ذلك فنظر رسول الله إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم فظن أن ذلك  
للحلف الذي بين الأوس وبين بني قريظة وقال ليضرب فلان وليذفف  
فلان . . . (١)

وقد أظهر بعض اليهود في تكبيرهم هذه من الشجاعة ما يستوقف النظر فمن  
ذلك ما حدث للزبير مع أحد الأنصار ، ذلك أن الزبير كان قد من على ثابت  
ابن قيس في يوم بعثت أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه ثابت وهو شيخ كبير  
فقال يا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجمل مني مثلك قال اني قد أردت أن  
أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يحزى الكريم ثم أتى ثابت بن قيس رسول  
الله فقال يا رسول الله انه قد كانت للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها  
فهب لي دمه فقال رسول الله هو لك فأتاه فقال ان رسول الله قد وهب لي دمه  
فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال فأتى ثابت رسول  
الله فقال باني أنت وأمي يا رسول الله هب لي امرأتهم وولده قال هم لك قال فأتاه  
فقال قد وهب لي رسول الله أهلك وولدك فهم لك قال أهل بيت بالحجاز لا مال  
لهم فما يفلحهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله فقال يا رسول الله ماله قال هو لك  
فأتاه ثابت فقال قد أعطاني رسول الله ماله فهو لك قال أي ثابت ما فعل الذي  
كان وجهه مرآة ضيئة يتراعى فيها عذارى الخي كعب بن أسد قال قتل قال  
فما فعل سيد الخاضر والبادي حيي بن أخطب قال قتل قال فما فعل مقدمنا اذا  
شدنا وجامعنا اذا فررنا عزال بن سمول قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني  
كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال ذهبوا وقاتلوا قال فني أسألك يا ثابت  
بيدي عندك الا ألقنتي بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء ، من خير فما أنا بصابر

لأنه فتلة دلو ناضح حتى ألقي اللاحية فقدمه ثابت فضرب عنقه . . . (١)

وكان المسلمون لا يقتلون في غزواتهم النساء والذراير وكل من لا ينبت من الرجال (٢) لكن في هذه الغزوة قتلت امرأة واحدة وقد انطلقوا بها للقتل وعلى نغرها علامة الحيور والابتهاج حتى قالت عائشة زوج الرسول : فوالله ما أنسى عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل (٣)

وقد نحى في ذلك اليوم أربعة من اليهود لم يقتلوا لأنهم اعتنقوا الاسلام فأقاموا على نساءهم وذرايرهم وأملاكهم وقد بقي ثلاثة منهم في المدينة أما رابعهم فقد خرج على وجهه من يثرب لبلة اسلامه ولم يدر أحد الى أين ذهب (٤)

ولم يكن الثلاثة الذين أسلموا من بني قريظة أو من بني النضير بل كانوا من بني هذيل وهم بطن من البطون العربية التي شهودت ولم يكن عدد أفرادها المتهودين كبيراً في يثرب

ومهما يكن من شيء فقد قضت هذه الغزوة القضاء التام على بطون اليهود في يثرب وقد كان القضاء على اليهود هو رائد بطون الأوس والخزرج منذ الساعة الأولى لحجارتهم لهم في يثرب وقد بذلت في هذا السبيل جهوداً عظيمة في فترات مختلفة ولم توفى حتى جاءت الحوادث بعد الهجرة فحققت آمالهم وأطماعهم السياسية في وقت كانت خامدة فيه تلك الآمال

وقد طرأ تغيير عظيم على يثرب بعد خروج اليهود منها إذ تدهورت شؤنها التجارية والصناعية تدهوراً شديداً ولو لم يكن بهذه المدينة ضريح الرسول ولو لم تكن عاصمة الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين لما كان ليثرب شأن

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٩٥ — الواقدي ص ٢١٩

(٢) حديث البخاري ج ٢ ص ٢٥١

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ٩٤

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ٩٠



يذكر بعد تلك الحوادث في الجزيرة العربية  
وقد اضمحل شأن هذه المدينة بعد عصر الخلفاء الراشدين ولم تعد اليها  
مكانتها القديمة من الوجهة التجارية والصناعية

هذا ما يميل اليه المستشرقون وقد يكون من الصعب تنقيح هذا الرأي  
وتجربته من الصحة على أن هناك نقطة جوهرية يجب أن ننقبها ونحن نبحث  
أسباب الضعف الذي طرأ على يثرب بعد أن محيت منها سلطة اليهود

فقد يظهر لكل باحث في تاريخ المسلمين بعد الخندق وغزوة بني قريظة  
ظاهرة جديدة في منطقة يثرب أولاً وفي الحجاز كله بعد زمن قصير : هي أن  
مرافق الحياة من زراعة وتجارة وصناعة أهملت إهمالاً شديداً وأخذ أفراد البطون  
وزعمائها يتجهون نحو الشؤون الحربية التي شغلت العرب بما جلبت لهم من المغنم  
وبما مكنت لهم فيها تلك اغنياء الاسلام في الجزيرة العربية

وبعد غزوة تبوك أخذت الجيوش الاسلامية تعمُر سورية والعراق ومصر  
وأفريقيا الشمالية فلم تبق للأعمال القديمة المعروفة في الجاهلية قيمة كبيرة في كسب  
الرزق واحراز المال والسلاح إذ كانت تمار الأرض من بر أو نهر قليلة جداً  
بالنسبة لما تغله القنوج من مختلف الثمرات

وكذلك أهمل العرب أعمالهم الزراعية وتركوها بأيدي العبيد الذين جلبوهم  
من الامم المغلوبة

ولم تكن هذه الظاهرة قاصرة على العنصر العربي وحده بل نجدتها شاملة  
لكل الامم في طور الانتقال من الفقر والبداوة الى الملك والاستعمار فقد تعلم أن  
الامة اليونانية أخذت بعد خروج الاسكندر الاكبر لتفتح ممالك الشرق تنحط  
في الزراعة والتجارة وتهمل ما في بلادها من مصادر الثروة طمعاً في جلب ما في  
الممالك الشرقية من المغنم الكثيرة والى مثل هذه الظاهرة يشير من كتب في

تاريخ روما بعد قهرها لأمم العالم القديم

أما الأعمال التي وقع في منطقة يثرب فقد ظهر أثره بعد زمن قصير في مكة  
اذ تدهورت شؤونها التجارية ولم تعد اسمع في التاريخ الاسلامي شيئا عن قوافل  
مكة الى يثرب والشام واليمن لانت عشائر قريش وزعماءها وجدوا أذواقهم فيما  
انبسط لهم في الممالك الاسلامية ولولا الكعبة بمكة لظلت كسائر مدن الجزيرة التي  
لم ترق ولم تعظم بظهور الاسلام بل أصبحت خالية من أهلها العرب الذين طوحت  
بهم مطامع الفتوح

على أن الدكتور طه حسين يرى أن الخطاط يثرب والحجاز عامة من الوجهة  
المادية لم يكن ناشئا عن اضعاف اليهود واجلائهم وانما كان نتيجة لازمة لانتقال  
النشاط العربي الى جهة أخرى خارج البلاد العربية وهو يرى أن اليهود لو أنهم  
ظفروا بمسالمين لابي والمسلمين حتى تمت الفتوح لبخلوا بنشاطهم الطبيعي على هذه  
الأرض الحجازية التي لم يستعمروها الا مضطرين ولا تقسوا لانفسهم مستعمرات  
أخرى أخصب وأجلب للنفع في العراق والشام أو مصر أو غيرها من البلاد التي  
فتحت على المسلمين

أما النتيجة المادية لمحو السلطة اليهودية في يثرب فواضحة فقد قسم الرسول  
المغنم من الذهب والفضة ومن المازل والمزارع على المهاجرين ووضع تحت يد  
أنصاره زعامة الآطام التي أخذت من اليهود وما بقي من الأموال بعد هداير  
المهاجرين والأناصار حفظ في بيت المال للدولة الفتية التي ظهرت بمظهر القوة بعد  
غزوة بني قريظة وكانت في حاجة شديدة الى الأموال التي تساعد على تنفيذ  
المشروعات المهمة في الحجاز وأطراف الشام

أما تأثير هذا الفوز المبين في القبائل العربية الوثنية من قريش وغيرها  
فستبينه فيما بعد . . .

وأما المنافقون فقد خفت صوته بعد يوم قريظة ولم تعد اسمع لهم أعمالا أو

أقوالاً تناقض إرادة النبي وأصحابه كما كان يفهم ذلك من قبل  
أما النساء والمذاري فقد بعث بهم الرسول إلى نجد فابتاع بهم خيلاً وسلاحاً  
وقد اصطفى لنفسه من نساء قريظة ربحانة بنت زيد فكانت عنده حتى توفيت  
في حياته ويقول صاحب كتاب الطبقات إن الرسول ضرب عليها الخجاء وكان  
معجباً بها وكانت لا تسأله إلا أعطاهما ولقد قيل لها لو كنت سألت رسول الله  
بني قريظة لأعتقهم . . . وكانت امرأة جميلة وسيمية . . . فغارت عليه غيرة  
شديدة فطلقها تطليقة وهي في موضعها لم تخرج فشق عليها وأكثرت البكاء  
فدخل عليها رسول الله وهي على تلك الحال فراجعها فكانت عنده حتى ماتت  
عنده . . . (١)

وفي سورة الأحزاب آيات تتعلق بغزوة بني قريظة ورد الله الذين كفروا  
بفرضهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله فوياً عزيزاً، وأنزل الذين  
ظاهروهم من أهل الكتاب من صيحبهم وفند في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون  
وتأسرون فريقاً وأوردنكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على  
كل شيء قديراً (٢)

وكذلك قال العرب شعراً كثيراً في غزوة قريظة وغزوة الخندق وهو شعر  
لم يوجد له نظير في الغزوات الأخرى عند ابن هشام وهو يدل على ما كان لذلك  
الغزوة من وقع شديد في النفوس

وما قاله جميل بن جوال النخعي يكي بني قريظة :

ألا يا سعد سعد بني معاذ لما تقيت قريظة والنضير  
لعمرك إن سعد بني معاذ قد أدهموا لحو الصبور  
فأما الخزرجي أبو حبيب فقال القينقاع لا تسيروا

(١) طبقات ابن سعد جزء ٨ ص ٩٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٥ - ٢٧



وبدلت الموالى من حضير	أسيده والدوائر قد تدور
وأقذرت البويرة من سلام	وسعية بن أخطب فهي بور
وقد كانوا ببلدتهم نقالا	كما نقلت بحيطان الصخور
فان بهلك أبو حكم سلام	فلا رث السلاح ولا دنور
وكل الكاهنين وكان فيهم	مع اللين الخضارمة الصقور
وجدنا المجد قد نبتوا عليه	بمجد لا تغيبه السدور
أقيموا يا سراة الأوس منها	كأنكم من الحزاة عور
تركتم قدركم لا شيء فيها	وقدر القوم حامية نفور

---

## البَابُ الثَّامِنُ

### غزوة خيبر

الاسباب التي حملت الرسول على محاربة أهل خيبر — أهمية معاهدة الرسول مع قريش قبل هذه الغزوة من الوجهة السياسية والحربية — مراقبة قبائل الحجاز لغزو خيبر — غدر بني غطفان بمخلفاتهم أهل خيبر — النضال حول أطام خيبر — سلام بن مشكم وبقيّة زعماء خيبر — المناطق الحربية في بلاد خيبر — حصول خيبر المنفعة — الحاج اليهود في طلب الصلح — لماذا لم يحل الرسول أهل خيبر ؟ — وأى ابن هشام — آراء المستشرقين — مقام خيبر — صحف التوراة والرسول — زواج النبي بصفية بنت حيي بن أخطب — محاولة زهب ابنة الحارث الانتقام من الرسول — لماذا تزوج الرسول بصفية بنت حيي ؟ — غشوع يهود وادي القرى وفدك ونبأ الرسول — نتيجة غزوة خيبر

ارتعدت فرائص يهود خيبر لما وصل اليهم ما حل بأخوانهم في يثرب من التنكيل والتقتيل وأوجبوا خيفة من نعمة المسلمين عليهم من جلاء تحريرهم لبني قريش وغطفان مع حيي بن أخطب على محاربة الانصار

وقد صرح سلام بن مشكم لزعماء خيبر بأن خطراً يتهدد كيان اليهود في الحجاز وأنهم لهم أن الواجب عليهم أن يبادروا الى تأليف كتلة منهم ومن يهود وادي القرى ونبأ، ثم يزحفوا على يثرب دون أن يعتمدوا على البطون العربية في هذه الغزوة ولكن بعض الزعماء عارضه في هذا الرأي<sup>(١)</sup> وكانوا في هذه الاثناء يرسلون الوفود بالاموال الى المدينة لفداء عدد عظيم من النساء والذراري . . .<sup>(٢)</sup>

(١) الواقدي ص ٢٢٤

(٢) الواقدي ص ٢٢٩

وقد علم الرسول بما يدور في خلد يهود خيبر فأخذ ينهيهم لقتالهم ولكنهم أجله  
الى أجل قصير لأسباب سياسية وأخذ الانصار يرسلون الوفود لقتل زعماء خيبر  
كقدمات للغزوة

وكان من تلك الضحايا زعيمان كبيران النفوذ والسيطرة في خيبر وهما سلام بن  
أبي الحقيق واليسير بن رزام

أما الاول فقد قتل غيلة على فراشه في خيبر بواسطة خمسة من رجال بني  
الخرزرج قصدوا خيبر فاحتلوا على امرأة سلام وقتلوا لها إنهم ياتسون الميرة  
ففتحت لهم الابواب فجهموا على سلام وطعنوه بسيفهم وهو على فراشه لا يدري  
بهم (١)

ونلاحظ أن هذا القتل لم يكن بعد غزوة فريضة مباشرة بل جرى قبيل غزوة  
خيبر وكان أبو الحقيق من أصحاب العقول الراجحة فأراد المسلمون أن ينخلصوا منه  
قبل أن يدور المعارك بينهم وبين اليهود في ناحية خيبر

وأما الزعيم الثاني وهو اليسير بن رزام فقد كان يجتمع بيني غطفان ليعقد معهم  
العقود والاتفاقات ليكونوا مع اليهود في حالة دخول أهل خيبر في حرب مع المسلمين  
« فبعث اليه الرسول عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه فقدموا الى اليسير بن  
رزام بخيبر وكلموه وقالوا له انك إن قدمت على الرسول استعملك وأزملك فلم يزالوا  
به حتى اذا كان بالفرقة من خيبر على سنة أميال ندم اليسير على مسيره ففطن له  
عبد الله بن أنس ففتحهم به ثم ضرب به بالسيف فقطع رجله وضرب به اليسير بمخراش  
في يده من شوحط فامة ومال كل رجل من الانصار على صاحبه من اليهود فقتله  
الا رجلا واحدا أفلت على رجله . . . (٢)

وقد يدل هذا على صحة ما رواه الواقدي من أن بعض زعماء خيبر لم يوافقوا

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ١٢٢

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ١٤٠ — تاريخ الخلفاء جزء ٢ ص ١٦



على رأى سلام بن مشكم من محاربة المسلمين وأن اليسير بن رزام قد خرج فعلا  
مع عبد الله بن رواحة بقصد المدينة ليدخل في حلف مع الرسول ليحمو من قلوب  
الانصار الاسنياء من اشتراك بعض زعماء خيبر والنضير في يوم الخندق وأما  
عبد الله بن رواحة فإنه لم يأت الى خيبر لعقد معاهدات بل لتنفيذ خطة سياسية  
خطيرة كان من شأنها إضعاف اليهود بقتل بعض زعمائهم

وقد اعتبر مؤرخو العرب قتل اليسير بن رزام من الاعمال السياسية الجلية  
فقد وضعوا له بابا خاصا كأنه غزوة من الغزوات

أما ابن هشام فقد وضعها في أخبار الانصار قبيل غزوة خيبر ولكي يتمكن  
الرسول من محاربة أهل خيبر دون أن يكون عرضة لخطر من جهة أخرى فقد توجه  
الى مكة في ذي القعدة من السنة السادسة وأصلح مع قريش

وقد جاء ابن هشام بنص المعاهدة : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله  
مهيمل بن عمر واصطلحوا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيمن الناس  
ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده  
عليه ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يرد عليه وأن يئلفا عيبة ~~مكفوفة~~ وأنه  
لا سلاسل ولا أغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن  
أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . . . (١)

أما بعد عقد الرسول هذه الهدنة فقد أصبح آمنا ثمر قريش وصارت له  
الحرية في أن يسير حيث شاء فأمر جموع المسلمين أن ينجهزوا لغزو خيبر وخرج  
بهم في المحرم من السنة السابعة قاصداً خيبر وهي على ثلاثة أيام من المدينة  
وأما الاسباب التي حملت قريشا على عقد الهدنة فهي أن قريشا كانت في  
حاجة شديدة الى هدنة مع الرسول لما ظهر في مكة من الضائقة الاقتصادية بعد  
يوم قريظة ولما كانت تخطئ على قواها من غارات المسلمين ولما كانت تتوقعه

من انتقام الرسول بعد أن حاربته وكادت له في بدر وأحد والخندق  
ولما سمع القرشيون بمسير النبي إلى مكة خرجوا معهم العوذ المطافيل وقد لبسوا  
جلود النور<sup>(١)</sup> ونزلوا بني طوى يعاهدون الله أن لا يدخلها المسلمون عنوة أما  
الرسول فلم يأت للقتال ولكنه جاء لزيارة البيت الحرام  
ولا شك في أنه قد ظهرت للنبي بعد يوم قريظة سياسة جديدة إزاء قريش  
فقد أراد أن يأخذهم بالرفق ولكن أي رفق ؟ انه رفق القوي الذي يريد أن  
يصل إلى غرضه بدون أن يحكم السيف وليس رفقته هنا كرقته بمكة يوم كانت  
قليل الانصار

ويحدثنا ابن اسحق أن الرسول قل : لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة  
يسألونني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم ايها<sup>(٢)</sup>

فلما وثقت قريش أن الرسول يميل إلى مهادنتها لم تنردد في القبول  
أما نص عقد الهدنة فأننا نعتقد أنه كان أطول مما وصل إلينا في كتاب  
السيرة فقد جرت مفاوضات كثيرة قبل الهدنة ولم تكف قريش بقول مبهم  
وانما طلبت شروطاً واضحة تضمن لها جرحها وقوافلها الأمان  
والذي يرجع إلى آيات سورة الفتح التي يشرحها ابن اسحق يرى أن الاخبار  
القليلة التي وصلت إليه عن يوم الحديبية يرجع الفضل فيها إلى الآيات أكثر من  
الروايات التي لم يبق منها لعهده الا القليل

أما أنصار الرسول فقد غضبوا وناروا إذ اعتقدوا أن شروط الهدنة في صالح  
قريش وكانوا يودون أن تدعى لحكم الرسول بلا شرط ولا قيد وفي هذه الهدنة

(١) قيل العوذ جمع عائد وهي الناقة التي معها ولدها يريد أنهم خرجوا بدوات الابل  
من الابل ليتزودوا ابلانها ولا يرجعوا حتى يلاحزوا محمداً وأصحابه في زعمهم . . . (الروض  
الانف جزء ٣ من ٢٦٦)

(٢) ابن هشام ج ٣ من ١٥٢

قال عمر بن الخطاب كانه الماثورة « علام تعطى المدينة في ديننا » (١)

وبالرغم من نورة المسلمين على شروط الهدنة فقد كان في قبورها من الرسول دلالة كبيرة على بصره بالعواقب وعلمه بالسياسة الدقيقة ويؤيد ذلك ما قبله الزهري فما فتح في الاسلام فتح قبل يوم الحديبية كان أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس كلهم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئاً الا دخل فيه ولقد دخل في تلك السنتين مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك أم أكثر... (٢)

أما الآيات التي تتعلق بيوم الحديبية فهي تحتوي على سورة الفتح بأجمعها « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً . . . إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً . . . وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً هم الذين كفروا وسدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو نزلوا بعد هذا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أن تدخلن المسجد الحرام أن شاء الله آمنين محلفين وموسمين ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً . . . »

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٥٨

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٦٤



وتتلخص الأسباب التي حملت النبي على غزو خيبر فيما يأتي :

( ١ ) ثأره من يهود خيبر لما فعلوه من تحريض قريش وخطفائهم على محاربة المسلمين

( ٢ ) كانت جموع اليهود في خيبر من أقوى الطوائف بأساً وأوفرها مالا وسلاحاً ولم يكن هناك أي أمل في أن يعتنقوا الدين الاسلامي بعد ما اثبتت التجارب السابقة مع يهود يثرب أن اليهود لن يدخلوا في الاسلام ، ولما كان الغرض الذي يرمى اليه الرسول إنما هو جمع العرب على دين واحد وتأييد كتلة متحدة منهم فقد كان حتماً عليه في هذه الحال أن يقضي على يهود خيبر حتى لا يكونوا حجرة عثرة في سبيل تحقيق ذلك الغرض

( ٣ ) لم يجد النبي قوة تقف في سبيل نشر دينه إلا قوتين اثنتين قوة قريش وقوة اليهود لذلك وضع نصب عينيه القضاء على هاتين القوتين ليخلص له الجلو ويتمكن من نشر دعوته . أما بقية القبائل الحجازية فلم تكن من القوة والخطورة بمثل ما كانت قريش واليهود

ويظهر أن صاحب السيرة لم يصله أخبار كثيرة عن غزوة خيبر لذلك لجأ مؤرخو العرب — وقد كانت لهم سيرة ابن هشام الينبوع الذي يستقون منه جميعاً — الى الأخبار والنروايات المضطربة فجاءت بعض رواياتهم مختلطة بكثير من العجائب والغرائب كما سنوضح ذلك فيما بعد

ومما لا شك فيه أن غزوة خيبر كانت ذات شأن عظيم في تاريخ الفتوح الاسلامية اذ كانت كل قبائل الحجاز تراقب تنيجهما باهتمام وتنظم شؤونها على حسب ما كان يترأى لها من نتيجة صليبي السيوف بين الانصار واليهود وقد كان أعداء الرسول الكثيرون في بداية العرب وحاضرتهم يعلقون آمالاً كبيرة على تلك الغزوة

وقد انقسم أهل مكة قسمين : طائفة منهم ترجح أن النصر سيكون حليف

اليهود وطائفة ترى أنه سيكون من نصيب المسلمين وكثيراً ما تراهن بعض  
الأفراد من كلتا الطائفتين بسبب ذلك (١)

وقد كان الاهتمام بهذه الغزوة شديداً جداً في مكة أثناء القتال حول أطلام  
خير حتى أن الحجاج بن علاط لما ذهب إلى مكة بعد أن انتهى الحرب بفوز  
المسلمين خدع أهلها وقال لهم « عندي من الخير ما يسركم : هزم محمد هزيمة لم تسمعوا  
بمنها قط وأمر محمد أسيراً وقال أهل خير لا تقتله حتى تبعث به إلى أهل مكة  
فبئس الخوذة بين أطلامهم بمن كان أصاب من رجالهم فابتهج أهل مكة لهذا الخير ودخلوا  
إلى الكعبة ليقدّموا الضحايا إلى اللات والعزى . . . » (٢)

وأما يهود خير فقد أرسلوا إلى غطفان يستمدونهم لأنهم كانوا من حلفائهم  
وشرحطوا لهم نصف ثمار خير إن غلبوا على المسلمين فقبلوا (٣)

ولكن بطون غطفان التي اشتهرت بغدرها يوم الخندق أخلت بيهود خير  
أيضاً إذ بعد أن تهيأت غطفان للقتال وظفرت طلائع الجيش الإسلامي دب الخوف  
في قلوبهم واستولى عليهم الفزع فرجعوا على أعقابهم وأقاموا في أهلهم وخلوا  
بين الرسول وبين خير (٤)

ولكن يظهر أن غطفان لم ترجع على أعقابها من جراء الخوف من طلائع  
الجيش الإسلامي كما يقول ابن هشام لأن لدينا رواية أخرى تقول إن الرسول قد  
بعث إلى بني فزارة من بني غطفان وكانوا قد قدموا لمحاربة المسلمين مع يهود خير  
يطلب منهم أن « لا يعينوهم وأن يخرجوا عنهم على أن يعطيهم من خير شيئاً  
سواء لم قابوا عليه وقالوا حلفائونا وجيراننا فلما افتتح الله خير أتاه من كان هناك

(١) الوافدي ص ٢٨٩

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٨٦

(٣) تاريخ الخبيص ج ٢ ص ٤٨

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ١٧١

من بني قزارة قتلوا الذي وعدتنا فقال لكم ذو الرقبة الجبل من جبال خيبر<sup>(١)</sup>  
وقد جاءت هذه الرواية في كتاب المغازي للواقدي حيث يقول : إن عيينة  
زعيم بني قزارة قد غضب ولم يقبل ذا الرقبة لأن أرضها لم تكن حصبة<sup>(٢)</sup>  
أما اليهود فأنهم بعد أن شاوروا زعيمهم سلام بن مشكم « أدخلوا أموالهم  
وعيالهم في حصن الوطيج والسلام وأدخلوا ذخائرهم في حصن ناعم وجمع القمانات  
وأهل الحرب في حصن نطاة وسلام بن مشكم مع أنه كان مريضاً جداً ودخل نطاة  
معيهم وحرض الناس على الحرب »<sup>(٣)</sup>

وكانت حصون خيبر منيعة على رؤوس الجبال وكان رجالها مدربين قد  
مارسوا القتال والنضال وكانوا أصحاب سلاح كثير واستعملوا آلات الحديد في رد  
عادية المغيرين عن أطامهم . . .<sup>(٤)</sup>

وكان الرسول قد جاء بخيصار الانصار مسلحين بكل ما غنموه في الغزوات  
السابقة وكذلك انضم اليهم كثيرون من قبائل العرب البادية طمعاً في أموال  
اليهود

وكان من نتائج أول معركة بعد أن التقى الجمعان حول حصن نطاة أن وصل  
عدد جرحي المسلمين الى ٥٠<sup>(٥)</sup>

وعلى العموم فإنه من المتعذر معرفة عدد القتلى في هذه المعارك لأن مؤرخي  
العرب — كما قلنا — لم تصلهم أخبار كثيرة عن غزوة خيبر وفضلاً عن ذلك  
فإنه من المعروف أن المؤرخين في التاريخ العلم لا يذكرون عدد القتلى والجرحى  
من جهاتهم بل يبالغون في عدد القتلى والجرحى من العدو

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٠

(٢) الواقدي ص ٢٧٩

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠

(٥) الواقدي ص ٢٨٦



وقد نكس اليهود في أول عهد الغزوة بنكبة شديدة بسبب وفاة زعيمهم  
سلام بن مشكم في حصن نطاة وكان المسلمون يحاصرونه أثناء ذلك (١)  
وقد وجد في هذا الحصن أولاد بني قنعة وكانوا أصحاب نروة طائلة في خيبر  
حتى قالت عائشة زوج الرسول عن هذه الاسرة : ما شيع رسول الله من خيبر  
الشعير والفمر حتى فتحت دار بني قنعة (٢)

وانتقلت القيادة بعد وفاة سلام بن مشكم الى الحارث أبي زئب الذي  
خرج بعد ذلك من حصن ناعم لمنازلة الجيش الاسلامي فتهزم أمام بني الخزرج  
الذين يادروا القتال واضطروه الى أن يرجع الى الحصن ثم تجمع جماعة من اليهود  
رابطي الجأش وهجموا على الانصار حتى وصلوا الى حامل الراية بالقرب من الرسول  
فبعث الرسول أبا بكر الصديق براية الى الحصن فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد  
جهد ثم بعث في الغد عمر بن الخطاب ورجع ولم يكن فتح وقد جهد فدعا الرسول  
عليها وهو أرمم فدخل في عينه ثم قل خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك  
فلما دنا من الحصن خرج اليه أهل فقاتلهم ففصر به رجل من اليهود فطاح نرسه من  
يده فتناول على بابا كان عند الحصن فتعرض به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى  
فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ . فلقد كان في نفر ثمانية اجتهدوا على  
أن يقلبوا الباب فلم يقلبوه (٣)

أما صاحب تاريخ الخميس فيسرد هذه الاخبار ويلاحظ أن الذين أوفدوا  
خلع باب الحصن كانوا سبعين ولم يحركوه الا بعد جهد . . . وقد حمه على بن أبي  
طالب على ظهره وجعله قنطرة دخل عليها المسلمون الحصن ثم ألقى ذلك الباب  
وراء ظهره ثمانين شهرا (٤)

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٣

(٣) ابن هشام - ص ١٧٦

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٦

وفي أثناء هجوم الانصار على حصن ناعم قتل البطل الخيبرى مرحب بعد  
مبارزة عنيفة مع محمد بن مسلمة <sup>(١)</sup>

وتذكرنا هذه المبارزة بحسب رواية صاحب الخمس بالروايات الخرافية  
عند قدماء الاغريق

والذى يمكننا أن نستنتج من هذه الروايات أن معارك عنيفة دارت حول  
حصن ناعم دون أن يتغلب المسلمون على اليهود فأمر الرسول أنصاره أن يقطعوا  
أربعمائة من نخيل اليهود ليدخل الرعب في نفوسهم <sup>(٢)</sup>

وقد نصح أبو بكر الصديق الرسول بأن يمتنع عن قطع باقى الاشجار ففعل <sup>(٣)</sup>  
وسقط حصن ناعم بعد أن قتل قائده الحارث أبو زئب <sup>(٤)</sup>

وكان حصن ناعم من الحصون المنيعة في منطقة نطاة التى كانت بها أطام  
نعرف بهذا الاسم

وكانت بلاد خيبر منقسمة الى ثلاث مناطق حربية الاولى نطاة والثانية  
الشق والثالثة الكنتية

وبعد أن سقط حصن ناعم توجه المسلمون الى حصن الصعب بن معاذ  
ورحفوا عليه ففرق اليهود شملهم فاضطر الرسول أن يرزق رجاله ويحميهم فتقدموا  
واقبحوا السور ولكنهم وجدوا بعده سورا آخر داخلها فأزله بعد جهد شديد  
وارتد اليهود الى حصن آخر هو حصن الزبير في نفس منطقة نطاة <sup>(٥)</sup>

وكان مقاتلة المسلمين قبل فتح حصن الصعب بن معاذ في حالة صلك شديد  
لفسلة المؤمنين عندهم وكثرة الجيوش فتوجهت جماعة منها الى الرسول تشكوا اليه

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٥

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١

(٣) الواقدي ص ٢٦٨

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٥ — الواقدي ص ٢٧١

(٥) الواقدي ص ٢٧٤

وأطلب منه ما تسد به رمقها . فلم يجد الرسول شيئاً يعطيهم إياه فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه<sup>(١)</sup>

وقد أذن الرسول للانصار في أكل لحوم الخيل<sup>(٢)</sup>

وحدث أثناء ذلك أن أحد المسلمين اغتحم شائين اغتتمها بعد أن دخلت أولاهما الحصن فحضرتهما تحت يديه وأقبل بهما إلى الرسول فذبحوهما وأكلوهما وكان هذا الرجل إذا حدث هذا الحديث بكى<sup>(٣)</sup>

لكن بعد فتح حصن الصعب بن معاذ وجد المسلمون طعاماً وودكا كثيرا<sup>(٤)</sup> ويظهر لي أن معاذاً هذا لم يكن علماً لشخص كما تشعر بذلك تسمية الحصن به بل تعرف الصخرة العالية في اللغة العبرية باسم معاذ

وقد كان هذا الحصن على صخرة عالية كما ذكر ذلك صاحب تاريخ الخيـس<sup>(٥)</sup> أما حصن الزبير فقد كان متيناً جداً حتى أن المسلمين لم يستطيعوا فتحه على عظم ما بذلوا من جهود إلا بعد أن جاءهم يهودي فغدر بأخوانه فنصح لهم بقطع الماء عن المحصورين وكان هذا الماء يجري إلى القلعة من تحت الأرض فاضطر اليهود إلى أن يخرجوا منه . وبعد مباراة عنيفة انهزموا وفرروا إلى أبناء جلدتهم في منطقة أطام الشق<sup>(٦)</sup>

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١١٣

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٢

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٧

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٤

(٥) على أن تسمية الصخرة بمعاذ في العبرية لا يمنع من أن يكون أبا راحل مسمى بمعاذ أيضاً لأن معاذ في اللغة العربية اللجأ وهو يطلق على المصدر والزمان والمكان كما في التاج ص ٥٧٠ ج ٢ وقد سمي العرب معاذ تشبيهاً للشخص باللجأ الذي يلجأ إليه الخائف قال صاحب القاموس ( وسماوا عائداً وعائفة ومعاذاً ) ص ٣٦٩ ج ١

(٦) الواقدي ص ٢٧٦



ولما أصبحت أطام منطقة النطاة في أيدي الغزاة اتجهوا الى اقليم الشق  
وشرعوا يحاصرون قلعة أبي وهي على جبل شمران  
واسمنا نعرف مما جرى أثناء حصار هذا الحصن أكثر من أنه حدثت  
مبارزات بين أفراد من اليهود والمسلمين انتهت بفتح القلعة  
ترك الرسول بعد ذلك بقية حصون منطقة الشق في أيدي اليهود قلعة أهميتها  
من الوجهة العسكرية وقصد أرض السكتية حيث احتشد اليهود في حصن القموص  
الذي تجتمعت فيه جموع المهزمين والفارين من الحصون الخيرية الأخرى  
وكانت القموصي تحت قيادة بعض الأشراف من بني الخثيع وكان في هذا  
الحصن نساء هذه الأسرة وقد كان لهذا الحصن اسم آخر وهو نزار ومعناه بالغة  
العبرية الناج (٦٥)

وقد اختلف بعض مؤرخي العرب في أخبار حصن ناعم والقموص فبين  
هشام والواقدي نقصان بعض الأخبار عن ناعم في حين يأتي صاحب تاريخ  
الجبس بنفس هذه الأخبار على أنها حدثت أثناء الحصار حول القموص<sup>(١)</sup>  
على أننا لا نعلق أهمية كبيرة على أخبار كهذه لا تجدي الجادلة فيها فتيلا  
لأنها روايات خيالية أكثر منها حوادث حقيقية

استمر الحصار حول حصن القموص عشرين يوماً حيث انتهى يتمكن  
المسلمين من فتحه عنوة ووقع في قبضتهم مبالاً من النساء والذراير فقسمها الرسول  
بين أنصاره واصطفى لنفسه منها صفية ابنة جبي بن الخطيب  
وبينا كانت الجيوش الإسلامية تحاصر الوطيع والسلام في اقليم السكتية  
طلب اليهود الصلح وسألوا الرسول أن يحسن دماءهم فأجابهم الى طلبهم وحسن  
دماءهم<sup>(٢)</sup>

١٦٦ تاريخ الجبس ج ٢ ص ٥٥

(٢) ابن هشام ج ٢ ص ١٧٩

وهنا نتساءل لماذا عامل الرسول يهود خيبر بغير المعاملة التي عامل بها يهود  
يثرى ؟

وربما تلخص الجواب على هذا السؤال في أن خيبر كانت واسعة الاطراف وفيها  
من الحدائق والمزارع والنجيل ما يحتاج للأيدي الكثيرة التي مارست أشغال  
الزراعة والفلاحة ولم يكن من العرب من مارس ذلك الا التزر القليل وفوق ذلك  
لم يرض الرسول أن يترك من أنصاره من يستوطن هذه الارض ويعمل بها  
لاحتياجه اليهم في الاعمال الحربية ولم يكن في الامكان ترك هذه الارض الخصبة  
بوراً لا تنتج زرعاً ولا ثمرأ الا أن الدولة الاسلامية الناشئة كانت في أشد الحاجة  
الى الاموال الكثيرة فلم يكن به من الابقاء على اليهود ليعملوا في هذه الارض  
وينتجوا منها الزرع والتمر وذلك كانت شروط الصلح التي عقدت بين الطرفين  
في مصلحة المسلمين أكثر منها في جانب المغلوبين

هذا الى أن يهود خيبر لم يفعلوا ما بوغضه الرسول ويشير حقهده عليهم  
كافعل غيرهم وكل ما كلف منهم لا يعدوا اشتراك بعض زعماء بني النضير  
اللاجئين الى يهود خيبر في تحريض قريش وغطفان على المسلمين في يوم الخندق  
فما دامت شوكة اليهود في الحجاز قد انكسرت فليس ما يختص من وجود يهود  
خيبر في أراضيهم بل كان في وجودهم مصلحة كبيرة حيث يستثمر بجهودهم في  
الاعمال التجارية والزراعية للاكتناز من واردات الحكومة الجديدة كما ذكرت آنفاً  
ويرتاب بعض المستشرقين في قول الواقدي ( إن المسلمين لم يتركوا لليهود  
خيبر سوى ثوب واحد لكل منهم وسوى تسائهم وذراريهم )<sup>(١)</sup>

ويؤيد المستشرقين في انبيائهم هذا أن الواقدي نفسه يقول في نفس  
الصحيفة التي ذكر فيها ذلك إن اليهود قد جاءوا من منطقة السكينة لشراء غنمية  
القموص وفداء النساء والذراري من أيدي الظافرين فمن أين جاءوا بما يشترون

(١) الواقدي من ٢٧٧

به الغنائم ويفدون النساء والذراري إذا لم يكن المسلمون تركوا لهم إلا نوباً واحداً  
لكل واحد منهم

والتوقع أن الرسول خمس بلاد خيبر وقسمها على الأنصار وعلى أصحابه  
ونسائه بطريقة الأمم وأقام اليهود على أراضيها على أن يعطوا نصف ثمارها  
للمسلمين وكان رسول الله يبعث عيسى الله بن ربيعة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم  
في الخرص (١)

وهناك أمر يستوقف النظر وهو أنه كان من بين المغنم التي غنمها المسلمون  
في غزوة خيبر صحائف متعددة من التوراة فلما جاء اليهود يطلبونها أمر النبي  
بإسليمها لهم . . . (٢)

ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية  
مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي باليهان ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرض  
بسوء لصحفهم المقدسة ويذكرون بأذا، ذلك ما فعله الرومان حين تغلبوا على  
أورشليم وفتحوها سنة ٧٠ ب . م اذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم  
وما فعله المنعصبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الأندلس حيث  
أحرقوا أيضاً صحف التوراة . هذا هو اليونان السابع بين الفاتحين من ذكرناهم وبين  
رسول الإسلام

وقد قلنا إن الرسول قد اصطفى لنفسه صفية بنت حبي بن أخطب بعد أن  
قتل زوجها كنانة بن الربيع ويظهر أن بعض الأنصار خافوا على النبي من هذا  
الزواج إذ لما أعرس رسول الله بصفية بخير أو ببعض الطريق وكانت التي  
جعلها رسول الله ومثطبها وأصلحت من أمرها أم سليم ابنة ملحان فبنى بها  
رسول الله في قبة له وبات أبو أيوب خالد منوشحاً سيفه يحرس رسول الله ويحطوف

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٩٠ — ١٩٧

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٠



بالقبة حتى أصبح رسول الله فلما رأى مكانه قال مالك يا أبا أيوب قل يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أبها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر تخفتها عليك.... (١)

وقد كان المسلمون محقين في خوفهم على الرسول وقيامهم على حراسته لأن يهود خيبر كانت نفوسهم قد امتلأت بالحقد على الانصار الذين فتحوا أمصارهم واقتسموا أموالهم وأخضعوهم لسلطانهم وهي غريزة بشرية لا يخلو منها أحد اذ ليس في الناس من يقبل على نفسه الضيم والخوان فقد قتل يهود خيبر رجلا من المسلمين بعد أن رجعت جيوش الانصار الى المدينة (٢)

ويدل على مبلغ ما كان في نفوس اليهود من الاستياء ما أقدمت عليه امرأة يهودية من عمل بالغ غاية القسوة اذ ارادت أن تنتقم لقومها فاهدت زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وكانت مسمومة ووضعتها بين يدي الرسول فتناول الذراع فلاك منها فلم يبق فيها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله وأما بشر فساغها وأما رسول الله فلفظها ثم قال ان هذا العظيم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت بلغني من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحمت منه وان كان نبيا فسيخبر فتناول عنها رسول الله ومات بشر من أكله التي أكل... (٣)

ولقد أثار هذا العمل سخطا شديدا في نفوس مؤرخي العرب على هذه الفتاة التي حاولت أن تغتال حياة الرسول بمنزل هذه المسكينة

ولكن يجب ألا يغيب عن البال سمومية اطمئنان فتاة الى الحياة بعد ان قتل أبوها وكان زعيما شريفا ومات زوجها وكان قائدا ذا عهد تليد وفتاة في

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٨٢

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٩٥

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ١٨٩

مثل موقفها لا بد أن تسقط تحت سلطان الغضب وتضفى لوجي الانتقام لا سيما وهي مالكة له فادرة عليه

والمؤرخ الذي يلتفت الى هذه الاعترافات كلها ياتمس لهذه المرأة بعض العذر فيما أقدمت عليه من عمل منكر

أما صفية بنت حيي بن أخطب فقد أقامت على الولاء والوفاء لزوجها الجديد وبقيت معه قرينة مخلصه الى أن انتقل الى جوار ربه

وقد أثنى النبي بعمله هذا أثر القاتحين العظام حيث كانوا ينزجون من بنات عظام المالك التي كانوا يفتحونها ليخففوا من مصائبهم ويحفظوا من كرامتهم<sup>(١)</sup> ولقد كان بعض نساء الرسول يعاملن صفية بكبرياء وعظمة فكان ذلك يؤلمها ويكبتها فقال لها النبي : قولي لمن إنك ابنة هارون وكان عمك موسى رسول الله<sup>(٢)</sup>

ويحدثنا ابن سعد « أن نبي الله في الوجد الذي توفي فيه اجتمع اليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي أما والله يا نبي الله لو ددت أن الذي بك بي فعمزها أزواج النبي وأبصرهن رسول الله فقال مضمض<sup>(٣)</sup> فيقلن من أي شيء يا نبي الله قل من تعاملنكن بصاحبتكن والله أنها لصادقة . . .<sup>(٤)</sup>

وقد توفيت صفية سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان ودفنت بالبقيع<sup>(٥)</sup>

وفي أثناء محاصرة المسلمين للوطيح والسلام من أطام خير أرسل الرسول

(١) راجع حديث البخاري ج ١ ص ١٠٦ [ صفية بنت حيي سيدة زينة والنصير لا تصليح إلا لك . . . فأعتقها رسول الله ]

(٢) الواقدي ص ٢٧٩ — ابن سعد ج ٨ ص ٩١

(٣) أي أمسكن أخواتكن فقد تنجست

(٤) ابن سعد ج ٨ ص ٩١

(٥) ابن سعد ج ٨ ص ٩٢

بعض جنوده الى فلك الواقعة شمال بلاد خير وكان قائم هذه البعثة بحبسة بن  
مسعود قد دعا أهلها الى الاسلام ولما رأى أن لا ميل لهم في الصالح وأرادوا أن  
يحاربوه جاءت اليهم أخبار خير فوقع في قلوبهم خوف عظيم فأرسلوا جماعة من  
اليهود الى النبي حتى يصلحوه فبعد القبل والقال الكثير استقر الأمر على أن  
يعطوا النبي نصف أرض فلك ولهم نصفها فرضى النبي فصالحهم على ذلك<sup>(١)</sup>

فكانت فلك خاصة للرسول لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا دك<sup>(٢)</sup> ولما  
فرغ الرسول من أمر خير تجهز للرحيل الى المدينة عن طريق وادي القرى فلما  
سمع أهلها جنود المسلمين تهبأوا للقتال وعرض عليهم الرسول الاسلام فأبوا عليه  
ذلك وقالوا ذلك اليوم الى الليل ثم نصلحوا وأقامهم النبي على أراضيهم وذرايعهم  
وأموالهم

ولما وصل أمر خير وفلك ووادي القرى الى يهود تبعا خافوا وقبلوا  
الجزية<sup>(٣)</sup>

وفد سرد الواقدي حوادث مسارات وقعت بين جماعات من يهود وادي  
القرى وجمهور من المسلمين<sup>(٤)</sup> رأيت ألا أنقلها لعدم أهميتها

\*\*\*

وعلى كل حال فقد قضت غزوة خير على استقلال اليهود السياسي في البلاد  
الحجازية قضاء نهائياً بعد أن قضوا عصوراً طويلة وهم يستمعون به ويتقيأون  
ظلاله فأخذت حالهم الاقتصادية تندهور شيئاً فشيئاً حتى وصلوا الى الدرك الاسفل  
من الفقر والفاقة وقد فقدوا ما كان لهم من تأثير ونفوذ عند العرب في الجزيرة العربية

(١) تاريخ الخبيس ج ٢ ص ٦٤

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٩٢

(٣) تاريخ الخبيس ج ٢ ص ٦٤

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٣



وقد جاء الواقدي بقصة تدل على ما وصل اليه اليهود بعد غزوة خيبر من سوء حال وغضاضة عيش فقال عمن انتهت اليه روايته : كانت عادتنا أن نخرج في الجاهلية أثناء القحط من يثرب الى جهات خيبر وفدك حيث كنا نجتمع عند اليهود التمار الوافرة والاموال الكثيرة وحيث كنا نقابل منهم بالخفاوة والاكرام فلما أدركتنا الضعط الشديد بعد غزوة خيبر خرجنا اليها كما دتنا فوجدنا الدهر قد انقلب عليها ووجدنا الجنب قد ضرب أطنا به فيها حتى لم نجد أحداً من الأغنياء والأشراف بل كان معظم أهلها في فقر مدقع يجهدون أنفسهم في أعمال الفلاحة وكذلك لم نجد من بينهم من يقابلنا بذلك الخفاوة التي اعتدناها منهم في الجاهلية بل كانوا ينتظرون اليئس بعين البغض والانتقام وكان يهود نطاة والشق في سوء شديد أما في أطام الكنيبة فقد شعرنا بأن حالة السكان أحسن فأقنا بينهم مسرورين<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وهذه الوثيقة التاريخية أكبر برهان على سوء حال اليهود في خيبر بعد الغزوة فضلاً عن أنها تؤكد ما جاء في سيرة ابن هشام عن الدمار والخراب الذي أصاب خيبر أثناء الغزوة

أما وجود منطقة الكنيبة في حالة أحسن مما كانت عليه منطفنا نطاة والشق فيرجع الى أن أغلب أطامها صالح الرسول فقمهم على أراضيهم ولم يحس الانصار من حداثتهم وذراهم شيئاً

(١) الواقدي ص ٢٩٢

## البَابُ التَّاسِعُ

### أجزاء اليهود عن اليهود الحجازية

وقوف الخصومة بين اليهود والمسلمين بعد غزوة خيبر — عبد الله بن أبي واليهود — وجود عناصر يهودية في المدينة طوّل حياة الرسول — كتب الرسول إلى بطون العرب واليهود — الصحيفة إلى آل بني حنينة — رأى صاحب فتوح البلدان في هذه الصحيفة — اكتشاف نص الكتاب في المقبرة اليهودية بمصر — رأى المؤلف في هذه الصحيفة — حالة اليهود في البلاد الحجازية بعد وفاة الرسول — لماذا طرد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أغلب يهود خيبر؟ — أحاديث نبوية في هذا الموضوع — قصة ابن هشام في أنجلاء عمر بن الخطاب طوائف اليهود — رأى ابن سعد صاحب الطبقات في هذا الموضوع — صحيح البخاري وأحاديثه في هذا الموضوع — وجود اليهود في بلاد الحجاز إلى نهاية القرن الحادي عشر ميلاد — بقايا طوائف اليهود في بلاد العرب إلى الآن

فلما إنه كان من نتائج غزوة خيبر أن قضى قضاء تاماً على القوة السياسية والاقتصادية والدينية التي كانت لليهود في أقاليم الحجاز وقد ترتب على هذا أنه انقطعت الخصومة بين المسلمين واليهود ووقف تيار المطاعن والمنايا التي كانت متبادلة بين الطرفين ويندل على ذلك أن الرسول لم ينزل عليه شيء كثير من الآيات القرآنية التي تتضمن ذم اليهود والظلم فيهم بعد هذه الغزوة على خلاف ما كان من ذلك في الفترة التي كانت بين يوم بدر وغزوة خيبر وقد عاش اليهود الذين لم ينزحوا من الحجاز مطمئنين لا يمسهم أحد بسوء، وعاد عدد منهم إلى المدينة بدليل ما جاء لبعضهم من ذكر في سيرة ابن هشام وفي

كتاب المغازي للواقدي وقد استنتجت مما قرأت في هذين الكتابين عن  
البقية الباقية من اليهود في المدينة بعد غزوة خيبر أنهم كانوا جميعاً من بني قينقاع  
وقد كان هؤلاء قد جلوا عنها فما هو السر في عودتهم إليها وما هي الأسباب التي  
دعت إلى ذلك ؟ لم يكن من سبب لاجلاء بني قينقاع عن المدينة إلا امتناعهم  
عن اعتناق الدين الإسلامي فهم لم يرتكبوا شيئاً من الجرائم التي توغر صدور  
المسلمين وتملؤها بالخقد والضعينة عليهم بعد توطيد سلطانهم وثبتت قواعدهم  
واذن فليس ما يمنع من عودة بعض الأسر من بني قينقاع إلى المدينة واستيطانهم  
فيها لا سيما وان وجودهم في المدينة كان ضرورياً للاعتناق بهم في استثمار الأموال  
الكثيرة التي جلبت إلى يثرب من غنائم البطون العربية واليهودية المغلوبة على  
أمرها وكان بنو قينقاع يحسنون كثيراً من الصناعات لا سيما صناعة الصياغة

أما العرب فلم تكن لهم خبرة بهذه الصناعات من أجل ذلك تغاضى الانصار  
عن رجوع بعض اليهود إلى يثرب فأقبل عدد منهم عليها وعكفوا يعملون في  
أعمالهم القديمة

ولما توفي عبد الله بن أبي بكى عليه اليهود ووقف النبي على قبره وعزى  
إبنة وألبسه قميصه<sup>(١)</sup>

وقد خرجت نساء الاوس والخزرج جميعاً إلى جميلة إبنة عبد الله وشاركنها  
في البكاء عليه وضربن بأيديهن على وجوههن وكثر القوم من بني قينقاع  
والمناقون حول سريره حين لفظ نفسه الاخير أثناء مرضه فأغضب ذلك إبنة  
الحنيف حتى هم في ذات يوم أن يعلق الباب في وجوههم فمنعه والده وقبح فعله  
وألقى عليه باللائمة وقال له دعهم فإن قريتهم مني يشفي صدرى العليل ويخفف  
من آلامي فقد شاركوني فيما نزل بي من النوائب وقد كان عبد الله بن أبي ميجلا



فبهم حتى قالوا له يا عبد الله نود أن فنديك بدمائنا وأموالنا . . . ولما مات أرادوا أن يسألوه بدمه دون الأنصار ولكن عبادة بن الصامت أمر بصريهم وقم المسلمون بأعمال الدفن وظل الرسول أنسا، ذلك واقفا لا يتحرك من مكانه حتى امتلأ الصريح بالتراب وتوارت الجنة عن العيون وأخذ بنو قينقاع والمنافقون يمشرون التراب على رؤوسهم من شدة الحزن والالم . . . (١)

وقد أنرت هذه النصوص التي نقلتها آنفا في العلماء المستشرقين وحملهم على أن يشكوا في صحة بعض الأحاديث التي تقول إن البقية الباقية من اليهود في المدينة قد تم جلاؤها عنها في حياة الرسول (٢)

و يؤيد شكهم ما وجدناه من روايات ونصوص تاريخية تدل على أن الرسول كان يعامل اليهود بعد غزوة خيبر بروح التسامح حتى أنه أودى عمله معاذ بن جبل ( بن لا يفتن اليهود عن يهوديتهم ) (٣)

وعلى هذا النحو عومل يهود البحرين إذ لم يكافوا إلا دفع الجزية وبقوا متمسكين بدين آبائهم . . . (٤)

وقد دخل يهود بني غادية وعريض في حلف الرسول كما يحدثنا ابن سعد في مصنفه عن ( بعثة رسول الله الرسل بكتبه ) : وكتب رسول الله : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني غادية أن لهم الذمة وعليهم الجزية ولا عدى ولا جلا، الليل مد والتهار شد وكتب خالد بن سعد وهم قوم من يهود . . . وكتب رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبني

(١) الواقدي ص ٤١٥

(٢) وأصاب كثر المال حديث يقول إن عمر أجلى اليهود من المدينة فقالوا أفرنا الرسول وأنت تخرجنا قال أفركم النبي وأنا أرى أن أخرجكم فأخرجهم من المدينة ( ج ٢ ص ٣٠٣ ) : ( حديث ٦٣٥١ )

(٣) البلاذري ص ٧١

(٤) البلاذري ص ٧٨

عريض طعمة من رسول الله عشرة أوسق قمح وعشرة أوسق شعير في كل حصاد  
وخمسين وسقا تمرا يوفون في كل عام لحينه لا يظفون شيئاً وكتب خالد بن سعيد  
وبنو عريض قوم من يهود . . . (١)

وأهم من كل هذا تلك الحقوق والامتيازات التي منحها الرسول لآل بني  
حنينة وأهل مقنا فقد وصلت إلينا وثيقة تاريخية في هذا الصدد من مرجعين  
مختلفين ونحن نقول النصين لتقلون بينهما ونستخلص منها بعض النتائج المرتبطة  
بموضوعنا

يقول صاحب المرجع الأول وهو البلاذري : إن الرسول صالح أهل مقنا وبني  
حبيبة (الصواب حنينة) على ربع غروكهم وغزوهم (العروك خشب يصطاد  
عليه) وربع كراعهم وحلقهم وعلى ربع ثمارهم وكتب إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني حبيبة (حنينة) وأهل  
مقنا سلم أنتم فانه أنزل على أنكم راجعون إلى قريتكم فإذا جاءكم كتابي هذا  
فإنكم آمنون وإنكم ذمة الله وذمة رسوله وأن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم وكل  
دم اتبعتم به لا شريك لكم في قريتكم إلا رسول الله يجبركم كما (٢) يجبر منه  
نفسه فان رسول الله برتكم ورقيقكم والكراع والخلفة إلا ما عفا عنه رسول الله  
أو رسول رسول الله وأن لكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت  
عرككم وربع ما اغتزلت نسلوكم وإنكم قد تبرئتم بعد ذلكم ورفعكم رسول الله  
عن كل جزية وسخرة إن سمعتم وأطعتم أن يكرمكم ويوفوكم عن مسيتكم  
ومن اغتفر في بني حبيبة (حنينة) وأهل مقنا من المسلمين فهو خير له ومن أظلمهم  
بشر فهو شر له وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله . . .

(١) نسخة رسول الله الرسل بكتبه : ابن سعد ص ١٨ طبع العالم Wellhausen : برلين

(٢) لها : ما

وكتب على بن أبي طالب في سنة ٩ . . . (١)

ويضيف المؤلف الى هذه الوثيقة التاريخية أنها وصلت اليه من بعض أهل مصر الذين رأوا الصحيفة بعينها وهي من جلد أحمر دارس الخط وأما النص الآخر لهذه المعاهدة فقد وصل إلينا بعد اكتشاف آثار قديمة في المقبرة اليهودية بمدينة القضاة حيث عثر عليه تحت أنقاض وهذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله الخليفة ولأهل خيبر وآل مقداد وفزارهم ما دامت السموات والارض

(سلام) أنتم إني أحمد اليكم الله الذي لا إله الا هو . . .

أما بعد فإنه أنزل الوحي انكم راجعون الى قراكم وسكني داركم فارجعوا آمنين بأمان الله وأمان رسوله ولكم ذمة الله وذمة رسوله ولكم ذمة الله على أنفسكم ودونكم وأموالكم ورفيقكم وكل ما ملكتم أيمانكم وليس عليكم أداء جزية ولا نجز لكم ناصية ولا توطأ أرضكم ولا تحسدون ( ولا تحرشون ) ولا تصلحون ولا يجعل أحد عليكم ولا تمنعون من لباس المشققات والمعونات ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح ومن قتلكم فقاتلوه ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية ومن قتل منكم أحد المسلمين تعدياً شكمه حكم المسلمين ولا يعتدي عليكم بالفحشاء ( ولا نجس لون منزلة ) أهل الذمة وان استعنتم تعاون وان استرفدتم ترفدوهم ولا تطالبون ببضائهم ولا بصفراء ولا بسمراء ولا كراع ولا حلقة ولا يقطع لکم شمع نعل ولا تمنعون دخول المساجد ولا تحجبون من ولاية المسلمين ولا يولى عليكم الا منكم أو من أهل بيت رسول الله ( واسمع ) لجنازكم الى أن تصير الى موضع الحق واليقين وتكرموا لكرامتكم



والكرامة صفية ائمة عمكم وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن يكرموا  
 كرمكم ويعفوا عن سيئكم ومن سافر منكم فهو في أمان الله وأمان رسوله ولا  
 اكراه في الدين ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربيع ما أمر به رسول  
 الله لأهل بيته تعطون تعطاء قريش وهو خمسون ديناراً ذلك بفضل مني عليكم  
 وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب فمن  
 اطلع الى حنية وأهل خير ومقناً بخير فهو خير له ومن اطلع له بشر فهو شر له  
 ومن قرأ كتابي هذا أو قرئ عليه وغيره أو خالف شيئاً مما به فعليه لعنة الله ولعنة  
 اللاعنين من الملائكة والناس أجمعين وهو يرى من ذمتي وشفاعتي يوم القيامة  
 وأنا كاذم ومن كاذمني فقد كاذم الله فهو في النار وكفى بالله شهيداً وبلائكته  
 ومن حضر من المسلمين وكذب علي بن أبي طالب بخطه ورسول الله أملي عليه  
 حرفاً حرفاً يوم الجمعة للثلاث الاول خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة  
 شهيد عمار بن ياسر وسلمان الفارسي مولى رسول الله وأبو ذر الغفاري .... (١)

ويظهر أن هذه المعاهدة التي استخلص صاحب فتوح البلدان خلاصتها  
 ووصفها في كتابه إنما كانت معروفة لدى العلماء والمؤرخين من العرب في مصر  
 وقد حافظ عليها اليهود في مدة قرون طويلة الى أن اندثرت مدينة القسطنطينية  
 عهد الفاطميين وأصبحت قاعاً مفضفاً فذهبت هذه الصحيفة تحت أنقاض منازل  
 يهودية الى أن اكتشفت حديثاً

لكن لا شك أن هذه الصحيفة ماثقة كما افقت صحائف ومعاهدات كثيرة  
 جداً بعد أن انتقل الرسول الى دار ربه لأن الدين كانت بأيديهم معاهدات  
 صحيحة قد أقرم عليها الخلفاء الراشدون ولم ينقضوا من ثرواتها شئ (١) كما  
 تقول هذه المعاهدة)

وأنا لتعلم أن بطوناً عربية كثيرة اندفعت الى تزوير الكتب باسم الرسول  
وقد حافظت عليها

ولا غرو أن تظهر رسائل ملفقة في عصر الاضطرابات التي حلت في الاقاليم  
الاسلامية من جراء الخصومة التي ظهرت بين الامام علي بن أبي طالب وبين  
عصبة معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل عثمان بن عفان فعلى ذلك قد يكون لنا  
الحق كل الحق أن نشك في صحة هذه المعاهدة التي نحن بصدد

لكن ما لا شك فيه أن الرسول قد منح أسراً غير قليلة من أهل خيبر  
حقوقاً لم يمنحها لبقية اليهود ما عدا الاقرار على الاراضي وإبقاء لهم نصف الثمار  
فإن هذا كان من حق كل يهود خيبر وقد نص على ذلك ابن هشام والبخاري  
كما نصا على أنه كانت هناك عقود وعهود بين الرسول وبين أسر يهودية في  
خيبر كما سيوضح ذلك فيما بعد

أما أسلوب هذه الصحيفة ولغتها ففيها شبه كبير بنصوص المعاهدة الكبيرة  
التي عقدها الرسول مع اليهود بعد هجرته الى يثرب وهذا حمل بعض المستشرقين  
على الاعتقاد بأن معاهدة من هذا النوع لم تكن ملفقة لأنها كانت موجهة الى آل  
صفية زوج الرسول أي الى حنينة في مقنا وخيبر

وأما الاسباب التي حملتنا على أن نشك في صحة هذه الصحيفة فهي :

- (١) لم يكن المسلمون أثناء حياة الرسول يؤرخون بالهجرة لأن هذا لم  
ينقر الا في زمن خلافة عمر بن الخطاب على أن سنة خمس التي وجدت في ديل  
هذه المعاهدة إنما تدل على أن كانتها كان مجهول جهلاً تاماً تاريخ غزوات الرسول
- (٢) لأن مسير المسلمين الى خيبر كان في سنة سبع من الهجرة ولا يحتمل  
أن يعقد الرسول عقداً مع آل روجه صفية قبل النجاشية به وقد كانت هي السبب  
الوحيد في منح الرسول آل بني حنينة تلك الحقوق الكثيرة اذا فرضنا صحة هذه  
الصحيفة .

( ٣ ) ان السنة الخامسة للهجرة كان النزاع فيها بين الرسول واليهود على أشد ما يكون من الحدة والقوة وقد نزل في تلك السنة بعض آيات قرآنية تكاد تكون من نار تظعن في اليهود وتؤنبهم تأنيبا شديداً فليس معقولاً أن يعقد الرسول في تلك السنة مثل هذا العقد مع أسرة حنينة الخيرية دون أن يكون هناك عامل خاص يدفعه الى ذلك لاسباب أن آل صفية كانوا من زعماء القوم ومن أشدهم معارضة في تنفيذ مشروعات الرسول الدينية والسياسية

( ٤ ) المفهوم أن المعاهدة لم تكن تشمل أهل خيبر ومقنا جميعاً كما جاء في المعاهدة حيث يقول فيها « الى حنينة وأهل خيبر ومقنا » بل كانت موجهة الى حنينة وأهل في خيبر ومقنا لأن هذه الحقوق والامتيازات لم تمنح الا لآل صفية دون غيرهم من اليهود وقد غير هذا التلقيق الإسير معنى المعاهدة جميعها

( ٥ ) تنص المعاهدة على أن الرسول يسمح لكل يهود خيبر بأن يحملوا السلاح والا يعاقبوا على قتل المشركين فهي حقوق لم تمنح لقوم مغلوبين لانها بمثابة تمكينهم من وسائل الاخذ بالثار والانتقام ممن غلبهم وأذلهم

( ٦ ) وتنص المعاهدة على أن كل أهل خيبر يمنحون من العطاء مثل ما يمنح لبطون قريش على أن هذا العطاء بهذا المعنى لم يصرف أيام النبي فضلاً عن تحديده بخمسين ديناراً

وغير ذلك مما جاء في الصحيفة من الحقوق والامتيازات التي لم تكن الا لآل الرسول دون سواهم من الناس وغير معقول أن الرسول يمنح اليهود حقوقاً لم يمنحها لعامة المسلمين وأن يسوى بينهم وبين آل بيته

( ٧ ) على أن حوادث عمر بن الخطاب مع يهود خيبر دليل كاف على عدم وجود حقوق من هذا النوع لكل يهود خيبر كما سنوضح ذلك فيما بعد

على أن هذه العقود التي كانت لبعض الاسر لم تغير بوجه عام الحال التي آل اليها اليهود في البلاد الحجازية لانهم لم يرجعوا الى ما كانوا عليه في الجاهلية



من ثروة طائفة وسلطان كبير بل أخذوا في التدهور شيئاً فشيئاً ولم تفد كل الظروف  
الحسنة التي صادفتهم بعد ذلك في إيقاف حركة هذا التدهور

والسبب في ذلك يرجع إلى المراقبة الشديدة التي وضعت على حاصلاتهم  
الزراعية ونماز أشجارهم التي كانوا يدفعون نصفها لأصحاب الأسهم من المسلمين  
أما النصف الباقي فلم يكن كافياً لتكوين سكان خيبر ولم يكن ذلك كفيلاً بأن  
يوجد لهم كعادتهم الأولى . . .

ثم جاء عمر أمير المؤمنين فأمر بالجللاء أغلب بطون اليهود من خيبر وفدك  
كما يذكر ذلك ابن هشام فيقول : كان الرسول يبعث عبد الله ابن رواحة إلى  
خيبر فيقسم ثمارها ويعمل عليهم في الخرص فلما توفي الله نبيه أقرها أبو بكر  
بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها الرسول حتى توفي ثم أقرها عمر صدراً من  
أمارته ثم بلغ عمر أن رسول الله قل في وجهه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة  
العرب دينان ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثابت فأرسل إلى اليهود فقال إن  
الله عز وجل قد أذن في جلالتكم فقد بلغني أن رسول الله قل لا يجتمعن بجزيرة  
العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله من اليهود فليأتني به أنفذه له ومن  
لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتهجنز للجللاء فأجلى عمر من لم يكن  
عنده عهد من رسول الله منهم . . . (١)

ومن هنا نستنتج أنه كانت هناك عقود لبعض الأسر اليهودية وأن عمر الذي  
أمر بالجللاء أغلب طوائف اليهود من خيبر وفدك لم يتعرض لليهود وادى القرى  
وتبعا بسوا.

ويؤخذ من هذا أن أهل وادى القرى وتبعا كان لهم عقد خاص لم يسمح  
للاخليفة بإخراجهم من بلادهم لا كما يعتقد بعض مؤرخي العرب أن تبعا ووادى

القرى لم تكن من أرض الحجاز لأن الحدود في تلك الأزمنة لم تكن معينة بدقة إلى درجة أن يقال إن وادي القرى ليس داخلًا في الحدود الحجازية بل بالعكس كان هذا الوادي منطقتا تابعة تخيير الحجازية وكانت اليهود الذين يسكنونه يعتبرون من يهود خيبر.

وبلغت العالم Luszyński نظر الباحثين إلى بعض الأحاديث تتضمن الأمر بإخراج اليهود من بلاد الحجاز كحديث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...» وحديث «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب...» وحديث «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب...»<sup>(١)</sup> وبشكل العالم المذكور في صحة هذه الأحاديث ويقول إنها قيلت بعد وفاة الرسول لأغراض خاصة...<sup>(٢)</sup> ثم أن المسلمين لا يعولون على الأحاديث إلا إذا كانت صحيحة ولهم في قبولها ترتيب خاص فذهب أحاديث البخاري ثم أحاديث مسلم وفي الدرجة الثالثة باقي الكتب الستة.

ولابن اسحاق قصة أخرى عن سبب إخراج عمر بن الخطاب طوائف اليهود من خيبر ويقول: حدثني نافع عن ابن عمر قال خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر فنعاهم فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا قل فعدي على نحت الليل وأنا قائم على فراشي ففقدت يدي من مرفقي فلما أصبحت استصرخ على صاحبائي فأتاني فسألاني من صنع هذا بك فقلت لا أدري قل فأصلحنا من يدي ثم قدما بي على عمر فقال هذا عمل يهود ثم قام في الناس خطيباً فقال أيتها الناس إن رسول الله كان عاملاً يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شئنا وقد عدوا على علي عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم مع عدوهم على الانصاري قبله لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليأخذ به.

(١) كثر المال ج ٢ من ٢٧٤ طبع جيدر آباد — حديث ٨٧٢ و ٧٤ و ٧٥

(٢) Die Juden zu Medina من ١١٣

فأبى مخرج اليهود فأخرجهم . . . ولما أخرج عمر اليهود من خيبر ركب في المهاجرين  
والانصار وأخرج معه جبار بن صخر وكان خازن أهل المدينة وحاسبهم فقسم  
خيبر على أهل جماعة الاسهم . . . (١)

أما ابن سعد فلم يأت بهذه القصص ويقول : أن رسول الله لما أتاه الله عليه  
خيبر قسمها على ستة وفلانين سهماً جمع كل سهم مائة سهم وجعل نصفها لنوابه  
وما ينزل به وغزل النصف الآخر فقسمه بين المسلمين وسهم النبي فيما قسم بين  
المسلمين الشق ونظدة وما حيز معها وكان فيما وقف الوطيحة والكنيبة وسلام وما  
حيز معهم فلما صارت الأمور في يد النبي وأصحابه لم يكن لهم من العمال ما يكفون  
عمل الأرض فدفعها النبي إلى اليهود يعملونها على نصف ما يخرج منها فلم يزالوا  
على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب وكثير في يد المسلمين العمال وقبوا على عمل  
الأرض فأجلى عمر اليهود إلى الشام وقسم الأموال بين المسلمين (٢)

فعلى ذلك ينضح جلياً أن السبب الذي حمل عمر على اجلاء أغلب طوائف  
اليهود من خيبر يرجع إلى كثرة الأيدي العاملة من الأسرى الذين كثروا عنده  
العرب بعد فتوح بلاد الشام والعراق وفارس وكان هؤلاء الأسرى ذوى خبرة  
بالأعمال الزراعية كيهود خيبر

ولما كان يهود خيبر يدفعون نصف حاصلات الأرض آنر المسلمون أصحاب  
الأسهم أن يكون لهم كل هذه الحاصلات فيتمكّنوا من نمو بين أمراء الكهنة  
من جهة وليوجدوا لهؤلاء الأسرى عملاً يقومون به من جهة أخرى فأشاروا على  
أمير المؤمنين بالاجلاء البطون التي لم تكن لها عقود خاصة مع الرسول  
ويحدثنا البخاري أن عمر أجلى يهود خيبر إلى تباه وأريحا (٣)

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٩٧

(٢) ابن سعد ج ٢ ص ٨٢

(٣) البخاري ج ٢ ص ٧٢ — وص ٢٩٠



والواقدي رواية تؤيد صحة ما رواه البخاري يقول فيها : ان عمر أجلى آل  
الخارث أبي زبيب المشهورين الى اربحاء بأرض فلسطين وكان أحد أبناء الخارث  
قد التقى في يوم من الأيام بقافلة من الاعراب في جبال اربحاء وهي راجعة من  
الشام الى خيبر فترع ابن الخارث الى وطنه وحن اليه واشتد به للشوق حتى آلمه  
الامر فغاطب الاعراب بقوله انه كان يود يوم أجلى عمر أسرته من خيبر أن  
يدخل في الاسلام حتى لا يبعد عن أرض أجداده ولكنه خشي أن يحرقه  
الخلف ويقولون انه ضحى الخارث بحياته وأسرته ووطنه لأجل دينه ودين آباءه  
فجاء ابنه فغدير به . . . (١)

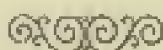
أما الأسر التي كانت لها معاهدات خاصة مع الرسول فقد أقرها عمر  
وأقامت على أملاكها وأموالها

وقد بقيت الاغلبية لليهود في وادي القرى الى القرن الحادي عشر وكنك  
وجدت طوائف منهم في جهات نجا في القرن الثاني عشر للميلاد  
ثم انعدم وجودهم في الحجاز وأطرافها شيئاً فشيئاً حتى اختلطوا في بقية الاعراب  
واندمجوا فيهم وكان ذلك بسبب الضغط الشديد الذي حل بهم في عصور  
الاضطرابات التي حدثت بعد ان تسرب الوهن والاضمحلال الى الدولة العباسية

\*\*\*

أما في بلاد اليمن فقد بقي فيها اليهود طول العصور القديمة ولم يرل لهم وجود  
في جهات مختلفة من أطراف الجزيرة العربية الى أيامنا هذه رغم الرزايا التي  
لحقت بهم في ظروف شتى ، والله بحكم لا معقب لحكمه

(١) الواقدي ص ٢٧١



## المراجع

تنقسم مصادر هذا الكتاب الى عبرية وعربية وأجنبية

### مصادر عبرية

تורה נביאים וכתובים (תנך)

תלמוד בבלי

דברי ימי ישראל ד"ר שמחוני

היסטוריה ישראלית ד"ר קלוזנר

דברי ימי ישראל נרץ

בפירי העתים

### مصادر عربية

القرآن الكريم

سيرة ابن هشام

فتوح البلدان للبلاذري

تاريخ الخلفاء للديلم بكري

صحیح البخاری

كتاب المغازی الواقدي

أعمال الميداني

تاج العروس

طبع مصر

طبع ليدن

طبع أوربا

طبع ليدن

طبع برلين (ترجمة المانية)

طبع مصر

طبع مصر	معاهد التنصيص
» بيروت	نوادر أبي زيد الأنصاري
» »	ديوان السموه لقطويه
» مصر	طبقات الشعراء لابن سلام الجعفي
طبع أوروبا	تاريخ يعقوبي
» بولاق	خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي
» مصر	تاريخ الامم والملوك للطبري
» »	تاريخ ابن خلدون
	تاريخ الامم الاسلامية للخضري بك
طبع برلين	طبقات ابن سعد
طبع حيدر آباد بالهند	كنز العمال (مجموعة من الاحاديث النبوية)
	أديان العرب تأليف الشيخ محمد نعمان الجارم
طبع برلين	بعثة رسول الله بكتبه لابن سعد
طبع مصر	كتاب الاغانى للامام أبي الفرج الاصبهاني
طبع مصر	ديوان الحماسة لابي تمام
	مقالة في الاسلام من كتب المبشرين
طبع مصر	الروض الانف شرح اسيرة ابن هشام
	معجم البلدان لياقوت
	مجلة الجامعة المصرية



مصادر أجنبية

( المانية والإنجليزية وفرنسية )

R. Dozy : Die Israeliten zu Mekka.

Margolioth : The relation between Arabs and Israelites prior to the rise of Islam.

Burney : Israel's settlement in Canaan.

Gaussin de Perceval L'histoire des Arabes avant L'Islamisme.

Wellhausen Y : Skizzen & Vorarbeiten.

Glaser : Sammlung.

Glaser : Skizzen der Geschichte und Geographie Arabiens bis Mohamed.

Wuestenfeld : Geschichte der Stadt Medina.

Gilvester deSacy : Memoires sur divers evenement de l'histoire des arabes avant Mahomet.

Lamence : Les Juives a la Meque.

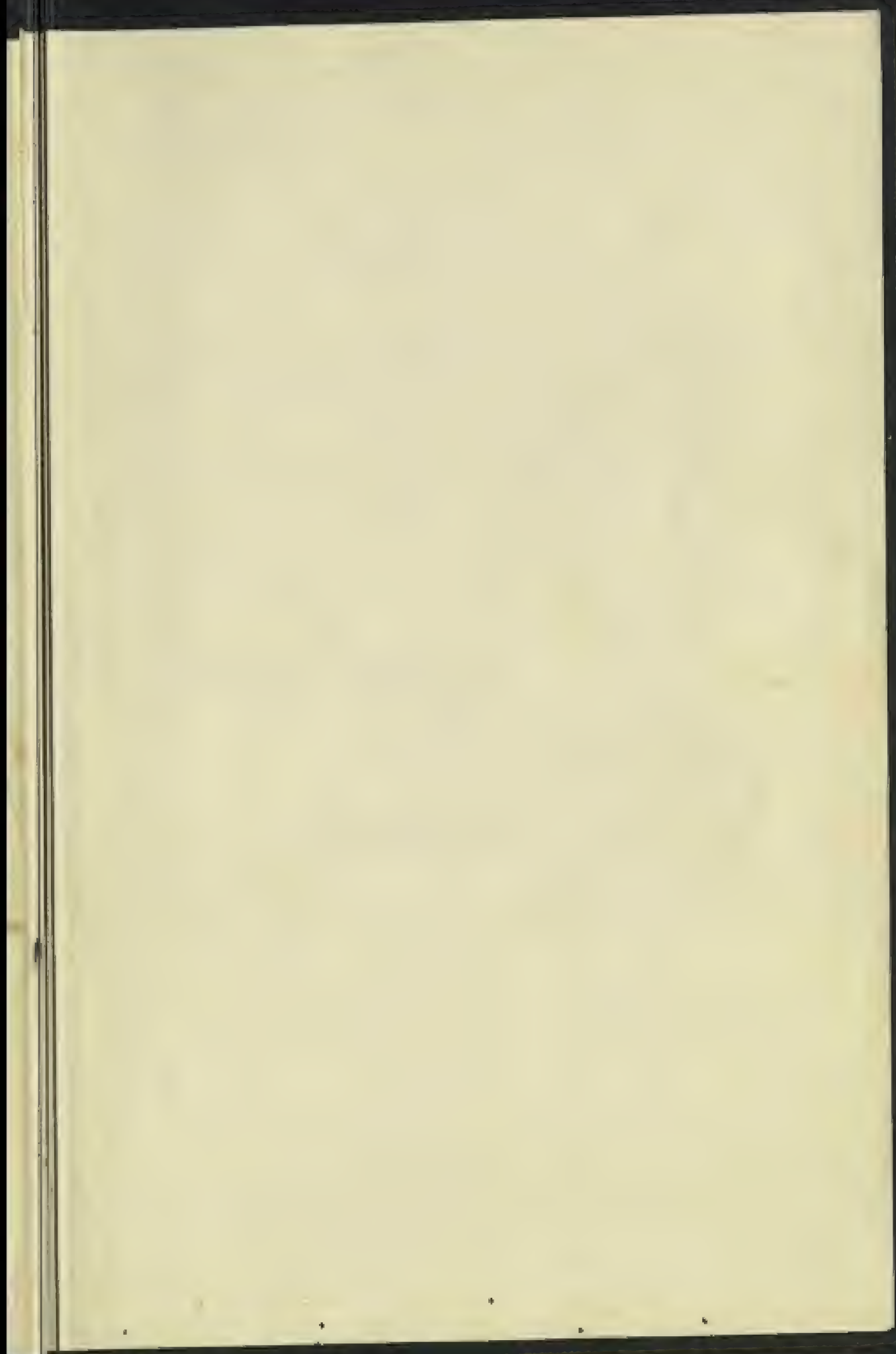
Nicholson : A literary history of the Arabs.

Leszynsky : Die Juden zu Medina.

Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft.

Jewish Quarterly Review

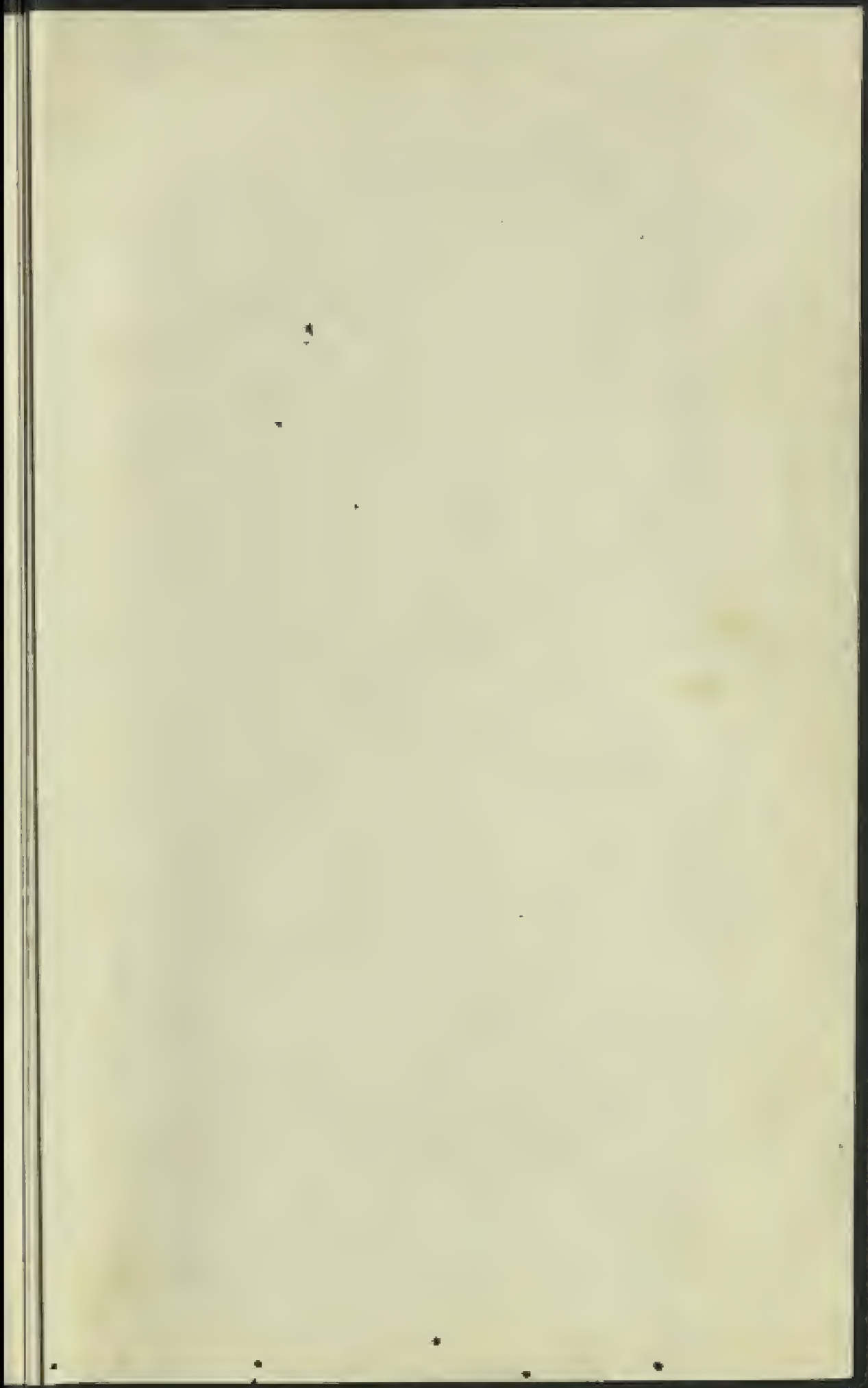
Journal Asiatique.

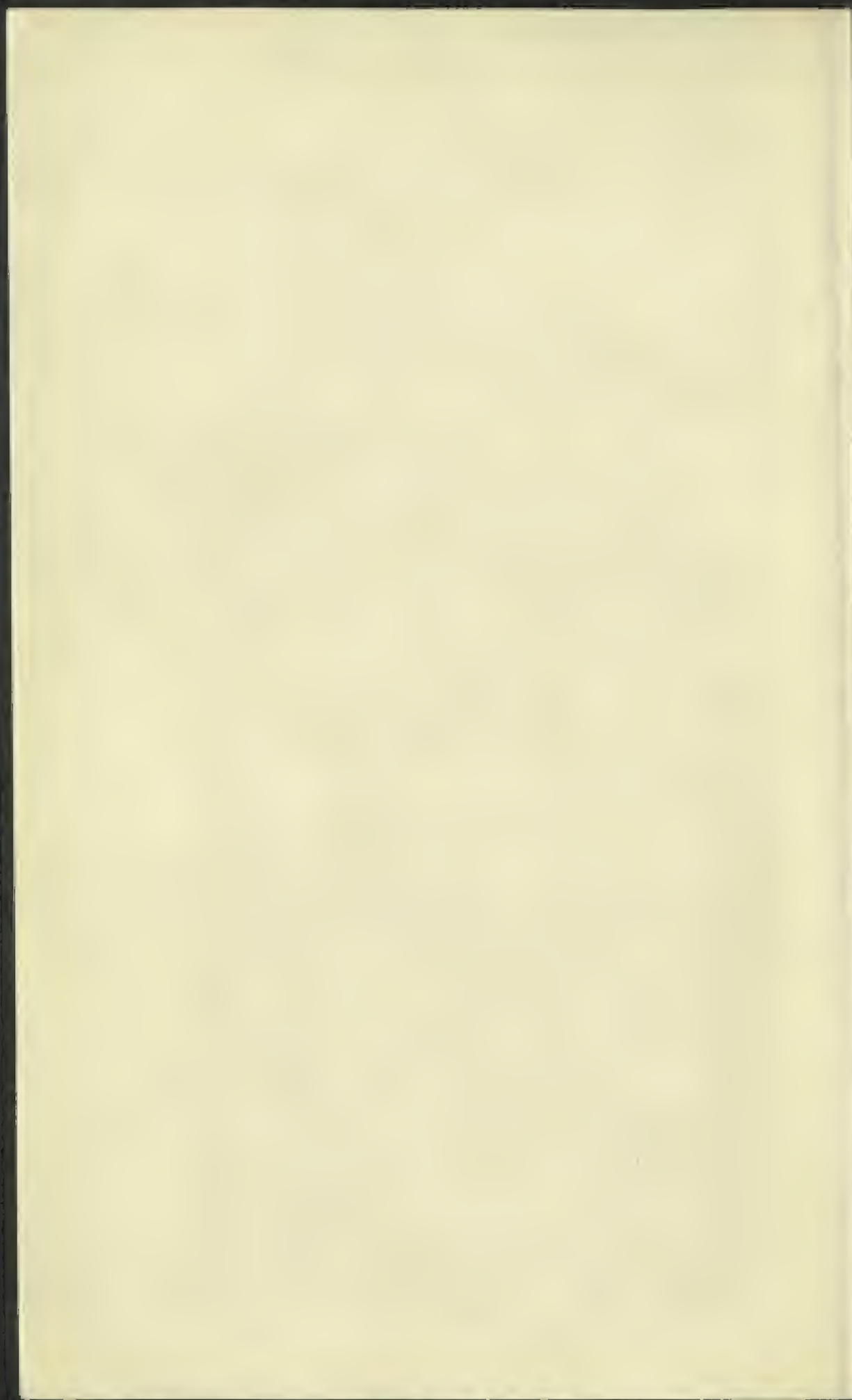


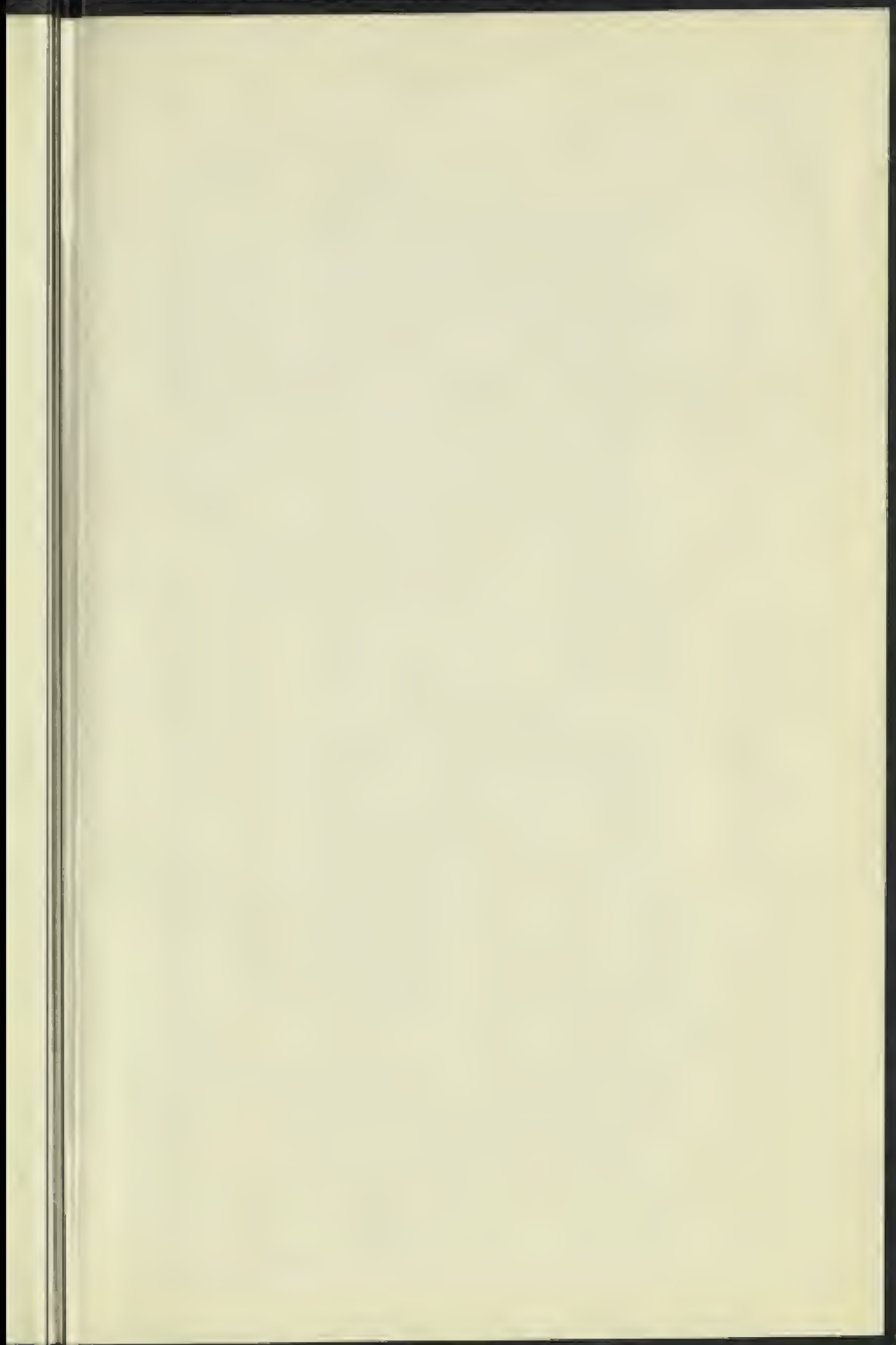
## فهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة المحاضرة الدكتور طه حسين أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية . . . . .	٥ - ج
تصوير المؤلف . . . . .	٥ - و
الباب الاول : اليهود في بلاد الحجاز . . . . .	٣٤ - ١
الباب الثاني : ظهور اليهودية في بلاد اليمن . . . . .	٤٩ - ٣٥
الباب الثالث : بطون يثرب وحوادثها وعلاقتها باليهود . . . . .	٨٠ - ٥٠
الباب الرابع : أحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية في بلاد الحجاز قبيل ظهور الاسلام . . . . .	٩١ - ٨١
الباب الخامس : مكة ويثرب ازاء الحركة الاسلامية . . . . .	١٠٩ - ٩٢
الباب السادس : هجرة الرسول الى يثرب واجلاؤه بني قينقاع والتضيق عنها . . . . .	١١٠ - ١٠٣
الباب السابع : غزوة بني قريظة . . . . .	١٥٦ - <sup>١٤٩</sup> <del>١١١</del>
الباب الثامن : غزوة خيبر . . . . .	١٧٤ - ١٥٧
الباب التاسع : اجلاء اليهود عن البلاد الحجازية . . . . .	١٨٦ - ١٧٥
المراجع . . . . .	١٨٩

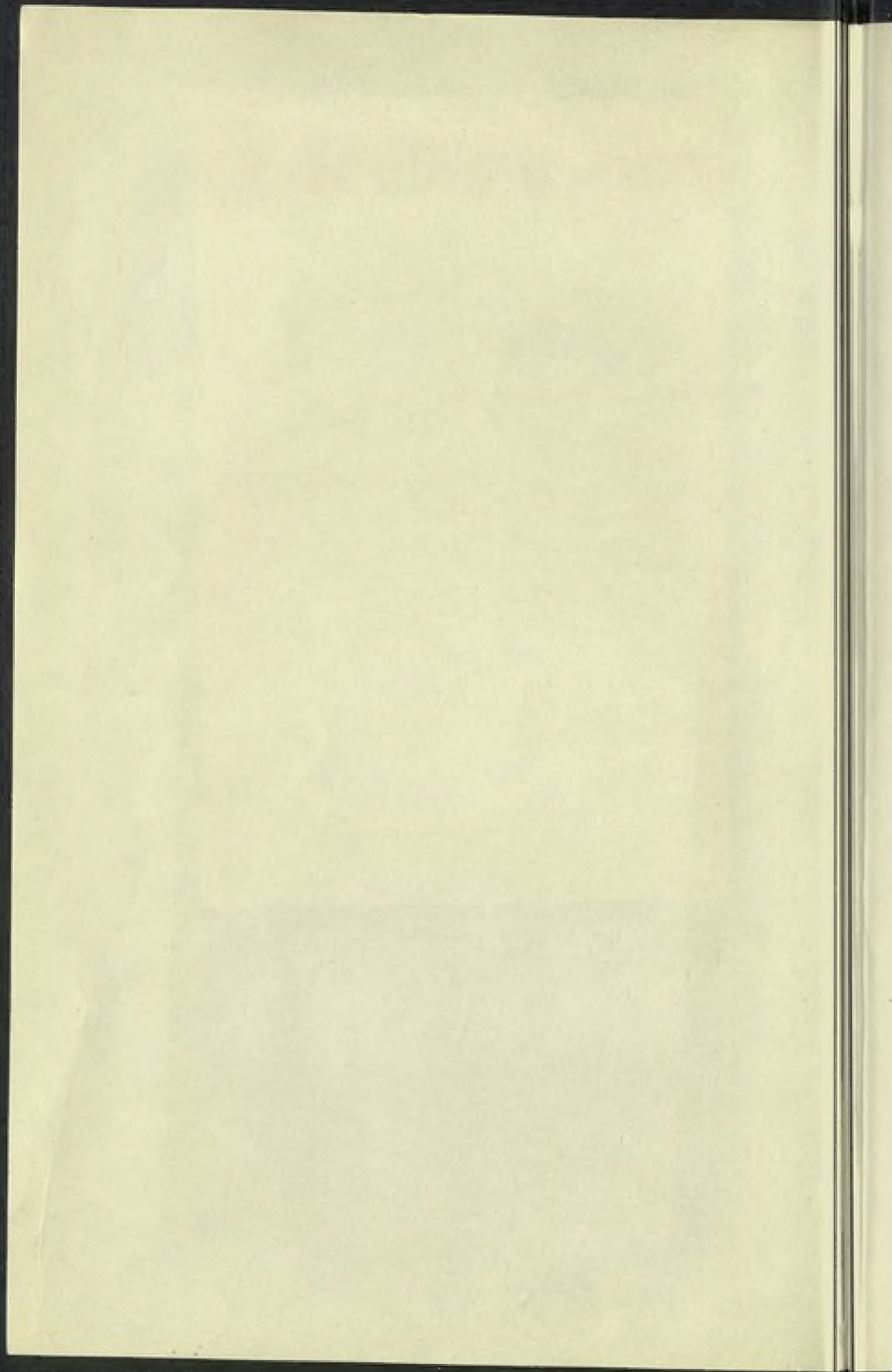












JAFET LIB.

DATE DUE

JAFET LIB.

1 - DEC 1993

JAFET LIB.

10 NOV 1994



LIB.  
1991



ولفسون، اسرائيل  
تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهل  
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000481

of  
276  
W73



CA  
296  
B456EA  
C.I